



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم



قسم الدراسات اللغوية

كلية الأدب العربي والفنون

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه تخصص لسانيات تطبيقية بعنوان:

## المصطلح اللساني بين إلزامية النسق وشرعية الاستعمال

إشراف الدكتور:

أ. د لزعر مختار

إعداد الطالب:

كساوي عبد القادر

• أعضاء لجنة المناقشة:

رئيساً	جامعة مستغانم	أستاذ التعليم العالي	الجيلالي بن يشو
مشرفاً ومقرراً	جامعة مستغانم	أستاذ التعليم العالي	مختار لزعر
عضواً مناقشاً	جامعة مستغانم	أستاذ التعليم العالي	عبد القادر حاج علي
عضواً مناقشاً	جامعة الشلف	أستاذ التعليم العالي	أحمد بن عجمية
عضواً مناقشاً	المركز الجامعي غليزان	أستاذ محاضر "أ"	محمد خاين
عضواً مناقشاً	جامعة مستغانم	أستاذ محاضر "أ"	حسين بن عائشة

السنة الجامعية: 2019 - 2020

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الإهداء

إلى أسرتي التي قاسمتني الجهد والكد والتي تحملت بسبب ذلك  
انشغالي عنها راجيا من الله تعالى أن يعوضها بهذه الشهادة ما كانت  
قد فقدته مني مدة إنجازي لهذا البحث.

كما لا يسعني إلا أن أهدي هذا العمل إلى:

- أمي التي كانت أجنحة تخيم، وأبي الذي كان يدا تبارك، فكانا  
الشمعة التي أضاءت لي دربي وكانا مأمّن خوفي ومسكن فؤادي.
- إلى كل الإخوة والأخوات والأقرباء والأصدقاء.
- إلى أساتذتي الذين أكن لهم كل الاحترام والتقدير.
- إلى كل من تحملوني ورافقوني خلال سنواتي الدراسية ولم  
يبخلو عليّ ولو بالشيء القليل.
- إلى كل من حواه قلبي ولم يذكره قلبي.

وإلى كل هؤلاء أهدي عملي هذا.

# مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله نحمده سبحانه وتعالى على جزيل عطائه ووافر نعمه حمدا يليق بجلاله وعظيم سلطانه، ونصلي

ونسلم على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه الأخيار الطاهرين وبعد:

تحتل دراسة المصطلح داخل الحقل اللساني مكانة هامة، خاصة في بناء شبكة من العلاقات التواصلية بين كل المكونات التي تشتغل بتطوير الدرس اللساني الحديث، وكذلك التنوع الذي يطبع المستويات والطرق التي تعمل على بنائه داخل قوالب نحوية مختلفة. ومع حقيقة تطور العلوم وتفرعها وتقدم المعرفة وتشعبها وتزايد المفاهيم وتوالدها، يكاد المصطلح يمثل العنصر اللغوي الأساس الذي يقيم للغة حيويتها ويعيد لها مكانتها في أي تراجع يهدد كيانها، علاوة على عامل الاستعمال الأدائي لنظامها الكامن ولأغراض تواصلية فعلية، هكذا إثر هذا التذكير بهذه البديهية نكون قد أقررنا بطريقة عفوية بأن المصطلح لا يزال يشكل موضوعا في حاجة إلى المزيد من الإمعان في خصائصه، فلا أحد يتعرض لموضوع ما له علاقة بالمصطلحات إلا ويسجل إزاءه وقفات مختلفة.

لقد بات المصطلح - بعامه - أداة لا غنى للمرء عنها في زمن تطورت فيه أنماط الحياة الإنسانية، ورحبت آفاق الفكر وتنوعت اختصاصاته، وتعددت وسائل التواصل والاتصال بين البشر في مختلف الميادين ودقت تقنياتها وتعقدت آلتها، وهو بذلك يشكل العمود الفقري بالنسبة إلى الحقول المعرفية الأخرى.

يعالج هذا البحث بين دفتيه هوية المصطلح الذي أصبح يعيش حلقة مفقودة بين وضعه من جهة وبين تداوليته من جهة أخرى. خاصة ونحن اليوم نعيش في زمن كثر فيه اللحن من جهة، والانسلاخ عن الذات أو

الهوية الوطنية أو الدينية من جهة أخرى، فأصبحت لغتنا اليوم هي لغة إتباع لا إبداع، وأصبحت تعاني أكثر مما تنتج، ومن المشاكل التي تعاني منها "مشكلة المصطلح".

لقد شهد الدرس المصطلحي خلال العقود القليلة الماضية تطوراً ملموساً، وهو ما وُلد تراكمات كميّاً واضحاً عكسته تلك الأبحاث المنجزة في هذا المضمار المصطلحي مشرقاً ومغرباً، وعمد دارسوننا إلى تناول المصطلحات لاسيما اللسانية بمناهج متباينة من حيث مرتكزاتها وآلياتها وغاياتها، وهذا ما أدى إلى اضطراب وتداخل بين مختلف النظريات الوافدة وخاصة الحديثة منها؛ إذ اتسمت بالتباين والتناقض من حيث تداولها أو تعاملها مع المصطلح اللساني المتقدم من ثقافات مختلفة، وهو ما نتج عنه خلق مصطلحات لسانية عائمة فضفاضة متمخضة عنها ضبابية في تحويل الممارسات النظرية إلى تطبيقية، إثر محاولات الباحثين والمفسرين تطبيق تلك النظريات الوافدة المستحدثة على الساحة العربية وهذا ما فجّر حالة من التآزم والفوضوية المصطلحية، فبعد أن كان لكل مصطلح لساني جذوره الراسخة في مواطن اللغة العربية أصبح يعيش حالة اضطراب وتذبذب وتعددية فلا نجده يستقر على حالة واحدة، وهو ما أفضى إلى إفقار اللغة وإفراغها من مفاهيمها واستدراج النصوص إلى دائرة الخطر من خلال انتزاع المصطلحات من منابتها وترتيبها التي نشأت بها وإنزالها في غير أوطانها. وهي حتمية تضعنا أمام الإشكالية الآتية:

- ألم يكن لنا أن نعيد النظر في كثير من المصطلحات فنخرجها تحريجاً يتواءم وطبيعة السياق المعرفي الذي

تسير فيه؟ وهلاً توقفنا عند علاقة المفاهيم ببيئتها؟

وفي ظل هذه الفوضى المصطلحية وهذا التعثر في محاولات تجديد أسئلة الراهن الثقافي نشأت عدة دراسات

تحاول تخفيف الهوة بين الجانبين العربي والغربي، من خلال محاولة تبسيط النظريات الغربية وتبسيط الضوء على

ما انبنت عليه من مصطلحات لسانية مع رصد خصوصياتها وأصولها وأبعادها، وهذا ما انجر عنه حركة كبيرة شهدتها الساحة اللسانية العربية.

وهذا ما جعلنا نطرح إشكاليات أخرى نحاول بما دفع العقول العربية إلى التفطن لتلك التبعية العمياء التي تقود أمتنا ولغتنا العربية إلى الهاوية، وتفعيل عجلة الحوار مع هذه النظرية وإجراءاتها العملية على أوسع نطاق، والتي قد تدفع هؤلاء الباحثين وتحرضهم على محاولة تدارك ما أصاب مشهدنا اللغوي اللساني من ضعف، وذلك بالعمل على سد الثغرات التي باتت تتموضع في صلب الإطار المنهجي للمدونة اللسانية العربية، وهي مدونة أصبحت تعج بأعمال حُجر عليها في خانة المعاصرة تارة أو في خانة التراث تارة أخرى، لتتجلى الإشكالية الفرعية في الآتي:

- ما هو السبب الذي يجعلنا دائما ننصاع إلى تلك التحديدات المتفق عليها منذ زمن عند حديثنا عن المصطلح، وخاصة منها تلك الوافدة من الغرب ناسين ومتناسين ما يزخر به تراثنا العربي من مفاهيم ومصطلحات، لتُحصر هذه المفاهيم بين مطرقة التبعية، وسندان الانتماء الذي يرفض استقلالية مصطلحاته عن الحقل المعرفي الذي ينتمي إليه؟.

ما من شك أنّ أجلى تجليات هذه الخطوة هو ذلكم الأفق اللساني الذي أضحى منذ أمد بعيد يتربع تارة على نية الاستقلالية المطلقة المتحلية بمبدأ النسقية، وتارة أخرى على نية تلكم الشرعية الحدائية التي تجعل من المتلقي لها ينصاع إلى ضابطها الإجرائي والمعرفي معا، وإذا تعنت النسق بتلك الإلزامية وحظي بتلك المكانة فأين هي مكانة السياق من كل ذلك؟

يعد هذا البحث حلقة ضمن سلسلة طويلة من البحوث التي خرجت إلى النور في إطار دراسة المصطلح اللساني، فلا غرو أن المصطلحات اللسانية تحتاج إلى شروح وضبط وتوحيد أكثر من غيرها، وهو ما ألح علينا للبحث في هذا الموضوع بالذات ومن الزاوية التي اخترناها بالضرورة، وهي الإلزامية التي عرفها المصطلح اللساني ندا لشرعية الاستعمال.

واختيارنا لهذا الموضوع راجع إلى رغبتنا وميلنا الكبير لمثل هذه الموضوعات التي تفتح أمام الطالب الباحث المجال الواسع للتوغل إلى عالم اللغة باعتباره موضوعا لسانيا يشغل الدرس العربي المعاصر، وبما أن اهتمامنا ضمن البحوث اللسانية؛ فإننا وجدنا في هذه الدراسة ما يذكرنا برغبة المشاركة في موضوع كهذا يكتسي صبغة الراهنية، وهي فرصة تتيح لنا سبل الاطلاع والقراءة التي تغذي الذهن وتزيد شخصية الباحث وعيا بحقيقة الإشكالات التي تعاني منها منظومتنا اللسانية، وهذا في إطار إعداد مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه. إضافة إلى هذا شعور الكثيرين بحاجة المكتبة العربية إلى مثل هذه البحوث لتحسين الدراسات اللسانية التي من شأنها أن ترصد المستجدات على مستوى النظريات والمناهج وتطبيقاتها.

ولعل أكبر العوائق التي تقف أمام طلاب المعرفة اللسانية معضلة المصطلح من حيث انتقاؤه واستكشاف دلالاته وأبعاده في ثقافته المرتبطة به، فانطلاقا من صعوبة العمل جاء تبيّن هذا الاختيار وليس بالأمر الهين، إذ مرد الصعوبة اضطراب دلالة المصطلحات التي تشكل محلّ خلاف بين الباحثين.

وما بحثنا هذا إلا معرفة كشفية تستقرئ نماذج لمجموعة من اللسانيين والدارسين، يمكن أن تقوم حجة تنسحب على قطاع واسع من مشهدهنا اللساني بعيدا عن الاستقراء الناقص، ذلك أن الإشكالية – أي إشكالية – حين تعبر عن الشعور العميق بالمشكلة قد تمثل نصف الطريق إلى المعرفة أو الحل، لذا نأمل أن

تكون إشكالية هذا البحث هي الباب الذي ندلف منه للنظر في شأن هذه الدراسة المصطلحية اللسانية. محاولين استجلاء أهم الملاحظات حول إشكالية المصطلح اللساني والفوضى المصطلحية التي عرفها، قصد الوقوف على عصب هذه الإشكالية ومحاولة إيجاد ولو بعض الحلول، ولعلنا نتمكن بها من تسخير بعض المعارف وتبيان ولو بعض الإشكاليات التي تحوم حول المصطلح اللساني، وهذا كله خدمة للمصطلح اللساني. فلا نسعى من وراء ذلك إلى حل هذه الإشكالية كلها فهذا مستحيل، ولا إلى إقامة محاكمة للمصطلحي واللساني في هذا المجال، وإنما نتوخى إثارة الموضوع من جديد بهذا الشأن من جهة والدفن به إلى الواجهة ودائرة الاهتمام كوسيلة لتثقيف الجماهير من جهة أخرى، لأنّ الدراسة اللسانية أثبتت جدواها العلمية في دراسة القضايا اللغوية والحضارية وحتى الإجرائية.

وما دامت المصطلحات هي مفاتيح مغاليق العلوم يأتي بحثنا ليشكل مصنفا يضاف إلى رصيد المكتبة العربية يستفيد منه الدارسون الرامون إلى دراسة علم المصطلح، وفهمه فهما صحيحا يربط ماضي المصطلحات بحاضرها.

ولمعالجة هذه الدراسة اعتمدنا المنهج التحليلي النقدي القائم على الاستقصاء والتحليل والاستنتاج، غير أننا في بعض من المقامات حاولنا أن نأخذ بعضا من لوازم المناهج الأخرى تماشيا وطبيعة الطرح.

ولا شك أنّ هذه الدراسة تحتاج إلى مسح شامل لما ورد في العنوان الرئيسي من شكل ومعنى، والذي حمل التسمية التالية: "المصطلح اللساني بين إلزامية النسق وشرعية الاستعمال" ليُلحَقَ بعنوان فرعي شمل عينة من المصطلحات اللسانية التي عرفت تباينا واضطرابا كبيرا في وضعها واستعمالها.

ومن أجل تغطية هذا المجال من الدراسة والوصول إلى الأهداف المتوخاة، قُسم البحث إلى مقدمة متبوعة بمدخل وأربعة فصول مذيبة بخاتمة هي خلاصة رحلة البحث، رغبة منّا في الإحاطة بالموضوع من مختلف جوانبه.

### - المقدمة:

جاءت عرضاً لموضوع البحث وخلفيات ودوافع اختياره، والاشتغال به بالإضافة إلى عرض عام لخطة العمل.

- المدخل: ركزنا فيه على دور المصطلح وأهميته.

### - الفصل الأول:

عُنونَ ب: "في المفاهيم الأساسية لمصطلحات الدراسة".

وتطرقنا فيه إلى المفاهيم التالية: المصطلح - اللسانيات (لمصطلح اللساني) - النسق - الاستعمال.

### - الفصل الثاني:

عنوانه: (اللغة بين اللسان والكلام نسقا واستعمالا) وتعرضنا فيه إلى نسقية اللغة واللسان والكلام، محاولين تبيان تلك النسقية التي حُصّنت بها هذه المصطلحات وما حظيت به من استعمال.

أما الفصل الثالث والفصل الرابع فقد شملا الجانب التطبيقي من البحث، وتناولنا فيهما نماذج من

المصطلحات اللسانية مع دراسة إشكالية المكافئ العربي لها.

وذيلنا البحث بخاتمة دوناً فيها مجمل الاستنتاجات وأهم النتائج المتوصل إليها لنختمه بعرض قائمة

المصادر والمراجع التي اعتمدها البحث والتي عمدنا إلى ترتيبها ترتيباً ألف بائياً مغربياً. دون أن ندعي بأننا ألمنا

بالموضوع وأجبنا عن كل الإشكالات المطروحة، فبحثنا هذا لا يمكنه أن يفك رموز موضوع شائك يصعب حصره أو ضبطه لغرض الدراسة والتحليل، ونأمل أن يتسنى لنا مستقبلا معالجة المزيد من الجوانب التي غابت في هذا المتن؛ فبحث من هذا النوع في حاجة للمتابعة والتطوير والتوسع.

ولا تخلو طريق أي بحث علمي من الصعوبات التي تعيق طريقه وتشكل في الوقت نفسه حافزا للمضي قدما نحو الهدف المنشود، ولعل منها ما كان نابعا من طبيعة الموضوع في حد ذاته "إشكالية المصطلح اللساني" فهو موضوع معضلة نظرا لترامي أطراف الموضوع وتشعبه واتساعه وبالتالي صعوبة السيطرة عليه. فالمصطلح اللساني مبحث شغل مسافة عقود من الإبداع والإحاطة به تحتاج إلى دقة متناهية، وكذلك صعوبة الموضوع تكمن في أنه مشترك بين علمين مما يجذو بالباحث أن يكون ملما بالمراجع المختلفة العربية والأجنبية. إلا أن ذلك لم يمنع من محاولة الانخراط في الدرس المصطلحي اللساني واقتحام أغواره، ومن المعوقات الأخرى التي اصطدم بها البحث هو إشكالية ضبط المصطلحات والمفاهيم.

ولذلك حاولنا الارتكاز على مرجعيات عُدت سراجا اهتدى بها البحث وتساعدنا في بناء أرضية معرفية تسمح لنا بمعالجة الموضوع، نذكر منها كتاب خليفة الميساوي "المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم"، وكتاب مصطفى طاهر الحيادة "من قضايا المصطلح اللغوي العربي، وغيرها كثير.

لا يسعني - في ختام هذه المقدمة - إلا أن أتقدم بأسمى عبارات التقدير والاحترام لكل من مهّد لي الطريق وساعدني ورافقني أثناء مسيرة هذا البحث، وإلى كل من أمدني بيد العون، وأخص بالذكر الأستاذ المشرف مختار لزعر لقبوله الإشراف على هذا العمل فقد كان له دور كبير في خروج هذه الثمرة إلى النور، وأفادني كثيرا بتوجيهاته ونصائحه وإرشاداته ومعارفه، كما منحني من وقته وخبرته العلمية الكثير، فله مني أسمى

## المقدمة

---

آيات التقدير والاحترام وأسأل الله له القبول ولي التوفيق والسداد، كما لا أنسى أن أتقدم بالشكر الجزيل لأعضاء لجنة المناقشة الموقرة، وإلى كل من مَدَّ يد المساعدة والتشجيع والتحفيز سائلاً العلي القدير أن يجزيهم جميعاً أحسن الجزاء، وأن يجعل أعمالهم في ميزان المقبول، ولا يسعني إلا أن أتوجه إلى الله تعالى بالدعاء بأن يتجاوز عن هفواتي وهناتي وغفواتي، فإنما نحن بالله وله وهو ولي التوفيق.

الباحث عبد القادر كساوي

مستغاثم يوم الجمعة 11 شوال 1440 هـ الموافق ل 14 جوان 2019 م.

# الفصل الأول

في المفاهيم الأساسية لمصطلحات البحث

- 1- المصطلح ج.
- 2- اللسانيات.
- 3- الاستعمال اللغوي.
- 4- النسق.

• في المفاهيم الأساسية لمصطلحات البحث:

1- المصطلح:

أ- مفهوم المصطلح:

لقد تعددت تعريفات المصطلح بتعدد واضعيها وتعدد الاختصاصات، فكل يعرفه حسب تخصصه، إلا أن هناك سمات جوهرية مشتركة بين كل التعريفات، ومنها أنّ: «المصطلح كلمة أو مجموعة من الكلمات من لغة متخصصة علمية أو تقنية...، يوجد موروثاً أو مقترضاً ويستخدم للتعبير بدقة عن المفاهيم وليدل على أشياء مادية محددة». (1)

المصطلح أو الاصطلاح هو العرف الخاص، وهو اتفاق طائفة مخصوصة على وضع الشيء. إنّه مفردة صيغت وفق خصائص اللغة للدلالة على ماهية شيء محدد وحصلت على اتفاق المختصين. وهو الحاصل للمضمون العلمي في اللغة، وأداة التعامل مع المعرفة، وأساس التواصل في مجتمع المعلومات. وبمعنى آخر: «المصطلحات هي علامات المعرفة وسمات تعرف بها العلوم، وهي ألوان مختلفة مفتوحة تنتظم بها الحياة سكوناً وحركة، وتتعارف بها الأجيال وتتجاوز بها الحضارات وتتقدم بها الأمم». (2)

وجاء في كتاب التعريفات (للشريف الجرجاني) أن الاصطلاح: «عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول، وإخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما». وقيل

(1) - محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، مكتبة غريب، القاهرة مصر، د.ت. ص 9.

(2) - عمار ساسي، المصطلح في اللسان العربي من آلية الفهم إلى أداة الصناعة، ط 1، اريد، الأردن، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، 2009، ص 5.

«الاصطلاح اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى». وقيل «الاصطلاح إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد». وقيل الاصطلاح: «لفظ معين بين قوم معينين».<sup>(1)</sup>

يتوقف الدكتور (مصطفى طاهر الحيادة) عند هذه التعريفات التي قدمها (الرجاني) فيرى أن بعضها يحتاج إلى بعض الضوابط لتصبح صحيحة الصياغة، ففي التعريفين الأول والثالث المتضمنان دلالة الاتفاق فرما قام شخص ما باختيار مصطلح ما، واستعمله ثم أخذه الآخرون عنه وحدوه حدوه في دلالة المصطلح على المفهوم وفق ما اختاره واضعه الأول، ولكن لا يعني ذلك الاستغناء عن الاتفاق، فالاتفاق ضرورة بالنسبة للمصطلح، ولكن لا للوضع بل للاستعمال بعد الوضع...، وانطلاقاً من هذا يجد (الحيادة) أن التعريفات الثلاثة الأخرى التي يوردها (الرجاني) تبدو أنسب وذلك أنها تركز على الجانب الأهم، وهو الانتقال للدلالة على معنى جديد غير المعنى اللغوي.<sup>(2)</sup>

إلا أن معظم الباحثين يركزون على مسألة الاتفاق، وهو ما نلمسه في قول (الأمير مصطفى الشهابي): «من الواضح أن اتفاق العلماء على المصطلح شرط لا غنى عنه، ولا يجوز أن يوضع للمعنى العلمي الواحد أكثر من لفظة اصطلاحية واحدة، واختلاف المصطلحات العلمية في البلاد العربية داء من أدواء لغتنا الضادية»، وهذا ما تتخبط فيه أغلب المؤلفات الحديثة.<sup>(3)</sup> كما قال أيضاً: «المصطلح هو لفظ اتفق العلماء

(1) - الشريف الرجاني، كتاب التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط4، دار الكتاب العربي، بيروت، 1998، ص44.

(2) - مصطفى طاهر الحيادة، من قضايا المصطلح اللغوي العربي، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 2003، ج1، ص15.

(3) - محمد طي، وضع المصطلحات، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1992، ص39.

على اتخاذه للتعبير عن معنى من المعاني العلمية، وهي لا توجد ارتجالاً، ولا بد في كل مصطلح من وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة كانت كبيرة أو صغيرة بين مدلوله الاصطلاحي». (1)

وهناك من يرى المصطلح على أنه رمز لغوي يتألف من الشكل الخارجي والتصور؛ فقول فيه: «هو اللفظ أو الرمز الذي يحمل مفهوماً معيناً داخل مجال من مجالات المعرفة، يكون استعماله محصوراً بين المتخصصين غالباً ما يكون أحادي المعنى لأنه يحيل على تصور مقرر سلفاً، وإن تعدد معناه فغالباً ما يلحق هذا التعدد بالتصور الواحد»، وتبعاً لما تم بيانه يكون المصطلح هو الرمز اللغوي الضابط لمفهوم واحد والقائم على دعامتين: الرمز اللغوي والمفهوم. (2)

ويعد المصطلح عند بعض الدارسين "لغة خاصة أو معجم قطاعي يسهم في تشييد بنائه ورواجه أهل الاختصاص في قطاع معرفي معين، فكما قيل: «هو لفظ خاص يوضع من لدن أهل اختصاص معين؛ ليدل على معنى مقصود يتبادر إلى الذهن بمجرد إطلاق هذا اللفظ، مما يعني أن من خاصيته الاندراج ضمن تصور نظري محدود ومضبوط لا ينبغي له أن يبرحه، وهو أمر يجعله محروماً من حق الانزياح المباح للكلمات العادية». (3)

(1) - الأمير مصطفى الشهابي، المصطلحات العلمية في اللغة العربية، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط2، 1988، ص3.

(2) - علي توفيق الحمد، المصطلح شروطه وتوحيده، جامعة اليرموك، أربد الأردن، المجلد 2، ع1، 2005، ص2.

(3) - عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 1986، ص39.

وعليه فالمصطلح كلمة أو مجموعة من الكلمات تتجاوز دلالتها اللفظية والمعجمية إلى تأطير تصورات فكرية تقوى على تشخيص وضبط المفاهيم.

### ب- أهمية المصطلح:

إنّ الاهتمام بالمصطلح لم يكن وليد الحاضر فتراثنا الفكري العربي يزخر بكوكبة اصطلاحية ممتدة الجذور في العلوم المختلفة، ولعل ذلك نابع من الغزارة التوليدية التي تتمتع بها اللغة العربية في إنتاج المصطلح. إذ نعلم أن اللغة العربية كانت لغة حضارية أثرت المعرفة بإسهامها في تطوير العلوم، فكان لها ثروة مفرداتية هائلة من المصطلحات بكل تراكماتها المعرفية والتي شقت طرقها بين الحقول المعرفية لتجد مستقرها بين زوايا المنظومة الاصطلاحية. والتراث الفكري العربي بشموليته الحضارية لا يعدو أن يكون في جوهره مخزوناً معرفياً وثقافياً، يتبدى لنا في مدى اهتمام علمائنا العرب القدامى بالقضية الاصطلاحية لإقامة العلوم اللغوية بخاصة، حيث إنّ الدرس اللغوي في التراث يتميز بلغته الاصطلاحية التي يستند إليها ويوظفها في مجالات نشاطه؛ «فكل علم ينحت لنفسه من اللغة معجماً خاصاً».<sup>(1)</sup>

والحديث عن واقع اللغة عموماً واللغة العربية خصوصاً يرتكز على ازدهارها انطلاقاً من نماء رصيدها اللغوي، ثم قدرتها على استيعاب الجديد من المصطلحات، قال أحد المستشرقين الروس: «لقد أظهرت اللغة

(1) - ينظر: علي القاسمي، لماذا أهمل المصطلح التراثي، المناظرة (مجلة فصلية تعنى بالمفاهيم والمناهج)، الرباط، العدد 6، 1993، ص 33، 34.

العربية قوتها في القرون الماضية، وتستطيع هذه اللغة اليوم بفضل ثراء أصلها التاريخي ولما اكتسبته من الظواهر الجديدة؛ مثل كثرة المصطلحات العلمية والفنية الجديدة أن تسير التطور في جميع مراحلها ومجالاته». (1)

إنّ اللغة روح الأمة وعنوان من عناوين تقدمها وازدهارها، ولهذا تحرص الأمم على تجديد منظومتها المصطلحية؛ لتواكب المستجدات العصرية ومزاحمة اللغات الوافدة، حيث يؤدي المصطلح العربي إلى إثراء وازدهار اللغة العربية، وهو يشكل مدخلا لغرس المفاهيم الجديدة في الذهن العربية، فكل لغة قادرة على صناعة مصطلحها، وكل علم يصطنع لنفسه من اللغة معجما خاصا، فله مجموعة من المصطلحات التي يأخذها من اللغة نفسها والتي تؤدي إلى تميّزه عن غيره من العلوم؛ حيث يعتمد المعنيون بهذا المفهوم أو ذاك إلى وضع لفظ يدل عليه ويعرف به، وهم عادة يلتمسون ذلك اللفظ من ألفاظ لغتهم التي يستخدمونها حتى تكون قادرة على مواكبة كل جديد؛ لأن المصطلح العلمي هو أداة البحوث العلمية، وعن طريقه يتم التفاهم في شؤون المواد العلمية ويسر التواصل الدقيق بين الباحثين. (2)

وإنتاج المصطلح الذي تشهده اللغة في أي فترة من فترات حياتها هو "علامة صحية" كما يؤثر أن يقول (عبد السلام المسدي)؛ لأنه دليل على أن تلك اللغة واقعة في خضم احتكاك الحضارات تواجهه بقدرة

(1) - ينظر: عبد السلام المسدي: المصطلح النقدي وآليات صياغته، علامات (كتاب نقدي يصدر عن نادي جدة الأدبي الثقافي)، المملكة العربية السعودية، المجلد 02، الجزء 08، 1993، ص 57.

(2) - علي القاسمي، لماذا أهمل المصطلح التراثي، ص 33، 34.

راسخة حوار الثقافات في أعماق مدلولاته؛ حيث إن المصطلحات في كل علم من العلوم هي أولى قنوات الاتصال بين مجالات العلوم البشرية.<sup>(1)</sup>

لقد اعتنى القدماء العرب بالمصطلح لأنه قضية أساسية في الموروث اللغوي العربي؛ فأنشؤوا شبكة من المصطلحات تساعد على ضبط مفاهيم العلوم وتصنيف ظواهرها. ولهذا فتقديم المصطلح تقدما تكوينيا ونظريا يوقف الباحث والقارئ العربيين على تضاريس المصطلح ويجعلهما يدركان استيعابه في حقله المعرفي؛ ذلك أن كثيرا من المصطلحات قد اكتسبت حمولتها الفكرية والمفهومية عبر تشكلها في الزمان والمكان...، وهو موضوع حديث أيضا؛ لأن الحاجة إلى المصطلح أصبحت أكثر إلحاحا حين وجد العرب أنفسهم أمام حضارة علمية جاءت تغزوهم بعلومها وتتحداهم بمصطلحاتها؛ فكان على رواد الفكر العربي الحديث أن يبتكروا المصطلح للتعبير عن مظاهر الحداثة، وكان عليهم في نفس الوقت أن يترجموا المفاهيم والمصطلحات العلمية التي تزخر بها الحضارة الغربية الحديثة.<sup>(2)</sup>

وازدادت أهميتها مع نشاط الحركة العلمية والفكرية، وبدأ عهد الترجمة واحتاج المؤلفون والمترجمون إلى ألفاظ تدل بدقة على العلوم والفنون، وأصبح المصطلح مهما في تحصيل العلوم؛ لأنه «يجدد قصد المؤلف أو

(1) - عبد السلام المسدي، المصطلح النقدي وآليات صياغته، ص 13.

(2) - محمد علي الفاروقي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق الدكتور لطفي عبد البديع، القاهرة، 1963، ج 1، ص 1.

المترجم، وأخذ المهتمون بالعلوم يعنون به كثيرا لأن أكثر ما يحتاج به إلى الأساتذة هو اشتباه الاصطلاح؛ فإن

لكل علم اصطلاحا إذ لم يعلم بذلك لا يتيسر للشارع فيه إلى الاهتداء سبيلا ولا إلى فهمه دليلا». (1)

وغير خاف على أحد أهمية المصطلح باعتباره ركيزة أساسية ودعامة حيوية للممارسة العلمية ذاتها،

فليس هناك علم دون مصطلح، ولهذا السبب أولى العلماء بمختلف مشاربهم عناية فائقة للمصطلح باعتباره

مفتاح العلوم. وبهذا المعنى فإن عملية وضع المصطلح لا تخص كل مجال معرفي على حدة وكل عالم في مجال

تخصصه؛ بل هي أيضا موضوع علم المصطلح من حيث «هو علم مشترك بين اللسانيات، وعلم المنطق، وعلم

الوجود، وعلم المعرفة، والتوثيق، وحقول التخصص العلمي، وينعته الباحثون السوفياتيون بأنه علم العلوم». (2)

فالمصطلحات كما قال (الخوارزمي): «هي مفاتيح العلوم وهي ثمارها القصى، وهي مجمع حقائقها

المعرفية، وعنوان ما به يتميز كل واحد منها عن سواه، وليس من مسلك يتوسل به الإنسان إلى منطلق العلم

غير ألفاظها الاصطلاحية». أو كما قال (الشاهد البوشيخي): «فحسب أن المصطلحات هي خلاصات

البحث فيها في كل عصر ومصر، ببدايتها يبدأ الوجود العلني للعلم، وفي تطورها يتلخص العلم وهنا من

البديهي ألا تفهم تلك الصناعة ولا آثار أولئك القوم إلا بمعرفة تلك الألفاظ». وموقفه هذا يدعو أن الدراسة

(1) - علي القاسمي، لماذا أهمل المصطلح التراثي، ص 33 .

(2) - مصطفى غلفان، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات - أي مصطلحات لأي لسانيات؟ مجلة اللسان العربي، ع46، 1998، ص03.

المصطلحية هي الأولى وهي كل ذلك، فالفهم السليم لا بد له من فهم المصطلح، والتعليل السليم والاستنباط

السليم لا بد له من فقه المصطلح، والتقويم القويم والتركييب الصحيح لا بد له من ضبط المصطلح.<sup>(1)</sup>

فالمصطلح ركن أساس في كل علم؛ إذ به يسهل ويتيسر تبادل الآراء والأفكار بين علماء الأمة الواحدة

بينهم وبين غيرهم من علماء الأمم الأخرى، بالمصطلح يكون التدوين والتأليف ليتم التعاون بين علماء العالم

لينتفع الخلف بمجهود السلف، وعلى ذلك يقوم علم المصطلح الذي يعد من أحدث علم اللغة التطبيقي.<sup>(2)</sup>

إنه بهذا المعنى يمثل قاسماً مشتركاً بين الثقافات الإنسانية المختلفة، ولهذا أجمع أهل الاختصاص على القول

إن المصطلحات "مفاتيح العلوم"، والجهاز المصطلحي هو الكشف المفهومي الذي يحدد الحصن المعرفي للعلوم

المتختلفة؛ وفي هذا يذهب لساني عربي معاصر هو (عبد السلام المسدي) إلى القول: « الجهاز المصطلحي في

كل علم هو بمثابة لغته الصورية؛ بل قل هو رياضياته النوعية، وكل ذلك يفضي جدلاً إلى اعتبار كل مصطلح

في أي علم من العلوم ركناً يرتكز عليه البناء المعرفي». <sup>(3)</sup>

(1) - الشاهد البوشيخي، مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، دار الآفاق الجديدة، ط2، بيروت لبنان، 1990، ص13.

(2) - محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، ص19.

(3) - عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، تونس/ ليبيا، 1984، ص29.

تحتل المصطلحات أهمية كبيرة في مجال التنمية اللغوية ورفد اللغة بكثير من الألفاظ والتعبيرات الجديدة، وبخاصة في العلوم التطبيقية والتقنية نظرا للاطراد المستمر في مصطلحاتها، دون إهمال المفاهيم الكثيرة التي تميز العلوم الإنسانية.<sup>(1)</sup>

ومن الواضح أنه لا يمكن تخيل تناول مسائل علم من العلوم بالبحث والدراسة دون استعمال جهازه الاصطلاحي، مثل ذلك مثل عالم الرياضيات الذي يتناول معادلة رياضية دون استخدام الرموز التي هي اللغة الواصفة. كما أن معالجة القضية المصطلحية العربية المعاصرة في تعاملها مع المصطلح التراثي قد أفضت بنا ونحن على بسط البحث أن حركة وضع المصطلح كانت من اللحظات الركيزية في بواكير الحضارة العربية الإسلامية، ومن خلاله تم تعرّف العرب المسلمين إلى علوم الأوائل إذ ابتكروا جهازا مفاهيميا اصطلاحيا أكسب اللغة العربية ثراءً في رصيدها الاصطلاحي، وهو نشاط معلوماتي كان المصطلح فيه حوارا شاملا لجميع مجالات المعرفة.<sup>(2)</sup>

من هذا المنظور فالمصطلح إفراز للمعرفة وأداة لها في الوقت نفسه، إذ أن نمو عالم المصطلح رهن بنمو عالم المعرفة وإنتاجها، لذلك اكتسى البحث المصطلحي دورا أساسيا في مجال الفكر الثقافي العالمي؛ وكان أول مظهر من مظاهر اكتمال العلوم واستقلالها وتكامل رصيدها الفني، وبذلك أصبحت المصطلحات بمثابة الأدوات التي يعمل بها الفكر محققا درجة من النمو في حقل معرفي معين؛ إذ لا يمكن أن يتحدث عن العلم

(1)-عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، ط1، 1981، ط2، 1986، ص13.

(2)- علي القاسمي، لماذا أهمل المصطلح التراثي، ص 34.

بغير جهازه المصطلحي، ذلك أن للمصطلحات أهمية عظمى في بناء المعارف، ولا يمكن قيام معرفة أو علم دون وجود نسق من المصطلحات المتعاقبة تعالقا محكما مع نسق من المفاهيم، فالدارس لا يستطيع أن يفهم علما من العلوم إذا كان جاهلا بمصطلحاته، لأنها هي القاعدة الأساسية التي يتركز عليها البناء المعرفي، بل ليس من مسلك يتوسل به الباحث إلى أي معرفة من المعارف غير سجله الاصطلاحي، فيكون المصطلح بالنسبة للباحث نقطة تواصل ثقافي أو حوار ثقافي متعدد الأطراف.<sup>(1)</sup>

لقد ازدادت أهمية المصطلح وتعاضم دوره في المجتمع المعاصر الذي أصبح يوصف بأنه "مجتمع المعلومات" أو "مجتمع المعرفة"، حتى أن الشبكة العالمية للمصطلحات في فيينا بالنمسا اتخذت شعاراً «لا معرفة بلا مصطلح»، فعمليات الإنتاج والخدمات أصبحت تعتمد على المعرفة خاصة المعرفة العلمية والتقنية، فبفضل تكنولوجيا المعلومات والاتصال غيرت الشركات أدوات التصميم والإنتاج؛ فأخذت تصمم النموذج المختبري لمنتجاتها وتجربه بالحاسوب قبل أن تنفذه في المصنع...، ونتيجة للثورة التكنولوجية المعاصرة حصل اندماج وترباط بين أنواع المعارف والتكنولوجيات المختلفة أدى إلى توليد علوم جديدة، وصناعات جديدة، وخدمات جديدة...، واللغة هي وعاء هذه المعرفة والمصطلح هو الحامل للمضمون العلمي في اللغة، فهو أداة التعامل مع المعرفة وأس التواصل في مجتمع المعلومات، وفي ذلك تكمن أهميته الكبيرة ودوره الحاسم في عملية المعرفة.<sup>(2)</sup>

(1) - ينظر: عز الدين البوشيخي، قضية التعريف في الدراسات المصطلحية الحديثة (يوم دراسي) منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية رقم (24) سلسلة ندوات و مناظرات - 8- (وجدة)، ط 1، 1998، ص34.

(2) - مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، الملتقى الوطني حول "المصطلح والمصطلحية"، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، جامعة مولود معمري تيزي وزو، 2-3 ديسمبر 2014، ص48.

وبالتالي تكمن أهمية الدراسة المصطلحية في أمور عديدة، أهمها: موضوعها الذي هو المصطلحات، وهدفها الذي هو تبيين وبيان مفاهيم المصطلحات، ومنهجها الذي هو: «منهج الدراسة المصطلحية للمصطلحات وضرورتها الحضارية بالنسبة إلى الذات، لأنها تتعلق ماضيا بالذات وحاضرا بخطاب الذات ومستقبلا ببناء الذات».<sup>(1)</sup>

انطلاقا من هذه الأهمية التي اكتسبها المصطلح أصبح البحث في المجال المصطلحي ضرورة ملحة من جهة، وهو من أهم وأحدث البحوث اللغوية الأكثر رواجاً على ساحة البحث الحديث من جهة أخرى، وعليه فالإلمام بالمصطلحات ومعرفة مفاهيمها يعد شرطاً أساسياً في إتقان العلم والدراسة به، إذ ليس هناك علم بدون قوالب لفظية تعرف به وهي التي تشكل سجله الاصطلاحي.

## 2- اللسانيات:

إنّ هذا الكون الواسع يزخر بالأسرار التي يحاول الإنسان منذ وجوده على وجه الأرض أن يكشفها ولكن أقربها إلينا هي أسرار هذه الأرض التي نعيش عليها، ولا ريب أن من يدب على ظهرها هو الإنسان الحامل لمجموعة من الملكات الدفينة لتلك الأسرار، واللسان هو إحدى تلك الملكات الحاملة لأهم مظهر من مظاهر التعبير عن سلوك الإنسان. وهو ما سمح له بالظهور في كثير من الكتب والمصنفات وفي مقدمتها كتابنا المقدس، فقد وردت كلمة "لسان" في آيات كثيرة من القرآن الحكيم، ومنها قوله تعالى في سورة النحل: ﴿وَلَقَدْ

(1) - الشاهد البوشيخي، نظرات في المصطلح والمنهج، مطبعة أنفوبرينت، ط1، 2002، ص15.

نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ<sup>(1)</sup> وقوله أيضا في سورة إبراهيم: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }<sup>(2)</sup>.

وقد قال الزمخشري (ت 518هـ) في الآيتين المذكورتين أن اللسان هو اللغة، وقد استأثرت هذه الأخيرة باهتمام بالغ منذ القرون الغابرة؛ فهي وسيلة التفكير وقبل أن تكون كذلك هي وسيلة للعقل ومن أنجح الوسائل التي تَمَكَّنُ الإنسان من دراستها، وهي مؤسسة تتطلب ممارستها الوعي بحدودها إذ أنها وسيلة الفرد للتعبير عن مشاعره وعواطفه وأحاسيسه وما ينشأ في ذهنه من أفكار، ويعد هذا التعبير من أظهر الفوارق بين الإنسان وغيره من الأحياء، وكانت ولا زالت جهازاً إعلامياً لتبليغ الأفكار تكلماً وكتابة، كما أنها أداة لا غنى عنها في التعامل وموضوع لمختلف الدراسات والأبحاث حيث دارت حولها مننديات ومناقشات على اعتبارها أداة التواصل، فجاء ميدان دراستها واسعاً كبيراً، وكان لها علمها الخاص بها ألا وهو "علم اللغة"، وتولّد عن هذا العلم مصطلحات متعددة: كعلم اللغة العام وعلم اللسانيات وعلم اللسان واللغويات والألسنية واللسانيات وغيرها كثير.<sup>(3)</sup>

ومصطلح اللسانيات هو المصطلح الأكثر حظوظاً من بينها ظهوراً على سطوح الدراسات وولوجاً لأغوار البحوث اللغوية، ويرجع هذا المصطلح إلى الأصل اللاتيني "lingua" التي تعني لسان أو لغة وقد شاع

(1) - سورة النحل، (الآية 103).

(2) - سورة إبراهيم، (الآية 04).

(3) - ينظر: عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1، 2002، ص105.

استعمالها في اللغات الأوروبية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وتحدد معناها بتقديم علم اللغة في القرن العشرين.<sup>(1)</sup> ويشير مونان (Monnin) إلى أن أول استعمال لكلمة لسانيات (Linguistique) كان عام 1833م، أما كلمة لساني (Linguiste) فقد استعملها "رينوار Rainwouard سنة 1816 في مؤلفه "مختارات من أشعار الجوالاة".<sup>(2)</sup>

إنّ اللسانيات (Linguistique) تسمية حديثة نسبياً لمعرفة قديمة ضاربة في جذور الحضارة والفكر الإنسانيين، فقد ارتبطت بالتفكير الأول في المسألة اللغوية، باحثة ومستكشفة خصائص اللغات في بناها الصوتية والصرفية والتكوينية والمعجمية والدلالية والبلاغية خدمة لأغراض اجتماعية أو دينية، نلّف ذلك عند الهنود والفراعنة والصينيين والإغريق والعرب القدماء، ثم تطورت هذه المعرفة مكتسبة طرائق منهجية في التعامل مع ظواهر متعددة في اللغات، باحثة عن أوجه الشبه والالتقاء طورا وعن مكامن الانتظام والعقلانية طورا آخر؛ ففي القرن التاسع عشر أطلق مصطلح (Linguistique) على دراسة التغير اللغوي الذي يعرض للغة في مسارها الزمني، وترابط هذا التغير بمثيل له في لغة أخرى يظن ارتباطهما بأصل واحد، لذا لم يكن العلماء ينظرون بقدر من القبول والاحترام لدراسات لغوية لا تتمحور حول التشابه والانتماء للأصل الواحد، بل يمكن أن ننفي العملية على أية دراسة لا تتوسل التأريخ والمقارنة سبيلا للوصول إلى حالة اللغة، إلا أن

(1) - محمود عكاشة، علم اللغة مدخل نظري في اللغة العربية، دار النشر للجامعات، ط1، مصر القاهرة، 2006، ص9.

(2) - أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 2005، ص5.

ظروفا اجتماعية وحضارية متعددة فتحت مع نهاية القرن التاسع عشر في أوروبا وبداية القرن العشرين بابا جديدا لعلم لغوي عام عرف باسم "اللسانيات".<sup>(1)</sup>

ومادة هذا العلم هي البحث عن موضوع منسجم متماسك قابل للتصنيف؛ فكانت البداية من هذه النقطة بالذات حيث حاول تصنيف اللسان ضمن الوقائع اللسانية بوصفه واقعة اجتماعية، وشأنه شأن العلوم الأخرى تشكل من تراكمات معرفية أسهمت في بلورته قبل أن يأخذ طريقه إلى الاستقلالية مع العالم السويسري (فرديناند دي سوسير)، حيث رسم حدود هذا العلم وبيّن معالمه من خلال مجموعة من الثنائيات المتقابلة التي كان لها الأثر البالغ في المدارس اللسانية والمناهج النقدية المختلفة والمتعاقبة،<sup>(2)</sup> ومن الممكن جدا أن يكون هذا العالم قد تأثر بالنظرية الكلاسيكية القائلة: «بأن ثمة وجهين مختلفين لكل شيء في هذا الكون كلاهما يكمل الآخر».<sup>(3)</sup>

وانطلاقا من هذه الإجراءات بدأ سوسير Saussure «في صياغة تصوراته الجديدة للسان، وهي الأسس التي قادته إلى الفصل القاطع بين معطيات اللسان الموضوعية ما يشكل موضوع اللسانيات عنده، وبين تحققات الكلام المرتبطة بالفرد وتقلبات أهوائه، وهو أمر يصعب معه عزل عناصره والتحكم فيها

(1) - نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، د ط ، 2003، ص 13.

(2) - سعيد بنكراد، السيميائيات (النشأة والموضوع)، عالم الفكر، ع3، مجلد 55، يناير/ مارس، 2007، ص 17.

(3) - أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 164.

وتصنيفها، وترتب عن ذلك نتائج بالغة الأهمية عبّر عنها سوسير من خلال سلسلة من الثنائيات التي تعد

جوهر عمله الريادي في مجال اللسانيات الحديثة»<sup>(1)</sup>.

وقد لخصّ هذا العالم مهمة اللسانيات في ثلاث نقاط:

1- تقديم وصف لجميع اللغات وتاريخها بالإضافة إلى سرد تاريخ الأسر اللغوية وإعادة بناء اللغة الأم.

2- تحديد القوى الكامنة المؤثرة بطريقة مستمرة وشاملة في كافة اللغات، واستخلاص القوانين العامة التي تتحكم

في كل الظواهر التاريخية الخاصة.

3- تحديد نفسها والتعريف بنفسها.<sup>(2)</sup>

لقد استثمر اللسانيون وخاصة (دي سوسير) الكشوفات التي قدمتها العلوم التطبيقية وأصبحت

جهودهم علما أو كادت، فصارت اللسانيات «... في حقل البحوث الإنسانية مركز الاستقطاب بلا منازع،

فكل تلك العلوم أصبحت تلتجئ في مناهج بحثها وفي تقدير حصيلتها العلمية إلى اللسانيات وإلى ما تتيحه

من تقديرات علمية وطرائق في الاستخلاص...، ولما كان للسانيات فضل السبق في هذا المخاض الثقافي

والفكري والمعرفي الواسع؛ فقد غدت جسرا أمام بقية العلوم الإنسانية يعتليه الجميع بقصد اكتساب الأقصى

من الموضوعية والصرامة»<sup>(3)</sup>.

(1) - سعيد بنكراد، السيميائيات (النشأة والموضوع)، ص 17.

(2) - هيام كرديه، الألسنية الفروع والمبادئ والمصطلحات، الجامعة اللبنانية، ط 1، 2008، ص 3.

(3) - عبد السلام المسدي، منهج اللسانيات والبدائل المعرفية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ع 83 تصدر عن مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، 2003، ص 18.

إنَّه علم يعنى بدراسة اللسان البشري دراسة علمية موضوعية، من حيث هو نظام وقدرة ذاتية خلافة في ضوء تحليل اللغات الخاصة في بيئة زمانية ومكانية محددة بعيدا عن الأحكام الانطباعية والمعيارية الناتجة عن تدخل العلوم والمعارف اللغوية في محاولة تفسير ظاهرة اللغة اجتماعيا ونفسيا وعقديا وفلسفيا، فاللسانيات بناء يعيد نفسه باستمرار فقد يكون هذا العلم قديما ولكنه لا يعاد طرحه بنفس الصيغة وبنفس المعطيات وبنفس الوسائل الفنية، وإنما بأساليب ومعطيات ووسائل مختلفة تتماشى مع الوضع الراهن للظاهرة العلمية.<sup>(1)</sup>

وهذا ما نلمسه في تعريفها من قبل علماء اللغة في العصر الحديث: «بأنها العلم الذي يدرس اللغة دراسة علمية موضوعية للسان البشري بكل تعقيداته، وهو هدفها العام وذلك من خلال دراسة الألسن أو اللغات الخاصة بكل مجتمع بعيدا عن الأحكام المسبقة والمعايير المفترضة، ويعوزها التميُّزُ بالعلمية والموضوعية ولكنها تهتم أساسا بالدراسة العلمية للغات».<sup>(2)</sup>

وصرَّح (غاستون باري) بقوله: «أنَّ اللسانيات تقود من جهتها إلى النتيجة الأروع بالنسبة لكل علم، إنها ربط الأجزاء التي تبدو أكثر تجزئنا بالكل الأعم».<sup>(3)</sup>

(1) - نعمان عبد الحميد بوقرة، الدراسات اللسانية في المملكة العربية السعودية، دراسة وصفية تأصيلية في ضوء التلقي العربي للمناهج اللسانية الحديثة، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط1، 2011، ص14.

(2) - حلمي خليل، مقدمة لدراسة علم اللغة، دار المعرفة الجامعية، ط1، الاسكندرية - القاهرة، 2002، ص09.

(3) - ماري آن بافو وجورج إليا سرفاتي، النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، ترجمة: محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة، بيت النهضة، ط1، بيروت، 2012، ص7.

إنّ موضوعها هو نظرية اللغة ومناهج البحث فيها، وهو متعدد الأبعاد ولكنها تتناولها ككل وتغطي كل أبعاده بشكل يجعله موضوعا خاصا بها، والأساس النظري فيها هو كون اللغة ظاهرة إنسانية عامة تؤدي نفس الوظائف، وهي تتألف في بنيتها من أصوات تنتظم في كلمات تكوّن الجمل لتؤدي الدلالات المختلفة، فموضوع علم اللغة لا يقتصر على لسان معين من الألسن الإنسانية كالفرنسية أو الإنجليزية أو العربية أو...، وإنما يتناول اللغة من حيث هي وظيفة إنسانية عامة تبدو في أشكال نظم إنسانية اجتماعية تسمى "الألسن"، وهذه الألسن على اختلافها يتناولها علم اللغة بالدراسة الموضوعية وصفا وتاريخا، أي من وجهة نظر تزامنية أو تعاقبية ليصل إلى فهم الحقائق والخصائص الجوهرية التي تجمع بين الألسن جميعا، ومن هذا المنطلق تهدف اللسانيات العامة إلى وضع نظرية شاملة في بنية اللغة وكيفية تحليل هذه البنية إلى عناصرها التي تجعل منها وسيلة للتعامل في الجماعة اللغوية، وتقوم أيضا برسم الأسس المنهجية لتحليل اللغوي من جوانبه الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية.<sup>(1)</sup>

وما يسميه الغربيون "Linguistique générale" فهو يطلق على الدراسة الموضوعية للظواهر اللسانية العامة والخاصة، وذلك من خلال الألسنة الخاصة بكل قوم. فالألسنية أو اللسانيات أو علم اللغة أو اللسانة أو اللسانيات (la linguistique) هي العلم الذي يتخذ من اللغة الإنسانية موضوعا لدراسته. وقد ظهرت مفهومات هذا العلم الأساسية في أوائل القرن العشرين على يد العالم السويسري (فرديناند دي سوسير).

(1) - ينظر: عبد السلام المسدي، اللسانيات من خلال النصوص، مقالة محمود فهمي حجازي، الدار التونسية للنشر، 1984، ص 137.

يدرس هذا العلم اللغة دراسة علمية تقوم على الوصف الموضوعي ومعاينة الظواهر اللغوية بعيدا عن النزعة التعليمية والأحكام المعيارية، يقول مؤسس هذا العلم في محاضراته: «إن موضوع علم اللغة الوحيد والصحيح هو اللسان معتبرا في ذاته ولذاته» لتختتم أعماله بهذه العبارة المشهورة المتداولة على ألسنة اللسانيين: «وبما أن اللغة الإنسانية (langage) تتمثل بالألسن فالألسنية هي دراسة الألسن (langue)». (1)

ولو رجعنا إلى التعريف المشهور للسانيات وفصلنا فيه نجد أن تلك العلمية التي حظيت باهتمام كبير منسوبة إلى العلم وهو بوجه عام المعرفة الموثوقة التي يتوصل إليها الباحث عن طريق استخدام منهج علمي له إجراءات وقوانينه الخاصة به كدراسة ظاهرة ما عن طريق تفسيرها. لتعنى العلمية باختصار الدراسة التي تعتمد في دراستها لظاهرة عن طريق إخضاعها للتجربة والتحليل والاستقراء، ثم استنتاج القانون أو النظرية ثم الظواهر على منهج علمي له قوانينه وإجراءاته وأساليبه الخاصة به، فاللسانيات باعتبارها علما موضوعه الأساسي والوحيد اللغة الإنسانية تطمح أن تكون دراسة وصفية علمية بعيدة عن الاعتبارات المعيارية التي طبعت دائما الدراسات اللغوية والنحوية منها خاصة. (2)

والعلم نوعان: - نظري يفسر الظواهر ويبيّن القوانين التي تحكمها.

- وتطبيقي يطبق القوانين النظرية على الحالات الجزئية.

ومن الخصائص العلمية والمقاييس التي تتأسس عليها الدراسة العلمية:

(1) - هيام كريدية، أضواء على الألسنية، ط1، بيروت - لبنان، 2008، ص34.

(2) - ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون الجزائر، 1993، ص15.

- 1- الملاحظة.
- 2- التجريب.
- 3- الاستقرار المستمر.
- 4- الاستدلال الفعلي.
- 5- العمليات الافتراضية والاستنتاجية.
- 6- استعمال النماذج والعلاقات الرياضية.<sup>(1)</sup>

أما عن الشق الآخر من التعريف فقد حمل مصطلح الموضوعية: نسبة إلى الموضوعي وهو مشتق من الموضوع، والموضوعي كل ما تتساوى حالاته عند جميع الدارسين رغم اختلاف الزوايا التي يتناولها من خلال الموضوع.<sup>(2)</sup>

ولما كانت اللغة ظاهرة اجتماعية ذات طابع تجريدي صار البحث عن البديل ضرورة منهجية تتطلبها الدراسة الإجرائية ويفرضها المنهج العلمي التطبيقي، فكانت الجملة الممثل الشرعي للغة بصفتها جزءاً من ذلك النظام العام الذي هو اللغة. ولم تستقر اللسانيات على مفاهيمها ومناهجها إلا بعد أن قطعت شوطاً كبيراً من تنقية البحوث اللغوية مما علق بها من شوائب المنطق والفلسفة والتاريخ وغيرها من المعارف التي عملت على

---

(1)- السعيد شنوكة، مدخل إلى المدارس اللسانية، المكتبة الأزهرية للتراث، الجزيرة للنشر والتوزيع، ط1، دار السلام الحديثة، القاهرة، 2008، ص39.

(2)- المرجع نفسه، ص38.

إخضاع اللغة لمعاييرها ومناهجها، فكانت النتائج سلبية على العلوم اللغوية من حيث الصعوبة في التفسير والمعارية في التقنين والارتكاز في الاستدلال على التخمين.<sup>(1)</sup>

وبذلك فإن الهدف المباشر للسانيات هو الوصف العلمي للقواعد التي يستخدمها المتكلم خلال التواصل باللغة مع غيره من أفراد العشيرة اللغوية، حتى إذا استوفى اللساني الوصف أمكن استعمال نتائج بحثه في شتى الحقول لمختلف الأغراض ومنها تعليم اللغة. ويكون تحصيل الملكة اللغوية بواسطة القواعد التي وضعها اللساني هدفا غير مباشر للسانيات الوصفية.<sup>(2)</sup>

وعليه فالدراسات اللسانية تتوخى تحقيق الغايات التالية:

- 1- معرفة أسرار اللسان باعتباره ظاهرة إنسانية عامة في الوجود البشري.
- 2- كشف القوانين التي تتحكم في بنيته الجوهرية.
- 3- البحث عن السمات الصوتية والتركيبية والدلالية الخاصة لوضع قواعد كلية.
- 4- تحديد خصائص عملية التلفظ وحصر العوائق العضوية والاجتماعية التي تعوق سبيلها.<sup>(3)</sup>

(1) - عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د ط)، أوت، 1986، ص120.

(2) - محمد الأوراغي، اللسانيات النسبية وتعليم اللغة العربية، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، دار الأمان، ط1، الرباط، 2010، ص8.

(3) - السعيد شننوقة، مدخل إلى المدارس اللسانية، ص39.

ومن هنا برز الإشكال الأساسي الذي أرق (دي سوسير) وهو البحث عن وحدة منسجمة متناعمة، تختصر كل تغيرات الكلام وتؤطرها بحيث لا تتأثر بكل ما يتعلق بالأفراد من تنوعات وتقلبات في الأفكار والأهواء. ليطلق سوسير على هذه الوحدة المنسجمة بـ "اللسان" واعتبرها الموضوع الوحيد والمباشر للسانيات، لذا كان علينا التمييز بينه وبين "اللغة" منهجياً، إذ لا يمكن للكلام أن يكون موضوعاً للسانيات كونه فردياً متنوعاً، وينسحب هذا على اللغة أيضاً كونها فردية وجماعية متعددة الأشكال يصعب تصنيفها ضمن الوقائع الإنسانية حيث تتقاسمها علوم متعددة: فيزيائية، فيزيولوجية ونفسية... ليبقى اللسان وحده كلاً متكاملًا في ذاته ومبدأً قابلاً للتصنيف مما يرشحه لأن يكون موضوعاً مباشراً وعملياً.<sup>(1)</sup>

لقد حدد سوسير موضوع اللسانيات بأنه دراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، وهذا إعلان عن قطيعة معرفية بين اللغة وكثير من المعارف والعلوم التي تبنتها وحاولت وصفها وتفسيرها. من هنا كان توظيف اللغة لخدمة نفسها الأساس الذي انبنت عليه جل المدارس اللسانية «وهكذا ستكف اللسانيات عن أن تكون تابعة للمعارف البشرية الموازية لها، لتصبح تدريجياً متبوعة بما حاملة للريادة المنهجية والأصولية».<sup>(2)</sup>

واكتسبت مع فرديناند دي سوسير وتلامذته من أعلام البنيوية الشكلية بخاصة "لويس يلمسليف" صفة المثولية والاستقلالية عن سائر العلوم الأخرى، فغدت علماً واصفاً للنسق اللساني باعتباره معطى بشري خارج عن

(1) - ينظر: فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ص 27-31.

(2) - عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، ص 120.

عرف التاريخ وحتميته، يمكن تجزئته إلى وحداته الأساسية الدالة وغير الدالة، وهذا التصور هو ما حدد بالضبط

بمصطلح اللسانيات العامة أو النظرية (General Linguistics).<sup>(1)</sup>

احتلّ مصطلح اللسانيات اليوم مكانة مرموقة و متميزة في سلم العلوم الإنسانية والاجتماعية والدقيقة أيضا، إذ صنف هذا العلم في صدارة الدراسات اللغوية في العالم، ولهذا عدّ عصرنا عصر الألسنية من دون جدال. ولعل أهم العوامل التي تؤكد هذه الأهمية ارتباطها بأهم موضوع في حياة الإنسان ووجوده، ألا وهو موضوع اللغة، وتُرَدُّ أهمية هذا الموضوع إلى الحاجة القصوى لدى الإنسان للتعبير والتبليغ بوساطة الكلمات عن الأفكار والأحاسيس، فهي المسؤولة - أي اللغة - في تجسيد العالم المثالي والممكن في الواقع الإنساني بكل تظاهراته المادية والروحية، ومن ناحية أخرى شكلت اللسانيات في الحقبة الأخيرة وتحديدًا منذ بدايات القرن العشرين ثورة كوبرنيقية ومنهجية على صعيد النظر إلى الظاهرة اللغوية وكيفية التعامل معه، باعتبارها وسيطا فعالا لنقل الخبرة العلمية وإعالتها ماديا ثم تطوير آفاق البحث فيها.<sup>(2)</sup>

وبلغت الآن حد العلم المتكامل رغم قصر المسار الزمني الذي قطعتة والذي يجمع روادها على الانطلاق به من دروس "فرديناند دو سوسير"، وأول مظهر من مظاهر اكتمال العلم إفرازه لثبته الاصطلاحي الخاص به، والبحوث اللسانية ما انفكت تولد المصطلحات الفنية بعضها بالوضع وبعضها بالاقتراس والمجاز حتى يتسنى تأسيس القواميس اللسانية المتخصصة.<sup>(3)</sup>

(1) - نعمان عبد الحميد بوقرة، الدراسات اللسانية في المملكة العربية السعودية، ص15.

(2) - نعمان عبد الحميد بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، ص5.

(3) - عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص22.

وصدّق حدس الأنثروبولوجي الفرنسي (كلود ليفي ستروس Claude Levi Strauss) عندما أشار إلى أن اللسانيات بحكم توجهها العلمي ستصبح جسرا تَعْبُرُهُ جميع العلوم الإنسانية "علم الاجتماع والتاريخ والفلسفة والأدب..." في محاولة لتحسين مواقعها ونتائجها.

هذا ما حصل بالفعل في الغرب فقد غدت اللسانيات رائدة العلوم الإنسانية بإطلاق وهي تحقق لنفسها طابع الشمول والتفرد والخصوصية، حتى أصبح من «فضول القول لدى ذوي العلم والرجحان أن يتحدث المرء اليوم عن منزلة اللسانيات ووجاهة شأنها، فلو فعل لكان شأنه لديهم شأن من ينوه بالرياضيات الحديثة بين أهل العلوم الدقيقة، أو شأن من يمتدح قيمة التحاليل العضوية وكشوف الأشعة في حقل العلوم الطبية». وبذلك أربكت اللسانيات حسابات وافتراضات الرافضين لعملية العلوم الإنسانية، بل وأعدت النظر في الكثير من المفاهيم المتداولة، ومن ذلك مفهوم العلم وشروط تحققه.<sup>(1)</sup>

في هذه الأهمية يقول (المسدي): «فالسانيات اليوم موكول لها مقود الحركة التأسيسية في المعرفة الإنسانية من حيث تأصيل المناهج وتنظير طرق إحصائها وليس هذا فحسب ولكن أيضا من حيث أنها تعكف على دراسة اللسان فتتخذ اللغة مادة لها وموضوعا، ولا يتميز الإنسان بشيء تَمَيِّزُهُ بالكلام، وقد حده الحكماء منذ القديم بأنه الحيوان الناطق، وهذه الخصوصية المطلقة هي التي أضفت على اللسانيات من جهة أخرى صبغة الجاذبية والإشعاع في نفس الوقت. فاللغة عنصر قار في العلم والمعرفة، سواء ما كان منها علما دقيقا أو معرفة نسبيا أو تفكيريا مجردا، فباللغة نتحدث عن الأشياء وباللغة نتحدث عن اللغة وتلك هي وظيفة ما وراء اللغة، ولكننا باللغة

(1) -حافظ اسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت لبنان، 2009، ص55.

أيضا نتحدث عن حديثنا عن اللغة، بل إننا باللغة - بعد هذا وذاك - نتحدث عن علاقة الفكر إذ يفكر باللغة من حيث هي تقول ما تقول، فكان طبيعيا أن تستحيل اللسانيات مولدا لشتى المعارف»<sup>(1)</sup> وعلى الرغم من التحولات المتسارعة التي يشهدها البحث اللساني إلا أنه يظل محتاجا إلى إعادة التأسيس. أي أن الدرس اللساني مطالب بالعمل على تميم قوانينه واستعادة أدواته من كافة الحقول المعرفية الأخرى.

والمأمل والمتتبع لخريطة البحث اللساني في المجال التداولي العربي يلاحظ أن اللسانيات في ثقافتنا لا تزال «ذلك المجهول الذي يثير فينا ريبا وشكا، وتوجسا وخوفا، أكثر مما يثير فينا نزعة -ولو فضولية- لمعرفة موقفنا من واقع الثقافة والعلم والمعرفة في العالم. فعلم اللسانيات لم يحظ بعد بالأهمية التي حظي بها في الغرب، إذ على الرغم من مرور قرون على معرفته والعلم به والبحث فيه وتدريبه في الجامعات العربية، مازال علما غريبا على جمهور المثقفين في الوطن العربي، ناهيك بجمع غفير من القائمين على تعليم اللغة العربية في المدارس والمعاهد وتلك - لا شك - آفة من آفات انفصال الجامعات العربية عن مجتمعاتها»<sup>(2)</sup>.

لقد جلبت هذه البحوث والدراسات اللسانية الحديثة معها زخما هائلا من المصطلحات الجديدة، نتيجة بروزها كعلم جديد في مواطن أوروبا، واستطاعت أن تفرض وجودها على كل ميادين المعرفة الإنسانية لأنها تبحث في آلية الإنتاج العلمي وهي اللغة، إلا أنها لم تتطور التطور اللازم لنضجها ولم تكتمل صورتها النهائية كما يريد لها أصحابها، فهذا العلم «لا يزال في أفقه الكثير من المسائل الأساسية التي اقترحها بعض علمائها لبحثها، ورسم طرائق بحثها، ولكنها تنتظر زمنا وجهدا لتجليتها والوصول فيها إلى كلمة "علم"»<sup>(3)</sup> والمصطلح اللساني واحدا من

(1) - عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، المرجع السابق، ص 17.

(2) - ينظر: حافظ اسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 57.

(3) - محمود السمران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، ط2، القاهرة مصر، 1990، ص 22.

تلك المصطلحات التي شغلت اهتمام الباحثين واللغويين في الميادين اللسانية المختلفة، باعتباره مصطلحا قرين

التجديد والابتكار وبابا من أبواب الكشوف العلمية.<sup>(1)</sup>

### 3- النسق:

#### أ- تعريف النسق:

نَسَقْتُ الكلامَ نَسَقًا: عطفْتُ بعضه على بعض، ورتبته، وقد "تَنَاسَقَ" كلامه: جاء على نَسَقٍ ونِظَامٍ، و"النَّسَقُ من كلِّ شيءٍ: ما كان على طريقةٍ ونظامٍ واحدٍ من كلِّ شيءٍ"، ويقال: كلام نسق: متلائم على نظام واحد/ على نسق واحد/ على نمط واحد.<sup>(2)</sup> وقد نسقته تنسيقا... والتنسيق التنظيم، فالنسق في اللغة ما كان على طريقة نظام واحد عام في الأشياء،<sup>(3)</sup> «إنه مجموعة من العناصر يرتبط بعضها ببعض بحيث تكون كلاً منظماً»، والنسق اللفظي: الترتيب النحوي للكلمات في الجملة أو العبارة.<sup>(4)</sup> "إنه مجموعة متماسكة من التصورات والأفكار والمبادئ المترابطة منطقياً والمحترمة في تسلسلها".<sup>(5)</sup>

(1) - مصطفى طاهر الحيادة، من قضايا المصطلح اللغوي العربي، (الكتاب الأول)، عالم الكتب الحديث، ط1، اربد الأردن، 2003، ص7.

(2) - أحمد أبو حاقه وجماعة من المختصين، معجم النفاث الكبير، ج2، دار النفاث، ط1، بيروت - لبنان 1428هـ - 2007م، ص1989.

(3) - إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ج4، دار العلم للملايين، ط4، بيروت - لبنان 1990م، ص1558.

(4) - أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج3، عالم الكتب، ط1، القاهرة، 1429هـ - 2008م، ص2204.

(5) - أ. مولز - ك زيلتمان - ك أوريكيويني، تر: محمد نظيف، في التداولية المعاصرة والتواصل، المرجع السابق، ص166.

إن مفهوم النسق هو مفهوم فلسفي الأصل وهذا ما ألمح إليه (جان بيار فرنان Jean-Pierre Fernand) الذي يرى أن فلاسفة اليونان أول من تصوروا محاثة دقيقة للنسق «فلكي تحل الفلسفة الصعوبات النظرية التي تواجهها اصطنعت لغة خاصة بها وعملت على إبداع مفاهيمها وبناء منطقتها وعقلانيتها الخاصة».<sup>(1)</sup>

نلاحظ مما سبق أنّ أغلب المحاولات لتعريف النسق هي محاولات تفاوتت في دقتها ووضوحها، ولعل أفضل هذه التعاريف هو ذاك التعريف الذي يرى أنّ النسق ذلك الكل الذي يتكون من أجزاء متداخلة فيما بينها ومعتمدة على بعضها ببعض.

#### ب- النسق عند النقاد العرب:

لقد تطرق معظم النقاد والأدباء القدامى إلى مفهوم النسق وحظي بأهمية كبيرة عندهم وكان ذلك جليا من خلال حديثهم عن الانسجام والترابط في الكلام، كما أن معظم كتبهم البلاغية تحدثت عن الكيفية والطريقة التي يتبعها الناظم للكلام سواء شعرا أو نثرا في ربطه الكلام ببعضه ببعض بطريقة منسقة ومنظمة.

ويعتبر كتاب "سر الفصاحة" ل(ابن سنان الخفاجي) أول كتاب تناول مفهوم النسق حيث جعل فيه فصلا يتحدث عن الكلام المنتظم والمنسق، إذ يقول: «الكلام عندنا ما انتظم من الحروف، أي من حرفين فأكثر، وهو يشترط هنا الانتظام في الكلام، فإن لم يكن الكلام منظم ومنسق على طريقة واحدة لا يصح

<sup>(1)</sup> - جان بيار فرنان، أصول الفكر اليوناني، ترجمة سليم حداد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1987، ص118.

وصفه بأنه كلام». (1) ليتداول بعد ذلك مفهوم النسق عند بعض الدارسين العرب وهذا بعدما كان له أهمية بالغة عند الغرب.

وقد تحدث عنه (كمال أبو ديب) في كتابه "جدلية الخفاء والتجلي" وجعل فصلا من كتابه هذا سماه "الأنساق البنيوية في الفكر الإنساني"، وبيّن من خلال هذا الفصل أن دراسة الأنساق احتلت مكانة بارزة في النقد الغربي الحديث خاصة النقد البنيوي وكذلك الشكلانيون أما في الدراسات العربية فإن مفهوم النسق ودوره في تشكيل بنية العمل الأدبي مازال شبه غائب كما قال (أبو ديب). (2)

ويعرفه (عبد العزيز حمودة) بقوله: «هو مجموعة القوانين والقواعد العامة التي تحكم الإنتاج الفردي للنوع وتمكنه من الدلالة، ولما كان النسق تشترك في إنتاجه الظروف والقوى الاجتماعية والثقافية من ناحية والإنتاج الفردي من ناحية أخرى (...) فإن النسق ليس نظاما ثابتا وجامدا، إنه ذاتي التنظيم من جهة ومتغير يتكيف مع الظروف الجديدة من جهة ثانية»، وقد حاول أن يضبط ويحدد لهذا المصطلح تعريفا يحيط به ولكنه يعترف بأن تعريف النسق بسيط ومراوغ في نفس الوقت. (3)

ورغم أن العديد من الدراسات تناولت هذا المصطلح إلا أن التباين واضح في تعريفها له باعتباره أحد أهم المفاهيم التي دخلت ميدان الدراسات الأدبية واللغوية، فهي هو (أحمد يوسف) يعرفه ويربطه بمفهوم القراءة

(1) - الخفاجي، سر الفصاحة، دار الفكر، ط 1، عمان، 2006، ص 28.

(2) - كمال أبو ديب، جدلية الخفاء والتجلي، دار العلم للنشر، ط 1، 1979، ص 108.

(3) - عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، عالم المعرفة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 232، ص 193.

قائلا: «القراءة في عمومها ليست منهجا نقديا محددًا إنما هي طرح مفتوح أمام كل المقاربات التي يعتمل فيها الوعي النقدي من أجل البحث عن مقولة النسق انطلاقًا من الداخل أو من الخارج الداخلي للنص». كما وضح هذا الأخير المرجعيات التي استقى منها مفهوم النسق حتى يتبين للقارئ جذور هذا المفهوم وتجلياته محددًا طبيعته التي لم يتركها محل تأويلات، ونلمس ذلك من خلال قوله: «وقد استقيننا مفهوم النسق تحديدا من المرجعية الفلسفية واللسانية قصد الوقوف على أوجه التباين والتشاكل بين القراءتين السياقية والنسقية».<sup>(1)</sup> مضيفا عن طبيعته: «النسق هنا ليس معطى قبليا ومفهوما جاهزا، بل هو متصور يتم بناؤه حسب قدرات القارئ وإمكاناته المعرفية وأدواته النقدية ووعيه المتقدم».<sup>(2)</sup>

لقد تمّ تحديد معنى النسق من المنظور الفلسفي «على أنه مجموعة نظريات مترابطة متشابكة متكاملة تؤلف كلا عضويا يفسر بعض أجزائها بعضها الآخر»، وهو «جملة العناصر المرتبطة بعضها ببعض مشكلة وحدة محددة أو كيان فكري مستقل من العلاقات الداخلية»<sup>(3)</sup> والملاحظ من خلال هذا التعريف الأخير أن مفهوم النسق من المنظور الفلسفي يطابق مفهومه من المنظور العام ليخدم كل الحقول المعرفية على سواء الفلسفية واللغوية واللسانية وغيرها.

### ت - النسق عند العلماء المحدثين:

(1) - أحمد يوسف، القراءة النسقية سلطة البنية وهم المحاثة، الدار العربية للعلوم، ط1، 2007، ص10.

(2) - المرجع نفسه، ص301.

(3) - سليمان أحمد الظاهر، مفهوم النسق في الفلسفة (النسق: الإشكالات والخصائص)، مجلة جامعة دمشق - المجلد 30، العدد 3+4، 2014، ص370.

يبني النسق على مفهوم رئيس واحد يعد المقولة المركزية فيه ويجاوب اللغوي تطبيقها على كل نظريات النسق، وتشتق منه مفاهيم ومقولات أخرى ذات دلالات متحولة تضبط النسق بأكمله عبر توظيفها في نظريات محددة. فالمفهوم الرئيس في النسق بحسب (دولوز Dulloz) «ليس بسيطاً بل مركباً، يمتلك مكونات وعناصر يحدد بها، إنه ينمو ويتسع ويتشعب من تطبيق المفهوم الرئيسي على مختلف النظريات داخل النسق، فماهية النسق تكمن في إمكانية رده إلى وحدة التفسير التي تركز إلى المفهوم الرئيس الذي يحكم النسق». أي أنه مجموعة من العناصر المتداخلة تشكل كلا موحداً، والسمة النوعية له: هي وجود "صلات تضايف" بمعنى أنّ هذه العناصر هي أنساق متجاورة لها خاصية التبادل مع بعضها مشكلة فيما بينها نسقاً موحداً للنص، له خاصية التكامل معطية صيغة حيوية للتحليل العلمي والمعرفي، وهذا ما تبنته المعاجم والموسوعات الفلسفية من خلال تعريف لفظة نسق اليونانية (systema) بأنها تعني «الكل المركب من الأجزاء».<sup>(1)</sup>

إنّ النسق هو ذلك الربط الذي يحكم العلاقة بين العناصر اللسانية ومستوياتها ويربط بعضها ببعض، وأي اختلال في هذا الربط بين العناصر يفقد النسق توازنه. إنّه مرادف لمصطلح البنية وهو يشير أيضاً إلى مجموعة من القواعد التي ترتبط فيما بينها.<sup>(2)</sup>

ومع بداية القرن العشرين كثر استعماله عند المحدثين، خاصة مع مجيء عالم اللغة السويسري (فرديناند دي سوسير) الذي يعد أكثر اللسانيين اهتماماً بالنسق حيث تردد مصطلح النسق في محاضراته بكثرة مقصوداً

(1) - ينظر: الموسوعة الفلسفية، وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفيات، بإشراف، م. روزنتال وي بودين، ترجمة: سمير كرم، مراجعة صادق جلال العظم وجورج طرايشي، دار الطليعة، ط1-1974، ط2-1980، بيروت، ص 526.  
(2) - أحمد يوسف، القراءة النسقية سلطة البنية وهم المحايثة، ص120.

في ذاته وبديلاً لمصطلح البنية في أحيان أخرى، فهو يمثل المحور الأساسي في نظريته، واللغة في تصوره نسق لا يعرف إلا طبيعة نظامه الخاص وهي نسق سيميائي يقوم على اعتبارية العلامات، لاتباعه كثير من البنيويين في هذا الاهتمام بالنسق حتى أطلق (ميشال فوكو) على جيله اسم "جيل النسق".<sup>(1)</sup>

لقد شكلت قضية النسق - كمصطلح - جزءاً مهماً من أعمال (فيرديناند دي سوسير) اللغوية "نظرية النسق اللغوي" التي يرى فيها أن النسق هو "تلك العناصر اللسانية التي تكتسب قيمتها بعلاقتها فيما بينها لا مستقلة عن بعضها... وقد استعمله في (Troisième cours de linguistique générale) كعنوان فصل خصصه للحديث عن الدلالة "اللغة نسقا من الدوال" غير أن ناشري الكتاب لم يؤيداه في اقتراحه هذا العنوان واحتفظا عند النشر بعبارة "طبيعة الدلالة اللغوية". والحال أن مفهوم النسق يتنوع عبر صيغ صارت معروفة غاية المعرفة وترد ضمن ملاحظات متعلقة بموضوعات أخرى.<sup>(2)</sup>

كان هذا العالم من أكثر اللسانيين شغفاً بالنسق حيث كان يسعى لتحديده طوال حياته كما يقول (أنطوان ماييه Antoine Mayet) الذي كان بدوره ينظر إلى اللغة على أنها نسق مركب من أدوات التعبير، فمن الصعب تصور النسق اللساني خارج إطار الكلية والانسجام. لهذا ظهرت النزعة العدائية للفلسفة الذرية من قبل القراءة النسقية بعامّة والبنوية بخاصة.<sup>(3)</sup> ومعنى هذا أن العناصر اللسانية التي تكون الخطاب هي في علاقات تجاور وانسجام وتماسك لكي تعطي دلالتها المقصودة والتميزة في النص، هذه الدلالة

(1) - أحمد يوسف، القراءة النسقية سلطة البنية وهم المحايثة، ص 117.

(2) - ماري آن بافو وجورج إليا سرفاتي، النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، ترجمة: محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة، بيت النهضة، ط 1، بيروت، 2012، ص 126.

(3) - أحمد يوسف، القراءة النسقية سلطة البنية وهم المحايثة، ص 117.

المقصودة التي نعتقد أنها محملة بشحنة إيديولوجية من أجل استكمال معنى الخطاب الكامل, وعموما فإن «النسق عقلاني وعقلانيته غير قصدية».<sup>(1)</sup>

وبفضل (دي سوسير) ونخبة من اللسانيين أدركت المقاربات البنوية أهمية النسق وأخذت على عاتقها مهمة البحث عن مواصفاته مسلمة بأنه جملة من القوانين التي تحكم بنية الظواهر. فمن المعلوم أن بنية البنى لا يستقيم عودها إن هي افتقرت لوجود نسق ترتكز عليه، وهذا النسق يخضع بدوره إلى شروط موضوعية تتمثل في الجوانب مختلفة من اجتماعية وثقافية وغيرها. وإذا كان النسق محكوما بتلك الشروط الموضوعية فهذا يحتم عليه ألا يكون ثباته مطلقا وسكونه مغلقا، وهذا ما أكده (دي سوسير) بتصريحه بأن النسق اللساني جوهره التباين والاختلاف، ليوافق هذا أيضا هوى (جلال الدين الرومي) القائل: «بأن ما يبدو لنا تناقضا في الظاهر هو في الحقيقة انسجام خفي». وهكذا تتطابق النظرة الصوفية مع النظرة العلمية والفلسفية في مسألة خفاء النسق وتحليله.<sup>(2)</sup>

وقد شاع مصطلح النسق عند أصحاب حلقة براغ وعلى رأسهم (تروبتزكي Troptzky) و(ياكسون Jacobson) حيث تناولا مفهوم النسق، وقد أخذ أصحاب هذه المدرسة عن الشكلايين وطورت مفاهيمهم وتحديثوا عن بنية النسق اللساني العام لأنه أساس في الدراسات الصوتية، وهكذا صار النسق الفونولوجي مبدأ البنيويين بمعنى سمة من سمات التفكير البنيوي، وبذلك استطاع البنيويون الوصول إلى مفهوم

(1) - عمر مهيبيل، من النسق إلى الذات، قراءات في الفكر الغربي المعاصر، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2000، ص 66.

(2) - ينظر: أحمد يوسف، القراءة النسقية سلطة البنية ووهم المحاثة، ص 122.

النسق الذي جاء به (دي سوسير)، غير أن هناك اختلاف وتباين بين لسانيات براغ ولسانيات (دي سوسير).<sup>(1)</sup>

إنّ النسق يعني في أبسط معانيه العلائقية أو الارتباط أو التساند، وحينما تؤثر مجموعة وحدات وظيفية بعضها في بعض فإنه يمكن القول أنها تؤلف "نسقا" ويتكون النسق من مجموعة من العناصر أو من الأجزاء التي يرتبط بعضها ببعض مع وجود متميز أو مميزات بين كل عنصر وآخر، واعتمادا على هذا يمكن استخلاص عدة خصائص للنسق:<sup>(2)</sup>

- أن كل شيء مكون من عناصر مشتركة ومختلفة فهو نسق.
- له بنية داخلية ظاهرة.
- له حدود مستقرة بعض الاستقرار يتعرف عليها الباحثون.

وفي عصاره لما سبق من شروط وخصائص للنسق نتبين أن النسق مجموعة من الأجزاء تكون متماسكة ارتباطا ومتكاملة حركيا ومتكافئة وظيفيا ومتناغمة إيقاعيا، فالنسق كائن يتنفس ويحي حضوريا ووظيفيا من خلال تكامل وظائف أجزائه المتكاملة المتماسكة. إنه يتألف من نظريات تحتوي كل واحدة منها على موقف معين من مشكلة معينة؛ إذ تكون نظرياته كلها مترابطة ومتكاملة البناء.<sup>(3)</sup>

(1) - أحمد يوسف، القراءة النسقية سلطة البنية ووهم المحاينة، ص 129.

(2) - محمد مفتاح، التشابه والاختلاف (نحو منهجية شمولية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت - لبنان، 1996، ص 156.

(3) - ينظر: أحمد يوسف، القراءة النسقية سلطة البنية ووهم المحاينة، ص 10، 117.

ويمكن الحديث عن النسق عند علم معين بمعنى الإطار الفكري الذي يربط أفكاره بعضها ببعض في وحدة عضوية من دون أن تحتوي تناقض أو تقاطع، من دون أن تُغيب في فكرة النسق الإشارة إلى البيئة المحيطة به وتنطوي هذه البيئة على أقصى درجات التفاعل والتداخل بين مختلف عناصر ومكونات النسق، وكذلك تثير مسألة البيئة ومشكلة الحيز الذي يحيط به النسق ويتبادل معه التأثير والتأثر، والنسق في ضوء انفتاحه على مكون اللغة يؤسس نظاما من العلاقات المرجعية الخاصة والاحتمالات الانتشارية اللاحائية حيث تضحى العلاقة بين الدال والمدلول علاقة اعتبارية لا حد لها، فاللغة تعد ميزة يتحدد بها مفهوم النسق، وما يمكن الإشارة إليه أن مفهوم النسق لا يعمل بكفاءة عالية وبطريقة منتظمة إلا حينما تنزله من النظرية إلى التطبيق.<sup>(1)</sup>

#### 4- الاستعمال اللغوي:

الاستعمال هو المادة التي أخذت من القبائل العربية عن طريق السماع، ومن ثم القياس عليها لاستنباط قواعد اللغة التي استقرؤها تباعا للمعايير الزمانية والمكانية، وقد تختلف رقعتها ضيقا أو اتساعا حسب الأشخاص الدارسين واختياراتهم. وقد دارت هذه المفردة في كتب النحو والتفسير والبلاغة بشكل كبير، وهو ما جعل التهانوي يعرفه بقوله: "الاستعمال مرادف العادة".<sup>(2)</sup> وقد ذكره عند الحديث عن الحقيقة اللغوية إذ

(1) - ينظر: الموسوعة الفلسفية، وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفيات، ص 526.

(2) - التهانوي. محمد علي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، طبعة 1 تحقيق علي دحروج وزملاؤه، مكتبة لبنان، 1996، ص 689/1.

قال: "هي اللفظ المستعمل فيما وضع له؛ أي وضع به التخاطب، وهي قسمان: مفردة وهي الكلمة

المستعملة فيما وضعت له، ومركبة وهي المركب المستعمل فيما وضع له.<sup>(1)</sup>

وإذا ما نظرنا إلى علوم تراثنا العربي من نحو وبلاغة وفقه وأصول وتفسير وقراءات بعدّها وحدة متكاملة في دراسة اللغة، يمكن أن نميز من اتجاهاتها ما يهتم بوجه استعمال اللغة، وما يتصل بها من قرائن غير لفظية، نحو: منزلة المتكلم وعلاقته بالسامع، وحالة كلّ منها النفسية، والاجتماعية، والأدائية (حركة، صمت، ظروف التواصل الزمانية والمكانية...) وغيرها.<sup>(2)</sup>

ولم يكن علم النحو ليتناول البنية اللغوية دون النظر إلى أحوال الاستعمال المختلفة، حيث اهتم بمسائل مرتبطة بالمتكلم بعدّه منتج الخطاب، مما يظهر أثره على البنية ذاتها، وكذلك السامع ونص الخطاب، وذلك أنّ اللغة وهي موضوع النحو تقوم على مفاهيم الاستعمال والتداول.<sup>(3)</sup>

إنّ الاستعمال في حقيقته مرحلة لاحقة للوضع؛ فمن مضان وضع الألفاظ والمصطلحات أن تستعمل وتجري على الألسن وتسدّ حاجات التواصل والكتابة العلمية المتخصصة، غير أنّ كل ذلك محكوم بضوابط لسانية وسوسiolسانية (sociolinguistique).

(1) - التهانوي، محمد علي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ص 1 / 691.

(2) - خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ردمك، ط 1، 2009، ص 153.

(3) - المرجع نفسه، ص 217.

ومفاد الاستعمال أو "l'usage" مجموعة قواعد اللغة المثبتة نسبياً والتي يستخدمها العدد الأكبر من المتكلمين في لحظة معينة وفي مكان اجتماعي محدد<sup>(1)</sup>. وقدما احتكم المتقدمون العرب في مسألة المستعمل والمهمل من الألفاظ إلى مقاييس معينة في معرفة خلوص اللفظ العربي، فتخيروا منها في استعمالهم ما خفَّ على اللسان وقلت حروفه، يذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) في حديثه عن الرباعي والخماسي ما نصّه: "فإن وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معرأة من حروف الدلق أو الشفوية، ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك؛ فاعلم أنّ تلك الكلمة محدثة مبتدعة ليست من كلام العرب".<sup>(2)</sup> وكذا قول "بن دريد" أنّ أول ما يحتاج إليه الناظر في هذا الكتاب ليحيط علمه بمبلغ عدد أبنيتهم المستعملة والمهملة، أن يعرف الحروف المعجمة التي هي قطب الكلام وبجر نجمه بمخارجها ومدارجها وتباعدها وتقاربها وما يأتلف منها ولا يأتلف".<sup>(3)</sup>

إنّ أهم ما يميز الدرس اللغوي العربي القديم أنّه يقوم على دراسة اللغة أثناء الاستعمال منذ بدايته، ومثال ذلك ما يذكره "السيوطي" في اللغة أنّها تؤخذ استعمالاً لا قاعدة، وجعل مخرج كتابه (الاقتراح في علم أصول الفقه) هو ما نطقت به العرب بعدّه الأصل في كل ظاهرة، يقول: "إذا أتاك القياس إلى شيء ما، ثم

(1) - ينظر: بيجوان هنري، وتوران فيليب، المعنى في علم المصطلحات، تر: ريتا خاطر: ص378.

(2) - ينظر: الفراهيدي، العين، 01 / 37.

(3) - ينظر: ابن دريد، جمهرة اللغة، 04/04.

سمعت العرب قد نطقت فيه بشيء آخر على قياس غيره، فدع ما كنت عليه"، ويظهر من خلال ذلك قيمة الاستعمال وما تتداوله العرب في اللغة وأهميته في تحديد أساليبها وطرق آدائها.<sup>(1)</sup>

ولم يهمل القدماء استعمال اللغة في التراث اللغوي العربي، بل التفتوا له عبر زاويتين أولاهما: النظر إلى الاستعمال بوصفه سابقا على التنظير؛ فكان منطلقهم في استخراج القواعد اللغوية. وأخراهما هي إبرازهم لبعض الاستعمالات اللغوية المرتبطة بالسياق. أما الزاوية الأخرى، فقد نظر العلماء إلى استعمالات اللغة في السياق من خلال الخطابات التي ينتجها المستعملون من أجل إنجاز أعمال لا تنجز إلا في اللغة وباللغة. واهتم هذا الصنف بوصف استعمال اللغة من خلال التطبيق على نصوص عربية، ومن أبرزهم علماء اللغة والبلاغة والأصول، مثل الجرجاني والسكاكي والغزالي.<sup>(2)</sup>

واللغة في حاضرها ليست بداية استعمالية جديدة لآليات إنتاج الكلام وسبكه في عبارات تركيبية تعبر عن مراد المتداولين لها، بل هي استمرار لماض ما على نحو ما، وتفاعل مع حاضر على نحو ما أيضا، لهذا تقدم التداولية تفسيراً لاستمرار المتبقي اللغوي.<sup>(3)</sup>

(1) - خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص 153.

(2) - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت لبنان، 2004، ص 27.

(3) - حسن خميس الملاخ وآخرون، التداولية ظلال المفهوم وآفاقه، عالم الكتب الحديث، اربد الأردن، 2015، ص (ح من المقدمة).

إنّ اللغة ظاهرة اجتماعية، مرتبطة أشد الارتباط بثقافة مستعملها، هذه الثقافة التي يمكن تحليلها بحصر المواقف الاجتماعية المختلفة والمسماة سياقات مقامية، ففكرة المقام هذه هي الأساس الذي يبنى عليه الشق أو الوجه الاجتماعي للغة، وهو الوجه الذي تتمثل فيه الأحداث والظروف والعلاقات التي تسود ساعة الاستعمال.<sup>(1)</sup>

ومما لا شك فيه أنّ اللغة المنطوقة هي الأصل، واللغة المكتوبة أو المدونة تابعة لها؛ فالمدونة العربية مثلاً قامت على جمع المسموع من أفواه العرب في شبه الجزيرة العربية، ثمّ دَوّن هذا الكلام ليصبح مدونة للاحتجاج. إنّ اللغة تتكون من مدلولات تواضع عليها المجتمع اللغوي المتجانس، ومن هنا يمكن أن نميز بين وضع اللغة واستعمالها. فالوضع لفظ يعني جعله لمعنى مع قصد أن يصبح متواطاً عليه...، وهذا يعني أنّه إذا لم يكن هناك وضع يتواطأ عليه كل المجتمع؛ فلن يحصل الفهم والإفهام، لأنّ الاستعمال هو توظيف المتواضع عليه، وهذا الاستعمال من اختصاص الفرد، أي "كيفية أدائه في الخطاب، وهذا راجع إلى الفرد ويجوز أن لا يشترك في هذا الأداء شخصان اثنان"، وهذا الوضع الذي يجوز أن يشترك فيه شخصان، هو الذي كانت تسميه العرب قديماً: الشاذ اللغات. إذ اللغات نظام من الأدلة تواضع عليها أفراد المجتمع اللغوي، وهي لفظ ومعنى، ثم علينا أن نقف عند هذا اللفظ اللغوي والاستعمال.<sup>(2)</sup>

(1) - رضوان الرقي، من البلاغة إلى التداولية دراسة تحليلية في البنية والتصوير، تقديم: إدريس مقبول، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، 2018، ص9.

(2) - إبراهيم أسيكار وآخرون، تداولية المعنى في التراث اللغوي العربي، أسئلة التأصيل وآفاق التحديث، سلسلة الترجمة والمعرفة العدد 12، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، 2019، ص15.

إنّ أبحاث هذا العمل تنساب في مجرى معرفي لساني حديث، يشق طريقه بين فروع اللسانيات الحديثة بمنحنيات علائقية جميلة، ترسم علاقته المتعددة مع فروع اللسانيات انطلاقاً من هويته الخاصة المشكلة من الاستعمال الحقيقي الناجز للغة في مستوياتها كلها بين الناطقين بها، مهما حصل بينهم من تباين لهجي على مستوى الأداء الصوتي لأصوات اللغة، أو اختيار متداول لكلمة هنا تقابلها كلمة أخرى هناك ضمن اللسان الواحد، فتتسع التداولية في رؤيتها حدّ اللسان العام لأبناء اللغة، لكنها قد تضيق حدّ دراسة الاستعمال الضيق المحدود للغة، أو حدّ دراسة مستوى من مستويات اللغة، لكنها في الأحوال كلها تبقى لصيقة بمبدأ الاستعمال الاجتماعي الناجز للغة، فهي الصورة العلمية المعرّبة عن اللغة في حاضرها.<sup>(1)</sup>

يرتبط تحديد مفهوم اللغة بميدان البحث اللساني، فيما أن مفهوم اللغة في النظريات الوظيفية يتسع ليشمل دورها في التواصل، فإن ميدان البحث اللساني أصبح يشمل لا القدرة النحوية فقط، بل القدرة التداولية أيضاً، ويجد هذا الموقف سنده لدى عدد من فلاسفة اللغة عرفوا "بمنظري التواصل" أمثال سورل وكرايس وشتراوسن". وكلهم يجمعون على أن التواصل هو الوظيفة الأولى للغة، وعلى عدم ورود الفصل في دراستها بين البنية والوظيفية. فكما أن وظيفة القلب هي ضخ الدم؛ فإن وظيفة اللغة هي التواصل. وفي كلتا الحالتين يقول سورل بالإمكان دراسة البنية في استقلال عن الوظيفة. ولكن فعل ذلك سيكون منحرفاً وبلا أساس، طالما أنه من البديهي وجود تفاعل بين البنية والوظيفة.<sup>(2)</sup>

(1) - حسن خميس الملاح وآخرون، التداولية ظلال المفهوم وآفاقه، ص (ح من المقدمة).

(2) - عزالدين البوشيخي، التواصل اللغوي - مقارنة لسانية وظيفية (نحو نموذج لمستعملي اللغات الطبيعية)، مكتبة لبنان ناشرون. ط1، بيروت لبنان، 2012، ص39.

واللسانيات كعلم قائم بذاته قد نمت مصطلحيته وتعاضمت في الدرس الغربي، وهو ما صار يطرح في العربية إشكالية الاستعمال في الكتابة اللسانية العربية المرتبطة أساساً بالوضع، متنقلة عبر مراحل تطورها من العناية بالدراسة الصوتية والصرفية إلى العناية بالتركيب ثم بالدلالة، وفي كل مرحلة كانت تنكشف مظاهر جديدة تساهم إلى جانب المظاهر الأخرى في بنية اللغة. وكان على اللسانيات أن تتابع تطورها في اتجاه بحث العلاقة بين بنية اللغة وبين مختلف استعمالاتها، لاسيما أن جهوداً سابقة - كجهود مدرسة براغ وكذا فورت وبايك وغيرهم - كانت مهدت وساهمت في بحث هذا الموضوع. ومع أن النظرية التوليدية - التي انخرقت عن هذا الاتجاه في البحث - هيمنت بقوة على ميدان اللسانيات، إلا أنه سرعان ما أصبح يتضح لعدد متزايد من اللسانيين - كما يقر بذلك كيفون - أن دراسة الجمل بمعزل عن سياقها الطبيعي وعن متكلمها اختيار منهجي استنفذت الحاجة منه، ولم يعد من اللائق العمل به، ذلك لأن عزل الجمل عن سياقها يثير شكوكاً بخصوص واقعيته من جهة، ويتجاهل دور السياق التواصلي في تحديد بنية هذه الجمل من جهة أخرى؛ فاللغة التي تصل إلى يد اللساني وينصرف إليها بالوصف والتفسير ليست لغة بريئة من الاستعمال. <sup>(1)</sup> فطبيعي أن يكون الأصل في منظور عالم اللسان عند تعامله مع موضوع علمه وهو اللغة إنما هو الاستعمال، وأن يكون المعيار فرعا عليه، وهذه "الأصلية" التي للاستعمال هي من ضربين: أصلية بالزمن وأصلية بالاعتبار، فأصلية الزمن ترتبط بأصل النشأة المعرفية إذ من بديهيات الأمور أن الشيء في الوجود سابق لعلمه، واللغة - أيّا كان اللسان الذي تتشكّل فيه - قد وجدت قبل أن يعقلها العقل فيضع لها علماً هو علمها لأنه "علم - اللغة"، فالتناس

(1) - عزالدين البوشيخي، التواصل اللغوي، ص 28.

يتكلمون قبل أن ينبري منهم من يستنبطون قوانين كلامهم، وهذا معناه أنّ الاستعمال من حيث التّشاة في الوجود يسبق المعيار.<sup>(1)</sup>

واللغة الطبيعية تعد عمود أنظمة العلامات التي يستعملها الإنسان لتجسيد قصده وتحقيق هدفه، أي لتحقيق الإفهام والفهم بين أطرافه من جانب، وتحقيق ما يصبوا إليه هو من جانب آخر. بيد أنّ أهميتها تتجاوز ذلك إلى أنّها هي الأداة الأهم؛ فلا يقتصر دورها على وظيفة نقل الخبر أو وصف الواقع، بل ينجز الإنسان بها أعمالاً لا يستطيع إنجازها من دونها، "وبما أنّ اللغة هي الشفرة الرمزية المهيمنة في العملية التواصلية، فإنه قد يكون من المفيد أن تدرس العمليات التواصلية من وجهة نظر تداولية".<sup>(2)</sup>

ومن المصطلحات المهمة في الدراسات التداولية مصطلح "علم الاستعمال"، وهو دراسة لغوية تركز على المستعملين للغة، وسياق استعمالها في عملية التفسير اللغوي بجوانبها المتنوعة، وينقسم هذا العلم إلى عدة فروع، يبحث الفرع الأول: كيف يحتاج السياق المعنى القضوي الواحد بالنسبة لجملة في مناسبة معينة لاستعمال هذه الجملة، ونظرية الفعل الكلامي هي الفرع الثاني من علم الاستعمال، والفرع الثالث هو نظرية التخاطب أو نظرية الاقتضاء".<sup>(3)</sup>

(1) - عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، المكتبة الفلسفية، الدار التونسية للنشر تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1986، ص 39

(2) - عبد الهادي بن ظافر الشهيري، استراتيجيات الخطاب، ص 27.

(3) - عبد الله جاد الكريم، التداولية في الدراسات النحوية، مكتبة الآداب، ط 1، القاهرة، 2014، ص 26.

إنّ نظرية أفعال الكلام تقوم على التحليل المنطقي للعبارة واللغة بصورة عامة، وتمّ الارتكاز في تحليلها على "قواعد الاستعمال للغة العادية"، أي القواعد التي تحكم استعمال هذه العبارة أو تلك تحت ظرف معين، وهذا يدل على مدى ارتكان اللغة بسياق الحال الذي تنتج فيه، و"الاستعمال" هنا هو الذي يخرج اللغة من صورتها ويدخلها إلى الإجراء، فتصبح جزءاً من الفرد المستعمل لها، إذ يرم بها اتفاقاته ويقدم بها تهانیه، ويعتذر بها إن ارتكب أخطاء وغير ذلك، ولكن دائماً في ظروف استعمالية معينة، ومن هنا تظهر اللغة ضمن هذا الصنف من الاستعمال.<sup>(1)</sup>

ومن مهام علم "استعمال اللغة" أو "التداولية" (أو التخاطبية) أن يدرس اللغة في حيّز الاستعمال متجاوزاً حدود الوضع الأصلي وإن كان يبنى عليه، ذلك لأنّ مقاصد المتخاطبين لا يمثلها الوضع اللغوي المجرد فقط، ولا يمكن الوصول إليها من خلال فهم اللغة في سياق الاستعمال المتجدد بتجدد مقاصد المتكلمين، إذ يستند فيه المتخاطبون إلى الوضع اللغوي، ويتجاوزونه تلبية لمقاصدهم وأغراضهم الدلالية. لذا ينبغي عدم خلطها "بالنفعية" (pragmatisme).<sup>(2)</sup>

وبالرغم من أنّ اللغة الطبيعية هي مادة الخطاب في الغالب، إلا أنّ استعمالها هو الذي يخرجها من حالة السكون، فما يتم التبادل به ليس اللغة وفق مصطلح "سوسور"، بل الخطاب الذي يستلهم المعنى من الخارج، أي من السوق اللغوي، وبالتالي يكتسب هذا الخطاب قيمة رمزية تنبع من التجارب الفردية، ومن التضمين

(1) - ينظر: سامية بن يامنة، تداولية سياق الحال في الفعل الكلامي، دراسة تحليلية تطبيقية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ردمك، عمان، ط1، 2019، ص12.

(2) - إبراهيم أسيكار وآخرون، تداولية المعنى في التراث اللغوي العربي، ص3.

والإيجاء. حينئذ يبنى التواصل بين المتحدثين كونهم الممثلين الاجتماعيين على مبدأ الحوارية وتعدد الأصوات".  
ونماذج الاستعمال اللغوي لا تنحصر في نوع أو نموذج واحد، فأنواعها كثيرة ونماذجها متعددة. ويعد إبداع العلاقات الاجتماعية من الأهداف النفعية للاستعمال اللغوي، فكثيرا ما تتبلور علاقات الناس من خلال إنجازهم لأفعالهم اللغوية إذ يتقاربون ويتباعدون، وكل ذلك يتم عبر استعمال اللغة، ومن خلال ذلك الدور ندرك مدى القوة التي يتمتع بها الخطاب اللغوي من خلال الاستعمال.<sup>(1)</sup>

وهذا يستدعي التأكيد على أنّ أي دراسة جادة لاستعمالات الناس اللغة ينبغي أن تطرح معها مسألة الجمل التي يستعملها المتكلمون في نقل رسالتهم، وهي رسائل يتم إبلاغها في الغالب بطريقة ضمنية بدلا من إبلاغها بطريقة صريحة حتى قبل طرح مسألة تأويل الخطاب، لهذا فما يجب أن تقوم به دراسة استعمال اللغة وتأويل الجمل المستعملة، هو تفسير كيف تتم عملية تأويل المخاطبين لمثل هذه الجمل بنجاح. علاوة على ذلك ينبغي لهذه الدراسة أن تفسر سوء الفهم الممكن، أي يجب في الآن نفسه أنّ تُفسّر كيف نؤول الجمل المستعملة، وكيف يحدث وأن يتوج هذا التأويل بالنجاح في غالب الحالات.<sup>(2)</sup> إذ يتأثر شكل الخطاب اللغوي ومعناه بالتلفظ، وهو ما يعطي للتلفظ دوره في الخطاب، فتصبح الملفوظات هي الأساس في استعمال اللغة،

(1) - عبد الهادي بن ظافر الشهيري، استراتيجيات الخطاب، ص 27.

(2) - آن رويول وجاك موشلار، تر: لحسن بوتكلاي، تداولية الخطاب من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب، المرجع السابق، ص 60.

مع أنّ هذا لا يبعد أنّها قد تتجلى من النّاحية التركيبية في أشكال متعدّدة، ولا يبعد أن تكون دلالة الملفوظ الحرفية هي الدلالة المناسبة للسياق.<sup>(1)</sup>

وحرّيّ التأكيد على أنّ ميدان استعمال اللغة هو الخطاب، وأنّه لا يتبلور الاستعمال إلّا من خلال عملية قولية تسمى عملية التلفظ بالخطاب، فالتلفظ هو النّشاط الرئيس الذي يمنح استعمال اللغة طابعها التداولي، بوصفه نقطة التحول بالممارسة الفعلية لها مما يبلور عناصر السياق في الخطاب: من مرسل ومرسل إليه، كما أنّه يتحدد به القصد والهدف، وهذا ما نلمسه عند النّحاة، مثلاً عند التمثيل على قواعدهم وذلك بالإحالة على عملية التلفظ.<sup>(2)</sup>

إنّ الألسنة البشرية لا تتوقّف عن التّغير إلّا إذا انقطعت عن الاستعمال؛ فعُدّت ألسنة ميّنة تدرس كحقائق تاريخية "أثرية" شأن عديد اللّغات التي نعرفها اليوم بالدراسة المختصة لا بالممارسة، غير أنّ هذا "التغير" الذي تدّعن له لألسنة يّختلف في درجته وكثافته بحسب عوامل عديدة، ولكنّه يّختلف أساساً بحسب انتقالها من الوجود الطبيعي إلى الوجود المعقلن، فمادام النّاس يتحدّثون باللغة على فطرتهم فإنّ حركة التّغير اللغويّ تبقى هي الأخرى على سجيّتها فلا يحدّها حاجز؛ فإذا أدركوا من الحضارة ما به تنشأ لديهم العلوم والصناعات ظهرت المؤسسات المعرفيّة، وانبثقت بينها مؤسسة النّحو من حيث هو العلم الذي يقبض على أزمة المؤسسة اللغويّة، وعندئذ يظهر "المعيار" بعد أن كان نواميس خفيّة تتحكّم في اللغة فيذعن لها المستعملون دون وعي لها ولا إدراك، فوظيفة النّحو إذن هي الخروج عن المعيار من الوجود بالقوّة إلى الوجود بالفعل؛ أي

(1) - عبد الهادي بن ظافر الشهيري، استراتيجيات الخطاب، ص 28.

(2) - المرجع نفسه، ص 27.

بتحويله من وضع الكمون إلى وضع التَّحَقُّق، وعندئذ يصبح المعيار حَكْمًا على الاستعمال له، عليه حق التَّوجِيه والاعتراض ثمَّ التقويم والزجر؛ فالاستعمال ناموس يستمدُّ قوَّته من عامل الزَّمن، والمعيار يستمدُّها من قيم تتجاوز الزَّمن، وكذا كان الشأن في تاريخ اللغة العربية.<sup>(1)</sup>

فالمعيار يضغط بثقله على حركة التَّغْيِير فيشدُّها حتَّى لكأَنَّها اللغة تتوقف عن كل تبدُّل، وهذا يصدق على كل الألسنة، فإذا إنضاف إلى ثقل المعيار ثلا آخر ازداد الضَّغط، وتباطأت حركة التَّغْيِير كالَّذي حصل في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية عندما تضافرت على المؤسسة النَّحوية قيم المؤسسة الدينية، ولكن مبدأ الصيرورة لا ينقطع بحكم انضوائه تحت سنة المآل، والَّذي يحكمه ويمسك بمقوده الاستعمال، ومهما ضُؤلت طاقته وبدا إذعانه تحت صولة المعيار؛ فإنَّه فاعل فعله على المدى البعيد. وهنا على وجه التَّحديد يتَّضح خطُّ الفصل بين اللسانيات وعلم النحو؛ فتلك تقرَّر للاستعمال بحقِّ مراجعة المعيار وذاك يقبض على الاستعمال أنفاسه تحت وطأة المعيار الَّذي هو في أصله وليد الاستعمال.<sup>(2)</sup>

إنَّ البحث اللساني الحديث بني على فكرة كون اللغة اجتماعية من جهة، وكونها كلا بنيويًا من جهة أخرى، وهو ما يؤدي إلى فهم التحول البراغماتي في علم اللغة على أنَّه انعكاس لحاجات مجتمعية متغيرة مهمته اجتماعية بوجه عام. وتعهدت نظريات لسانية وظيفية الصفة الدلالية، إذ نظر أصحاب هذا الاتجاه إلى اللغة

(1) - عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، المكتبة الفلسفية، الدار التونسية للنشر تونس، المؤسسة الوطنية

للكتاب الجزائر، 1986، ص 39

(2) - المرجع نفسه، ص 41.

على أنّها بنيات تحدد خصائصها ظروف استعمالها في إطار وظيفتها الأساسية، وهي الوظيفة التواصلية، إذ لا يمكن أن تصلح بنية ما إلا لاستعمال معين، وتعدُّ التداولية نموذجاً حياً لهذه النظريات.<sup>(1)</sup>

وعلى هذه القاعدة الفلسفية تقوم كل الأنحاء الوظيفية، وتعمل بمقتضى مبدأ عام يعتبر البنية اللغوية انعكاساً للكيفية التي يتم بها استعمال الكلام في التفاعل الاجتماعي. ويعتقد (ديك 1986) أن فهم بنية اللغة فهماً عميقاً يتوقف على ربطها بمختلف الأهداف التداولية التي تستعمل من أجلها، وأن موضوع اللسانيات الوظيفية هو القدرة التواصلية، تلك القدرة التي تمكن المتكلم من التفاعل الاجتماعي بواسطة اللغة. وبناء عليه؛ فإن دراسة النسق اللغوي ينبغي أن يتم داخل إطار الاستعمال اللغوي، على الرغم من الإقرار بتمايز النسق عن الاستعمال.<sup>(2)</sup>

وقد بدأت الثورة اللسانية بترسيم حدود "العلم" وإعادة ترسيمها المستمر، انطلاقاً من فرضية أنّ الحيز الخارجي للعلم ما، أكثر وأقل امتلاءً مما نظنّ كما يقول "ميشال فوكو"، بمعنى أنّ ما كان يقذف به إلى خارج العلم في زمن معين قد يتم استدعاؤه ليكون من صلب العلم في زمن آخر، وهو ما حصل مع التداوليات التي أعادت الحياة لما هو خارج لساني حتى يكون له دور في فهم ما هو لساني.<sup>(3)</sup>

وبذلك فقد استطاعت النظرية التداولية أن تعيد النظر في مجموعة من القضايا التي كان يركز عليها البحث اللساني، وهي من بين هذه المناهج التي نبهت على ضرورة أخذ الاستعمال اللغوي بعين الاعتبار،

(1) - إبراهيم أسيكار وآخرون، تداولية المعنى في التراث اللغوي العربي، ص 16.

(2) - عزالدين البوشيخي، التواصل اللغوي، ص 39.

(3) - رضوان الرقي، من البلاغة إلى التداولية دراسة تحليلية في البنية والتصور، ص 1.

وبعبارة أخرى أرادت تجاوز القدرة على الانجاز، أي تجاوز البنية الصورية إلى الكلام في كل حيويته وعفويته، وإلى المتكلم بكل ماله من اعتقادات ونوايا معرفية، وإلى المخاطب بكل ماله من فهم وقدرة على التأويل.<sup>(1)</sup>

لقد حاولنا في هذا الفصل تقديم لمحة عن المفاهيم الأساسية لهذا البحث، خاصة ما ارتبط منها بالإشكال المحوري المتعلق بالمصطلح اللساني وضعاً واستعمالاً. وهذا العمل ما هو إلا تمهيد نقدم من خلاله أهم الملاحظات لإنارة بعض جوانب المعضلة التي شغلت الكثير من الباحثين وهي مطروحة في ثنايا هذا البحث، فهذا الموضوع معقد ومتشعب بسبب ارتباطه بعدة علوم - علم المصطلح، اللسانيات والترجمة - وهو ما توجب علينا أن نمهد لهذه المفاهيم تسهيلاً للولوج إلى أغواره.

---

(1) - رضوان الرقي، من البلاغة إلى التداولية دراسة تحليلية في البنية والتصور، ص10.

# الفصل الثاني

(نسقية اللغة واللسان والكلام واللامحدودية الاستعمال)

1- اللغة نسق.

2- اللسان نسق من العلامات.

3- نسقية اللغة واللسان والكلام.

4- بين اللسانيات الداخلية واللسانيات الخارجية.

1- اللغة نسق:

إنّ المطَّلِع على المعاجم الحديثة يجد أقوالاً تشير إلى أنّ اللغة: «نظام من العلامات المنطوقة، تخص مجتمعا ناطقا، مكونا من أفراد يستعملون هذه العلامات للتعبير عن أغراضهم، والتواصل فيما بينهم». إنّها نظام لسانيّ علامي، تكشف جوهر الإنسان وفكره، فهي مرآة ثقافته وهويّته وتراثه، والمعبرة عن أغراضه وتطلعاته، ولكن التحديد المخصص بالقول: «مجتمعا ناطقا مكونا من أفراد...» يفهم منه القصد إلى "اللسان"، لا إلى "اللغة" بحسب تقسيمات المحدثين وهذا تقييد للمعنى.<sup>(1)</sup>

وإذا كانت اللغة نظاما من العلامات تحكمها أنساق معينة، فإنه لا يمكن فهم مكوناتها الأساسية إلا إذا حللنا دلالات مفرداتها ضمن تراكيب خاصة وسياقات محددة. إلا أن تحديد اللغة بالمعيار العلمي قد بدأ مع (دي سوسير) في تصوره أن اللغة ليست مركبا مختلطا من مجموعة من الوحدات المادية التي يمكن دراستها بشكل تجزيئي، ولا هي شيء داخلي كامن، بل هي نسق أو نظام من القيم المتقابلة؛ أي أن اللغة عنده لم تكن سوى (صورة)، ولعل الدافع الأكبر لهذا المنحى أنه أراد أن يدرس اللغة مستقلة عن الإنسان؛ إذ رأى في ذلك الاستقلال ما يجعلها ميدانا صالحا للدراسة على أساس علمي محض خالص من كل نزعة إنسانية، وترتبط اللغة ارتباطا وثيقا بالتفكير الإنساني والمظهر السلوكي اليومي، وهي تعبر عن نظم المجتمع الاجتماعية والثقافية وغيرها، وتكوّن لأفراده التصور للعالم فيصنف الواقع انطلاقا منه ويرتبه بناء عليه.<sup>(2)</sup>

(1)- علي القاسمي، لماذا أهمل المصطلح التراثي، ص34.

(2)- غالب المطلي، الموسوعة الصغيرة في علم اللغة، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق بغداد، ص34.

كما أن الأصوات التي تتألف منها اللغة تأتلف في كلمات وجمل وفق نظام محدد، فكل لغة لها نظام في تركيبها، وصرح (ابن الجبان) بهذه الصفة للغة في قوله: «أصوات فُطعت ضرباً من التقطيع، وألفت ضرباً من التأليف»، ويشير إليها قول (ابن خلدون): «وهي في كل أمة بحسب اصطلاحهم».<sup>(1)</sup>

وهو الآخر عالمُ اللغة السويسري (فرديناند دي سوسير) عرّف اللغة «على أنها نظام من الرموز الصوتية الاصطلاحية الجماعية اللغوية، تحقق التواصل بينهم ويكتسبها الفرد سماعاً من جماعته»<sup>(2)</sup> أوهي ذلك النظام المعهود من الرموز المختلفة التي يتفاهم بها بني البشر.

إنّ هذا العالمُ يرى أن اللغة نظام ذهني يتم بموجبه ربط العناصر اللغوية، سواء على المستوى الفونولوجي أو الصرفي أو النحوي. ويرى أن هذا النظام هو الذي يحدد القيمة الوظيفية للكلمات، وإن كان النظام ليس وحده الذي يقوم بذلك، وإنما يضاف إليه التخالف أيضاً، بدليل أننا إذا سمعنا لغة أجنبية لم نعرفها من قبل سنستنتج أنه سيكون من الصعب علينا تمييز الكلمات في داخل الجملة، أو تمييز الجملة في داخل الفقرة، وسنرى أن الذي سمعناه ليس سوى أصوات غير مختلفة ولا معنى لها، ولذلك فأول عمل في تعلم لغة أجنبية هو أن نسيطر على نظامها الصوتي، والذي يوضح لنا أن اللغة نظام يؤدي إلى ربط العناصر المختلفة على المستوى الفونولوجي والنحوي هو دراسة هذين المستويين.<sup>(3)</sup>

(1) - غانم قدوري الحمد، أبحاث في العربية الفصحى، دار عمار، ط1، عمان، 2005، ص10.

(2) - المرجع نفسه، ص43.

(3) - صلاح الدين صالح حسنين، دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن، دار العلوم للطباعة والنشر، ط1، 1984، ص35.

لقد ذهب دي سوسير وأصحابه في تعريفهم للغة بأنها نظام أو نسق، بل نظام معقد مؤلف من عدة

أنظمة تتجانس فيما بينها، لتخرج علينا بهذا الأثر الذي نعرفه تحت مصطلح "الكلام".<sup>(1)</sup>

وقد أكد على النواحي الآتية:

- اللغة ظاهرة حية.
- تجمع اللغة بين عدة أنظمة متماسكة هي: الأنظمة الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، خلافاً للاتجاهات السابقة التي كانت تعزل بين هذه الأنظمة، وخاصة عزل النظام الصوتي عن بقية الأنظمة الأخرى.
- اللغة ظاهرة اجتماعية.
- أسبقية المنطوق على المكتوب: إذ أعطى دي سوسير الأسبقية للمنطوق من اللغة.<sup>(2)</sup>

يقتضي تعريف اللغة بوصفها نسقاً- وكذا تبني المقاربة السانكرونية- أن لا يتم اعتبار وحدات اللغة إلا في العلاقات التي تقيمها في ما بينها، إذ إنّ «كل واقعة لغوية تتكون من علاقة ولا شيء غير العلاقة. ومفهوم القيمة هو من سيقوم بتشكيل المبدأ المنظم لتحليل ما يطلق عليه سوسور "الكيانات اللسانية" (entités linguistique)».<sup>(3)</sup>

إنّ لكل لغة نسقها الخاص على المستوى الصوتي والصرفي والتركيبى والدلالي:

(1)- غالب المطلبي، الموسوعة الصغيرة في علم اللغة، ص45.

(2)- صلاح الدين صالح حسنين، دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن، ص64.

(3)- ماري آن بافو وجورج إليا سرفاتي، النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، ص132.

أ- **على المستوى الصوتي:** أن هناك تباينا واضحا بين أصوات كل لغة وأخرى؛ فلكل لغة نسقتها الصوتي الخاص بها، من نطق كل صوت (فونيم) بصورة محددة، بالإضافة إلى وجود صور صوتية للصوت الواحد (فونيم)، مثل التفخيم والترقيق في العربية ودرجاتهما المختلفة للصوت الواحد. ومن الأمثلة الواضحة على تلك الصور الصوتية الخاصة وتأليف الأصوات (فونيميا)، مع بعضها لتكوين الكلمات يتحكم فيه أيضا النسق الصوتي الخاص بكل لغة، على نحو ما نجد في العربية من تنافر بعض الحروف وصعوبة اجتماعها متوالية في كلمة واحدة مثل: (ذ، ظ، ث).

ب- **على المستوى الصرفي:** نجد أن لكل لغة نظامها الخاص في بناء الكلمات؛ فالعربية مثلا تميل إلى الاشتقاق على نحو ما نجد في المشتقات التي يمكن اشتقاقها من مادة (ك ت ب)؛ فيكون منها كاتب مكتوب مكتب مكتبة...، في حين تميل الإنجليزية إلى الإلصاق في اشتقاق الكلمات عن طريق إضافة السوابق مثل: re -un أو لإضافة اللواحق مثل: (s. ed. ly. Ing).<sup>(1)</sup>

ت- **على المستوى التركيبي:** كل لغة لها نسقتها الخاص في ارتباط الكلمات ببعضها لتكوين جمل تؤدي معنى، فالعربية مثلا تعرف نوعين من الجمل "الفعلية والاسمية"، في حين تقتصر الإنجليزية على الجملة الاسمية فقط، وتتميز العربية بخاصية الإعراب، أيضا في أدوات الربط بين الكلمات والجمل نجد أداة العطف (و)، تستخدمها العربية قبل كل معطوف عند تكرار العطف مثل: "أحب محمدا وأحمد وإماما" في حين تقتصر الإنجليزية على وضع أداة العطف and قبل المعطوف الأخير فقط ( A love

(1) - محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب، كلية التربية جامعة قناة السويس، القاهرة، 2001، ص 60.

(mohamed ahmed and emam). وعلى مستوى التراكيب الصغرى: مثل التركيب الإضافي

والصفة والموصوف فكل لغة لها نسقتها الخاص بها .

ث- **على المستوى الدلالي:** نجد لكل لغة نسقتها الخاص بها؛ فالتعبير بالفعل المضارع في العربية يفيد

التجدد والاستمرار، والتعبير بالماضي لتأكيد وقوع الحدث، والتعبير بالجملة الاسمية يفيد الثبوت للمعنى

فهو أقوى في الدلالة، كما ترتبط المعاني بثقافة المجتمع التي تشكل نمط تفكيره وسلوكه، وما يعبر عنه من

المعاني في لغة بكلمة واحدة قد يعبر عنه في لغة أخرى بأكثر من كلمة.<sup>(1)</sup>

## 2- اللسان نسق من العلامات:

اللسان البشري (Langue) نظام تواصلية من العلامات قائم بذاته يخص جماعة من الأفراد

يستعملونها من أجل التعبير، ويمتلكه كل فرد متكلم مستمع ينتمي إلى مجتمع متجانس له خصوصيات ثقافية

وحضارية متماثلة وواحدة، ويشارك كل أفراد في عملية الاتصال، ولهذا النظام أبعاده الصوتية والتركيبية

والدلالية، ومن ثمة فهو الذاكرة التواصلية المشتركة بين أفراد المجتمع.<sup>(2)</sup>

إنّ المقصود "بنظام تواصلية قائم بذاته"، هو ذلك التنظيم اللغوي التقديري الموجود في أذهان الأفراد

الذين ينتمون إلى مجتمع واحد، ويشتركون في استعمال لسان واحد، بحيث يتكلمونه ويفهمون ما يتكلمه

(1) - محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، ص60.

(2) - أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون الجزائر، 1993،

ص13.

الآخرون؛ فهو موجود بأصواته ودلالاته وقوانينه وأنماط أداءاته في ذاكرة كل فرد من أفراد المجتمع الواحد، ومن هنا فهو بمثابة نظام موحد قائم بذاته في ذاكرة كل فرد؛ فهو إذن يشكل ذاكرتهم الجماعية.

وبذلك نجح سوسير في تقديم تعريف تقني مهم لمصطلح "اللسان"، كونه قد استطاع تحديد موضوع اللسانيات بقوله: «اللسان هو نسق من العلامات يضم مجموع من الأفراد المتكلمين لأي لسان كان (اللسان الفرنسي، العربي، الصيني، اللاتيني...) معرفة بمجموع العلامات، حيث تجعلهم هذه المعرفة قادرين على ضمان الفهم بينهم بصورة منتظمة داخل المجموعة اللسانية؛ فهو نسق لغوي قائم في ذاته وخاص بكل مجتمع على حدة،<sup>(1)</sup> وعرفه بأنه: «نظام من العلامات قوامه اتحاد المعنى بالمبنى»، وهنا تم التركيز على علاقة اللفظ بالمعنى؛ فاللسان «بناء من العلامات».<sup>(2)</sup>

كما يعطي تعريفاً آخر للسان: «على أنه القدرة اللغوية عند الإنسان بصفة عامة، أي اللسان ملكة لغوية يمتلكها الإنسان فقط»، ويوصفه اللسان بأنه «نسق من العلامات»، ذلك يوحي بأن كل علامة تختص بعلاقات تقييمها مع علامات أخرى، وتأخذ هذه العلاقات ملمحين:

1- علاقات تركيبية تختزل ضمنها العلامات بموجب تسلسلها داخل خطية الخطاب. ففي قولنا مثلاً "قلم أسود"، نجد أن العلامة أسود معرفة عبر علاقاتها بالعلامة "قلم" التي ترتبط بها دلالياً؛ (فكلمة "أسود" تدل على نوعية

(1) - ماري نوال غاري بربور، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، تر: عبد القادر فهميم الشيباني، ط1، سيدي بلعباس - الجزائر، 2007، ص7.

(2) - هيام كريدية، أضواء على الألسنية، ص12.

تنطبق على موضوع "القلم"، ومورفولوجيا (فلو وردت كلمة "قلم" على صيغة الجمع "أقلام"؛ فذلك يستوجب ورود كلمة "أسود" على الصيغة نفسها)، وتركيبيا (أسود هو صفة للكلمة قلم).

2- علاقات ترابطية تشرف على وصل العلامة بالعلامات التي تقاسمها الخصوصيات نفسها؛ ففي المثال السابق يمكن للكلمة "أسود" أن ترتبط بالكلمات "أزرق" و"أحمر" بوصفها كلمات متضمنة لمعنى اللون، حيث يمكن أن تبدل بالأولى؛ فنقول (قلم أزرق، قلم أحمر...)؛ فقيمة العلامة "أسود" معرفة إذا عبر إمكانات ارتباطها باسم معين من جهة وبتموجد نعوت أخرى للون داخل اللسان.<sup>(1)</sup>

إنّ "اللسان" في نظر دو سوسير مجموعة من العلامات العرفية والاصطلاحية التي يتم التوافق حولها، ليستعملها أفراد المجتمع للتعبير عن حاجاتهم اليومية العامة والخاصة. «إنه مؤسسة اجتماعية، وهو نتاج ما هو جمعي Collectif بالمعنى الذي يعطيه عالم الاجتماع الفرنسي (دوركهايم Emile Durkheim) (1857-1917) لمفهوم الجمعي، ولا دخل للفرد المتكلم فيه. إنه لا يخلقه ولا يغيره، وإنما يأخذه قسرا عن الجماعة التي يعيش فيها». يقول دو سوسير: «ليس اللسان من وظائف الفرد المتكلم، بل هو أثر يسجله بكيفية سلبية». يتكلم الفرد لسان مجتمعه من دون أن يكون له دخل في اختياره، كما يتعلمه بطريقة سلبية، إنه يفرض عليه اجتماعيا، إنه يتلقاه من دون تدخل كبير أو جهد، وهذا يحيل على أنّ (دو سوسير) يصف اللسان داخل العشيرة الاجتماعية.<sup>(2)</sup>

(1) - ماري نوال غاري بربور، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، تر: عبد القادر فهميم الشيباني، ص 107.

(2) - مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 1،

بيروت لبنان، 2010، ص 218

وكما سبق في تحديدنا لمفهوم النسق على أنه يتكون من مجموعة من العناصر التي يرتبط بعضها ببعض مع وجود مميزات لكل عنصر وآخر؛ فهو يشير إلى مجموعة من القواعد التي ترتبط فيما بينها. فالملاحظ أن لسان نسقا عاما تتفرع منه أنساق صغرى، وإذا كان هذا النسق العام أضحى موضوعا للسانيات العامة؛ فإن الأنساق الصغرى صارت مادة لعلوم لغوية أخرى، مثل: علم الأصوات العامة، وعلم الأصوات الوظيفية، وعلم النحو، وعلم الصرف، وعلم المعاجم، وعلم الدلالة، وكلها كانت تسعى من أجل إبراز خصائص الأنساق الصغرى ضمن النسق العام.<sup>(1)</sup>

إنّ "اللسان" في منظور "سوسير" نسق سيميائي يختلف عن الأنساق الأخرى في تنظيمه وبنائه، وعلى هذا الأساس تعاملت اللسانيات المعاصرة مع موضوعها على أنه نسق سيميائي دال، يتجلى في قابليته إلى التقطيع المزدوج على خلاف الأنظمة السيميائية الأخرى، حيث حدد اللسانيون مستويات النسق اللساني فيما يلي:

- 1- الوحدة الصوتية الصغرى (الفونيم).
  - 2- الوحدة الصرفية الصغرى (المورفيم).
  - 3- الوحدة التركيبية الصغرى (السانتكس).
  - 4- الوحدة المعجمية الصغرى (اللكسيم).
- وما يحكم العلاقة بين العناصر اللسانية ومستوياتها ويربط بعضها ببعض هو ما يطلق عليه النسق.<sup>(2)</sup>

(1) - أحمد يوسف، القراءة النسقية سلطة البنية ووهم المحاثة، ص 120.

(2) - المرجع نفسه، ص 119 - 120.

اللسان شيء منتظم يمكن التععيد له وضبطه في مختلف المستويات (صوت/ صرف/ تركيب). إنه وحدة قابل لأن يكون موضوعا Objectivable، ويقوم على أرضية اللغة مع وجود طرف آخر هو المجتمع. فالمجتمع يلعب دورا أساسيا في تكييف الملكة اللغوية مع اللسان في المحيط الاجتماعي الذي يوجد فيه الإنسان. وإذا كانت اللغة قدرة أو موهبة أو استعدادا بيولوجيا أو تكوينيا؛ فإن اللسان شيء مكتسب وليس ظاهرة غريزية مثل المشي؛ إذ يسمح المجتمع للفرد المتكلم ببلورة الاستعداد اللغوي في إطار جماعي مشترك.<sup>(1)</sup>

لقد كان من نتيجة الجهد والعناء النظريين والمنهجين اللذين شغلا كل تفكير دو سوسير تحديد "اللسان واللغة والكلام"، وتيسير عملية الفصل بينها وفتح إمكان اتخاذ اللسان معياراً للتجليات اللغوية، ومبدأ مصنفا، الشيء الذي سهل عليه وضع اللسان في موقعه الحقيقي ضمن مجموع الدراسة اللغوية. وبفضل ذلك "تموقت اللسانيات بأتمها"؛ فأضحت كل العناصر الأخرى للغة المكونة للكلام تابعة من تلقاء ذاتها لهذا العلم الأول؛ فكان من نتائج هذا التعلق أن وجدت كل فروع اللسانيات موقعها الطبيعي، ووحده اللسان يبقى كلا متكاملا في ذاته ومبدأ قابلا للتصنيف، مما يرشحه لأن يكون موضوعا مباشرا وعمليا.<sup>(2)</sup>

يقصد باللسان هنا اللغة المعينة؛ أي تلك المجموعة المنتظمة المنسجمة مع نفسها من الرموز والعلاقات التي تصطلح عليها الجماعة، ويشترك في استعمالها جميع أفراد تلك الجماعة، بتعبير آخر؛ إنها اللغات الإنسانية المعروفة المحددة المعالم التي تمثل دوائر مغلقة، كالعربية والفرنسية والانجليزية...، وهي على حد تعبير دو سوسير نفسه: «رصيد يستودع في الأشخاص الذين ينتمون إلى مجتمع واحد بفضل مباشرتهم للكلام، وهو نظام نحوي

(1) - مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، ص 218.

(2) - حنون مبارك، مدخل إلى لسانيات سوسير، دار توبقال للنشر، ط 1، فاس - المغرب، 1987، ص 33.

يوجد وجودا تقديريا في كل دماغ أو على الأصح في أدمغة المجموع من الأشخاص، لأن اللسان لا يوجد كله عند أحد منهم؛ بل وجوده بالتمام لا يحصل إلا عند الجماعة»، ولقد وصل هذا الاستنتاج بدي سوسير إلى أن هذه النظرية هي التي تجعل اللغة واقعة اجتماعية وليست فردية، ومن ثم تصبح شيئا عاما يمكن دراسته دراسة علمية خالصة.<sup>(1)</sup>

إن ما تدرسه اللسانيات ليس هو ما يدرسه علم النفس أو علم الاجتماع أو علم الدلالة والعلوم الأخرى. وغاية اللسانيات ووسائلها في دراسة اللغة ليست بأي حال من الأحوال هي الغايات والأهداف المتبعة في علم من العلوم الأخرى. «اللسانيات تدرس اللسان من حيث إنه بنية لها قواعدها وضوابط اشتغالها. وإذا كانت البنية اللغوية غير قابلة للدراسة إلا من خلال أمثلة ملموسة وواقعية؛ فإن اللسانيات لا تدرس ما هو واقعي من البنية، بل تبحث عن صياغة عامة للقواعد المتحكمة فيها.

وبعبارة أخرى تقتصر اللسانيات على دراسة خصائص نسق الإشارات أو الشفرة code التي يمكن وصفها انطلاقا من بنية الرسائل (messages). ودراسة النسق اللساني système linguistique لا يمكن أن يتم إلا من خلال دراسة الأمثلة الخاصة أو وحدات من الكلام الملموس، وهذا لا يعني أن موضوع اللسانيات هو هذه الوحدات الملموسة؛ بل هو النسق الثاوي وراء هذه الحالات الملموسة».<sup>(2)</sup>

ومن هنا برز الإشكال الرئيسي الذي أرق سوسير، وهو البحث عن وحدة منسجمة متناغمة تختصر كل تغيرات الكلام وتؤطرها، من حيث لا تتأثر بكل ما يتعلق بالأفراد من تنوعات وتقلبات في الأفكار

(1) - غالب المطلبي، الموسوعة الصغيرة في علم اللغة، ص 25.

(2) - ينظر: مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، ص 16.

والأهواء. أطلق سوسير على هذه الوحدة المنسجمة ب(اللسان)، واعتبرها الموضوع الوحيد والمباشر للسانيات، لذا كان علينا التمييز بينه وبين(اللغة) منهجيا.<sup>(1)</sup>

وفي علاقة هذين المصطلحين يجب دو سوسير قائلا: «بالنسبة إلينا يختلف اللسان عن اللغة، إنه ليس سوى جزء محدد من اللغة كظاهرة عامة. إنه نتاج جماعي للغة، ومجموعة من الاصطلاحات اللازمة التي يكيفها المجتمع ليسمح للأفراد المتكلمين بممارسة هذه الملكة».<sup>(2)</sup>

إنه يؤكد على وجه الاختلاف بينهما، وأن اللسان يعد جزءا مهما من اللغة؛ فهي تنتمي إلى المجال الفردي كما إلى الجانب الجماعي، وأنها أساس الظاهرة والنتاج الحاصل في المجموعة، ونظرة إلى اللغة في كليتها تبين أنها متعددة الأشكال multiformes، وغير متجانسة Hétérogene تندرج ضمن عدة مجالات، فيزيائية وفيزيولوجية ونفسية. كما تختلف اللغة عن اللسان في كونها ماهية لا يمكن التعقيد لها، وحيثما يتم النظر إلى الظاهرة اللسانية فإنها تقدم هوية مزدوجة؛ فهي:

- فيزيولوجية ونفسية في الوقت ذاته.
- اعتبارها ظاهرة نفسية؛ فهي ظاهرة إدراكية وتصورية في الوقت ذاته، «إنها تقتضي في الوقت نفسه مؤسسة اجتماعية راهنا وتطورا ثابتا».<sup>(3)</sup>

وعلى أساس هذه المعطيات صاغ سوسير ثنائية: الفردي الخالص المتمثل في الكلام، والجماعي

الخالص المتمثل في اللسان، بحيث لا يمكن لأي كان الكلام خارج دائرة اللسان كونه - وحده-

(1)- أحمد يوسف، القراءة النسقية سلطة البنية وهم الحايثة، ص121.

(2)- ينظر: مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، ص218.

(3)- ينظر: المرجع نفسه، ص218-219.

الذي ينظم ويؤطر ويبيّن كل العملية الكلامية الواقعة بين طرفين على الأقل، ليتم التفاهم والتواصل بين المجموعة اللغوية الواحدة. إذ يمثل اللسان جملة من الاتفاقات والتواضعات التي تسمح للأفراد بالكلام داخل منظومة اجتماعية، يساعدهم على تنظيم لغتهم، وبناء نصوصهم، والتعبير عن كل أفكارهم وتصوراتهم وأحاسيسهم. ولذلك يعده سوسير Saussure (( نسقا من العلامات يعبر عن الأفكار. ومن هنا فهو شبيه بالكتابة وألفبائية الصم والبكم والطقوس الرمزية وأشكال اللياقة والإشارات الحربية...، إنه أهم هذه الأنساق فقط)).(1)

وما أشار إليه (برجشتراسر Bergstrasher) تحت مصطلح "النظامية" -وهو ما درج على تسميته بالبنية أو "النسق" - يشكل جوهر نظرية (سوسير) اللسانية القائمة على دور العلاقات في نظام من الأنظمة اللغوية. فالعلامات تتألف جزئيا من هذه العلاقات، والفونيمات تتألف كليا من هذه العلاقات. والمقصود بذلك أن العلامات (الكلمات) والفونيمات (الوحدات الصوتية) يعتمد وجودها جزئيا أو كليا بالتوالي على انتمائها إلى نظام معين، ولا وجود للعلامات أو الفونيمات خارجه. وعندما يقر (برجشتراسر) بأن: «الوجهة النظامية أقرب إلى المعتاد من الوجهة التاريخية؛ فإنه يردد الفكرة التي قدمها (سوسير) في تبريره لأسبقية ما هو آني على ما هو تاريخي تعاقبي، انطلاقا من كون هذا الأخير ليس له أية قيمة واقعية بالنسبة للجماهير المتكلمة بلسان معين». (2)

(1) - ينظر: أحمد يوسف، القراءة النسقية سلطة البنية وهم المحاثة، ص 121.

(2) - مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، حفريات النشأة والتكوين، شركة النشر والتوزيع المدارس، ط 1، ردمك، 2006، ص 105.

تفقد فرضية إدراك اللسان بوصفه نسقا إلى نتائج منهجية مهمة، حيث يمكن للدراسة اللسانية أن تجاوز حدود موضوع دراسة العلامات "في ذاتها"، إلى دراسة العلاقات القائمة بين العلامات، إذ ثمة تقارب بين مفهوم النسق ومفهوم البنية؛ فكلاهما يستند إلى فكرة "العلاقة"، وغالبا ما تأتي على الخلط بينهما، وأساس الاختلاف يكمن في كون المصطلح الأول يشير إلى نمط خاص من الموضوعات ألا وهو اللسان (اللسان هو نسق)، بينما يشير الثاني إلى خصوصية هذا الموضوع (يمتلك اللسان بنية محددة).<sup>(1)</sup>

ومن جملة ما تقدم حول نعت اللسان بأنه "نسق من العلامات" نستخلص أن:

- اللسان نسق سيميائي دال لغرض التعبير عن الأفكار، وهذا لا يظهر إلا من خلال العلامة بوصفها حصيلة لاتحاد الصورة الأكوستية والمفهوم، أو بعبارة أخرى: الدال والمدلول تحكما علاقة غير معللة بحيث ليس هناك أي سبب يحفز العلاقة بين الطرفين، العلاقة اعتباطية تجذرت بفعل التواضع والاصطلاح، وعلى أساس هذا المبدأ استعمل مصطلح العلامة بدل الرمز الذي تتحفز فيه العلاقة بين الطرفين.

- لا يمثل اللسان النسق الوحيد لأداء هذه الوظيفية، إنما هناك أنساق أخرى تشترك معه في كونها علامات دالة لغرض التعبير عن الأفكار، تشغل وفق آليات خاصة مختلفة عن آليات اللسان، مثل: أبجدية الصم والبكم... مع العلم أن اللسان هو أهم هذه الأنساق، كونه يمثل الأنموذج الأولي للتعبير وبناء الأنساق الأخرى.

(1) - ماري نوال غاري بريور، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ص 107.

- إن اعتبار اللسان نسقا دالا جعل (سوسير Saussure) يوضع اللسان ضمن نطاق العلامة، وعليه فتح أفقا لعلم مستقبلي يتولى دراسة العلامة في رحاب الحياة الاجتماعية أطلق عليه السيميولوجيا *Sémiologie*، وتعد اللسانيات فرعا من هذا العلم العام.<sup>(1)</sup>

والملاحظ من ذلك أنّ أغلب الحقائق التي تم بسطها سواء من الجانب النظري أو من الجانب التطبيقي تم التنبيه إليها من قبل النحاة واللغويين العرب الأوائل فيما يرى أنصار التراث، ومثال ذلك:

- 1- الوظيفة الأساسية للسان هي التبليغ والتخاطب وغير ذلك هي فرع عنها.
- 2- إن القوانين التجريدية المتمثلة في مجموع الأصول والجذور التي يخضع لها الاستعمال اللغوي السليم تجعل للسان منطقته الخاص به.
- 3- اللسان ظاهرة اجتماعية لا فردية، وله بني ومجار ظاهرة وخفية؛ فهو مجموع من الأدلة المتواضع عليها.
- 4- تتنوع خصائص اللسان بين الصورة والمادة، لذلك يختلف من حيث النظام ومن حيث المضمون المادي.

5- اللسان لفظ ومعنى، ثم وضع واستعمال، ويعنى في ذلك أن اللغة مجموعة منسجمة من الدوال والمدلولات ذات بنية عامة ثم بني جزئية تدرج فيها.

6- للبنى اللغوية مستوى من التحليل غير مستوى الوضع والاستعمال، والحق أن الوضع اللغوي وضعان اثنان وهما: اصطلاحى وبنوي، فأما الأول فهو جعل اللفظ دليلا على المعنى قصد التواطؤ عليه بين

(1)-ينظر: ماري نوال غاري بريور، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ص7 وينظر: أحمد يوسف، القراءة النسقية سلطة البنية ووهم المحايثة، ص121.

قوم، أما الثاني فهو جعل الشيء على هيئة مخصوصة سواء كان دليلاً على شيء آخر أو لا يرادفه في

البناء والتركيب.<sup>(1)</sup>

### 3- نسقية اللغة واللسان والكلام:

إن ما يثير الدهشة في لسانيات النصف الثاني من القرن العشرين أنها لم تعر الاهتمام الكافي لدراسة التغيرات إلا منذ حوالي خمس عشرة سنة، رغم الحصيلة التي تشهدها من المعرفة اللغوية في كل عصر، والقابلة للتحويل إلى آلة منهجية في الكثير من الحقول المعرفية، لتأتي كرد فعل على غلو النماذج الشكلانية حصراً والتي كانت مهيمنة في الستينيات، ولعل أهم ميزة طبعت المعرفة البشرية في هذا العصر هو تخلصها التدريجي من "المعرفة العادية" المتولدة عن الاستعمال المباشر للملكات الذهنية لفائدة "المعرفة النسقية"، والتي تنتج عادة عن استعمال أجهزة مفهومية، تصنع مسبقاً للتقيد بتعليماتها من لدن كل باحث ينظر في حقل من الموضوعات المتجانسة.<sup>(2)</sup>

فقد أضحى الأفق اللساني منذ أمد بعيد يتربع تارة على نية الاستقلالية المطلقة المتحلية بمبدأ النسقية (Glossématique) التي لا تؤمن إلا بما هو كائن داخل البنية. أما ما هو خارج عنها فليس من صلاحية

(1) - نعمان عبد الحميد بوقرة، الدراسات اللسانية في المملكة العربية السعودية، دراسة وصفية تأصيلية في ضوء التلقي العربي للمناهج اللسانية الحديثة، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد- الأردن، 2011، ص24.

(2) - ينظر: حافظ اسماعيلي علوي ووليد أحمد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، دار الأمان، ط1، الرباط، 2009، ص172.

النسقية في شيء، وتارة أخرى على نية تلکم الصدارة الحدائفة في التعامل مع الظواهر اللغوية التي تجعل من المتلقي لها ينصاع إلى ضابطها المعرفي والإجرائي معا، بحكم أنها سبافة في مثل هذا النوع من التعامل.<sup>(1)</sup>

وإنه من المعلوم تميّز اللغة منذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين دون باقي العلوم الإنسانية بمقاربة لم تعدها من قبل، إذ لأول مرة صارت اللغة تحت أنظار باحث سويسري ورث عن آل سوسور ذهنية علمية لاشتغال أجيال منهم بالعلوم الدقيقة خاصة، ثم تلقى تكويننا عميقا في علوم طبيعية وفيزيائية وكيمائية، وتشبع بالتوجه النسقي العام الآخذ وقتئذ في التبلور والانتشار داخل الكثير من الحقول العلمية، كل ذلك مكنه من أن تكون له مشاركة قوية في ميدان اللغة، في إقامة جهاز مفهومي قادر على حل مشاكل معقدة في مختلف حقول العلم وميادين الصناعة.<sup>(2)</sup>

لقد كان موضوع هذه النماذج اللسان المصنفي من أية شوائب اجتماعية أو تاريخية، ذلك اللسان الذي تحدده القواعد التوليدية الكلاسيكية بكفاءة " المتكلم - المستمع المثالي - المشهور ". وحتى لو تم التسليم بأن على النظرية اللسانية القيام بخيارات فمن شأن التجريد البحث النهائي لحجب واقع الألسنة كأنظمة دينامية بفعل الاستعمال اليومي. وبالذات لأن المفهومين التشومسكيين في الكفاءة (وهي المعرفة الذاتية باللسان)، والأداء (وهو الاستعمال الذي يمكن ملاحظته للسان)، وهما كمفهومين اللسان والكلام عند (سوسير) يقابلان صيغتين لواقع واحد لا أساس علميين في اللسانيات متعارضين؛ فدراسة المتغيرات لا تتعارض بأي شكل من

(1) - مختار لزعر، اللسان اللغة والكلام من التفريط السياقي إلى الإفراط النسقي، دار الكتاب الحديث، ط1، القاهرة، 2010، ص5.

(2) - حافظ اسماعيلي علوي ووليد أحمد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، ص172.

الأشكال مع مفهوم النظام، فإن كان من سمات النظام انسجامه الكلي على الأقل وتنظيمه في وحدات متميزة (يمكن مقابلتها بعضها ببعض على أساس الاختلال في طبيعتها لا في درجتها)، مثل الصوتيات؛ فذلك لا يعني أن هذه الوحدات ثابتة لا تتغير، فيما أن ما يحددها هو الاختلاف بالذات يمكن لمحتواها أن يتنوع شرط بقاء هذه الاختلافات، إذ يرتبط التغير بمفهوم النظام على الرغم مما يبدو عليه ظاهر الأمر.<sup>(1)</sup>

ولما أخذت اللغة في العصر الحديث على أنها نسق مفتوح يتفاعل مع باقي الأنساق المحيطة به، تأتي للسانيات أن ترتقي إلى مستوى النظرية بالمعنى الدقيق، وعندئذ صار للمعرفة اللسانية استعمالات في ميادين جديدة غير الميادين التقليدية الموروثة؛ فتكونت اللسانيات الاجتماعية التي جعلت من التشاكل البنيوي بين اللغة والمجتمع موضوعاً للدراسة، وصارت في اللسانيات النفسية نظرية ضمن العلوم الطبيعية، إذ حاول (تشومسكي) أن يجعل من نموذج اللساني آلة منهجية للكشف عن التركيب البنيوي للدماغ البشري، وهو موضوع يخص البيولوجيين أصلاً. ولما أراد الإنسان المعاصر أن يتواصل مع الآلة باللغة الطبيعية، دخلت المعرفة اللسانية ضمن العلوم الهندسية وظهر ميدان اللسانيات الحاسوبية. وهكذا أخذت اللسانيات تظهر في كل حين مقترنة باسم الميدان الذي توظف فيه حصيلة المعرفة اللغوية المقتنصة بالنظرية اللسانية المستحدثة. ولعل هذه الكلمات المختصرة كافية لرسم فكرة واضحة عن حصيلة اللسانيات في بيئتها الغربية.<sup>(2)</sup>

(1) - كلود حجاج، إنسان الكلام - مساهمة لسانية في العلوم الإنسانية، تر: رضوان ظاظا، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط1، 2003، ص365.

(2) - حافظ اسماعيلي علوي ووليد أحمد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، ص172.

بذلك أصبح البحث في اللغة في العصر الحديث يحتل مكانا مرموقا في دائرة اهتمام الفكر والعلم، ومن ثم فقد تداخلت عدة علوم وتضافرت في سبيل الكشف عن جوانب تلك الظاهرة المتفردة (ظاهرة اللغة)، فمن المؤكد أن اللغة تشكل ظاهرة ضرورية وأساسية في حياة الأفراد والمجتمعات، بل ومن غير المعقول تصور مجتمع ما من دون لغة تحقق له جانب التواصل، ومن ثم فإن اللغة لا يمكن أن تحقق هذا الوجود إلا من خلال ما تحمله من دلالات مفعمة بالحياة والتطور حتى تتأقلم ضمن مستوياتها اللغوية وحين تُقر بأهمية ومكانة المعنى؛ فمرد ذلك إلى علاقته الخفية والظاهرة باللغة بخاصة والتواصل بعامة.<sup>(1)</sup>

وحتى في المجموعات البشرية الأكثر توافقا لا يوجد شكل لساني ثابت لا يتغير في أساليب اللفظ أو في مستوى من المستويات اللغوية المعروفة، وخاصة الدلالية منها؛ إذ تُظهِرُ الملاحظة الدقيقة ذاك التنوع في استخدام اللسان في كافة الظروف، سواء من طرف الفرد أو الجماعة؛ ففي الوقت الذي يكتسب فيه الأطفال البنى الأساسية للسان؛ فإنهم يكتسبون معها في الوقت نفسه الوعي بتغير المستويات؛ فالأمر لا يتصل إذاً بمجرد وصفة ذات غاية تزيينية ملحقة بتعلم اللسان بوصفها كيانا متجانسا، بل يتحقق الأمر بواقعه هي بمثابة نواة رئيسية؛ فالتبدل من الخصائص الذاتية للغة.<sup>(2)</sup>

وصارت اللغة مشمولة بنظرية الأنساق العامة التي تأسست على يد (فون برتلانفي Von Bertalanvi) في منتصف القرن الماضي، وهذا من أجل المقارنة بين الأنساق الحقيقية بفضل نظرة (سوسور) إلى اللغة، بوصفها كيانا يتألف من عناصر متآزرة تتحدد من الموقع الوظيفي لبعضها عند البعض الآخر داخل

(1) - حافظ اسماعيلي علوي ووليد أحمد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، ص 228.

(2) - كلود حجاج، إنسان الكلام - مساهمة لسانية في العلوم الإنسانية، ص 365.

كل في غاية الانتظام والاتساق، كما عادت بفضل اللغة المعقدة تدرس دراسة نسقية كغيرها من الظواهر، ليتأتى وصفها بلغة رياضية كما في اللسانيات الرياضية.<sup>(1)</sup>

لقد سعت المدرسة النسقية (المنظوماتية) بزعامه (هيلمسليف Hjelmslev) إلى الاستفادة كثيرا من آراء (دوسوسير) الذي يعد أول من دعا إلى دراسة اللغة في ذاتها دراسة وصفية، تبحث في نظامها وقوانينها دونما الاهتمام بجوانبها التاريخية التطورية الزمانية؛ فاللغة ليست مجرد آلة مادية صوتية، بل إنها نظام (Structure)، بل هي كنز لغوي مشترك بين الجماعات اللغوية المنتمية لرقع جغرافية متشابهة والتي يمكنها أن تتبادل فيما بينها المعارف والتجارب والأفكار، وبذلك تتحقق استمرارية اللغة وحركيتها، وتتجلى تلك الاستفادة في تأكيدها على استقلال البحوث اللغوية عن غيرها، فالنظرية النسقية «تتنصب داخل اللغة فهي تصدر منها وإليها، ولا تخرج عن دائرة اللغة المنظور إليها على أنها حقل مغلق على نفسه وبنية لذاتها».<sup>(2)</sup>

إنّ الناظر في شأن مفهوم النسقية في البحث اللساني في الواجهة الحدائية يتبين له بأن غالبية اللسانيين الغربيين الذين تعاملوا معها كلهم كانوا ينطلقون من مبدأ التبعية غير المحمودة، من قبل ما أشار إليه الأب الروحي للدرس اللساني من خلال كتابه المشهور "دروس في اللسانيات" / "الألسنية العامة" (Cours de

(1) - ينظر: حافظ اسماعيلي علوي ووليد أحمد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، ص172.

(2) - شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت لبنان، 2004، ص9.

(Linguistique générale) والتي جعلت من مفهوم النسق يلتصق التصاقا مباشرا كلما أراد أي باحث

لساني أن يتناول الدرس اللساني أن يطوف حول هذا المبدأ الأخير لا ينزاح عنه بحال.<sup>(1)</sup>

لكنّ نظرية القراءة استطاعت أن تتجاوز الرؤية البنيوية التي جعلت من النص صنما، حيث أغلقتة على بنيته النحوية الدلالية لتصادر القراءة السياقية التي اعتمدت إحالة "النص" على العناصر الخارجية. فالبنوية كانت بمثابة مراجعة أساسية للقراءة المتاخمة لحدود النص؛ لتدشن منظومتها المعرفية بمسمى جديد أصلح عليه بالنسق أو القراءة النسقية.<sup>(2)</sup>

إنها تخرج من اللغة ما يمكن أن يتصل بها من ملابسات اجتماعية، وعمليات فيزيولوجية تسهم في تشكيل اللغة وإنتاجها وتوصيل الرسالة وإفهامها، حتى وإن تعلق الأمر بمادة اللغة نفسها (الأصوات). فاللغة حسب (سوسير) هي النظام (système) الذي يدعم تأويل الخطاب الخاص في إطار جماعة معينة، غير أنها لا تخضع مباشرة للمراقبة؛ بل يرتبط أمرها بتوفر مجموعة من العبارات تيسر لها أن تنجز قبلها.<sup>(3)</sup> وهي بالنسبة لنا لا تختلط مع اللسان؛ فما هي إلا جزء محدود وجوهري من أجزائه، إنها في الوقت نفسه منتوج اجتماعي

(1) - مختار لزعر، اللسان اللغة والكلام - من التفريط السياقي إلى الإفراط النسقي، ص 7.

(2) - اليامين بن تومي، القراءة وضوابطها المصطلحية، جامعة سطيف، مجلة المخبر - مجلة قراءات - مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، جامعة بسكرة، العدد الأول، 2009، ص 31.

(3) - بيار أشار، تعريب: عبد الوهاب تزو. سوسولوجيا اللغة، منشورات عويدات، ط 1، بيروت لبنان، 1996، ص 14.

لملكة اللسان، ومجموع تواضعات ضرورية تبناها الكيان الاجتماعي من أجل السماح بممارسة تلك الملكة عند الأفراد.<sup>(1)</sup>

وشأنها شأن أي نظام اجتماعي نموذجي آخر يميل لصياغة توازنه الدينامي؛ إذ تتكشف ظاهريا عن خصائصها التنظيمية والتوجيهية الذاتية، وهذه القوانين الضمنية التي تبني جسد الكليات الفونولوجية والقواعدية وتؤسس طوبولوجيا اللغات، إنما هي قوانين مطمورة إلى حد بعيد في المنطق الداخلي للبنى اللسانية وليس من الضروري أنها تفرض سلفا "تعليمات وراثية" خاصة.<sup>(2)</sup>

أما (هيلمسليف) وجماعته فقد آمنوا بكون اللغة صورة أو شكلا لا جوهرًا أو مادة ومعنى، هذا أن الوصف العلمي الدقيق ينصب على الشكل أو الصورة ما دام عالم الدلالات أو المعاني مشتركا بين اللغات، وما دام الاختلاف بينها يكمن في الدوال؛ فكل كلمة تكتسي دلالتها بحسب وضعها وتفاعلها مع الكلمات الأخرى؛ فاللغة ليست جوهرًا أي كلمات مستقلة بعضها عن البعض؛ فكل وحدة لغوية - صوتية كانت أو معنوية- إلا وتتحد قيمتها بالمحل الذي تحتله في النظام اللغوي، وهي نفس رؤيا (سوسير) منطلقا من اعتبارية (المدلول) ليصل إلى أن اللغة شكل (Forme) وليست جوهرًا (Substance)، وأنها تشكل نظاما

(1) - ماري آن بافو وجورج إليا سرفاتي، النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، ص 110.

(2) - رومان ياكوبسون، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، تر: علي حاكم صالح وحسن ناظم، المركز الثقافي العربي، بيروت - الدار البيضاء، ط 1، 2008، ص 91.

مغلقة قائم الذات له قواعده الخاصة وروابطه الذاتية الداخلية، إنها مجموعة من العناوين لأشياء موجودة في الخارج أو الواقع، وهذا الواقع ليس منظما فاللغة هي التي تنظمه.<sup>(1)</sup>

لقد وقعت المدرسة النسقية في إشكالات كبيرة؛ فاللفظة مفردة تختلف عن اللفظة في النص، كما أن إهمال السياق الذي انبثق منه النص وأدى فيه رسالته قتل له، لأن هذا الأخير ليس مجرد بنية نحوية افتراضية يمكن دراستها بمعزل عن ملامساتها التواصلية ووظائفها الخارجية، وقبل هذا وذاك بقي التجريد المنطقي والتأويل الفلسفي يحول دون وصف فعلي لوقائع اللغة. ولما كانت اللغة سلوكا ظاهرا تخضع لقوانين السلوكات الأخرى وجب الوقوف عند بنيتها الصوتية والصرفية والتركيبية؛ فكل بنية قياس. ودراسة اللغة تتمثل في إظهار مجموعة العناصر المكونة لتلك البنية التي يتعاطاها أفراد المجموعة اللسانية، مما يؤلف قياسات تلك اللغة المستعملة؛ أي إن النحو علم تصنيفي هدفه ضبط الصيغ الأساسية في اللغة حسب تواترها.<sup>(2)</sup>

غير أن إخضاع اللغة لمقاييس شكلية صرفة أمر مشوب بالمخاطر؛ فدارس اللغة بأشكالها المتنوعة والكلام بتجلياته المتجددة يلحظ تراكيب لا يمكن تفسيرها إلا بعناصر أخرى، فبعض التراكيب مستقيمة نحويا لكنها غير مقبولة دلاليا، وكثير من الجمل لا يمكننا فهمها إلا في إطار بنية أكبر، وتأبي جمل أن تؤدي وظيفتها إلا في مواقف معينة وبتدخل معطيات خارجية، هذا ما استشعره بعض اللسانيين فحاولوا إصلاح ما يمكن إصلاحه. ومن الواضح أن نظرة متعمقة إلى الخطوط العامة في هذا السياق المعرفي تكشف عن مؤشرات

(1)- ينظر: شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص9 وينظر: ماري نوال غاري بربور، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ص123.

(2)- عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986، ص144.

واضحة لمركزية اللسانيات وتفاعلاتها التي تنضوي تحت ما شهدته النصف الثاني من القرن العشرين من ظهور موجة معرفية أطلق عليها موجة (العلوم المتداخلة الاختصاص).<sup>(1)</sup>

وكان الأساس الجامع لانبثاق هذه الموجة هو وصول فلسفة العلم إلى تحول يكاد يكون جذريا في نقضه لفلسفة العلم الكلاسيكية التي نظرت إلى الظواهر باعتبارها ذرات أو أجزاء أو عناصر، وليس بالنظر إليها في كليتها القائمة، أو من منظور كونها (نسقا) System، وفي إطار هذه الفلسفة الجديدة أصبحت وحدة العلم هي المثل الأعلى الإيجابي للروح العلمية المعاصرة.

ولعلنا في هذا السياق نشير إلى أن ظهور النظرية العامة للأنساق "general system theory" التي بدأ مُنظِّرها الأشهر (فون بيرتلانفي)، يمثل علامة دالة على هذا التحول الأمر الذي يشخصه هذا الأخير بوضوح عندما يقول: «إن هناك ميلا عاما نحو التكامل في مختلف العلوم الطبيعية والاجتماعية». <sup>(2)</sup>

ولهذا ينبغي للباحث أن يتموقع في ميدان اللغة؛ فيتخذها معيارا لجميع تظاهرات اللسان الأخرى، وبالفعل فاللغة هي الوحيدة من بين عديد الثنائيات التي يبدو أن لها تعريفا مستقلا، كما أنها تقدم نقطة ارتكاز كافية للعقل. <sup>(3)</sup>

(1) - ينظر: شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص 9 وينظر: ماري نوال غاري بربور، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ص 123.

(2) - حافظ اسماعيلي علوي ووليد أحمد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، ص 228.

(3) - ماري آن بافو وجورج إلبا سرفاتي، النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، ص 111.

إنّ دراسة الباحث لهذه اللغة هي دراسة ظاهرة اجتماعية، يحاول من خلال دراسته أن يتوصل إلى السمات المشتركة بين الأفراد في كلامهم كي يحكم بأن قوما من الأقسام لهم لغة مشتركة يتفاهمون بها.<sup>(1)</sup> يقول (دونلاب): «عندما ندرس بنية اللغة في شعب ما فإننا ندرس صور وطرائق تفكيره، وعندما ندرس مفرداتها فإننا نكتشف نماذج مميزاته، فإذا زعمنا بأن اللغة هي تبلور فكر الشعب فإن قولنا هذا بعيد عن أن يكون خلاف الحقيقة». و(دونلاب) يقدم لنا هنا حقيقة؛ فالفروق الموجودة بين مفردات الشعوب تلقى بعض الضوء على ثقافتهم.<sup>(2)</sup>

وحتى لو شغلت اللغة المكانة الرئيسة داخل شبكة التواصل الإنساني الكلية إلا أنها ليست الوحيدة التي تختلف في جوهرها عن كل نظام تواصلية تستخدمه الكائنات غير الناطقة، بل جميع أنظمة التواصل عند مستخدمي اللغة (وتنطوي جميع هذه الأنظمة على وظيفة اللغة الأساسية)، لأن كل نظام تواصلية بالنسبة للبشر ملازم للغة.<sup>(3)</sup>

إنّ هذه الأخيرة جزء محدد من ذلك اللسان، مع أنه جزء جوهري -لاشك- فاللغة نتاج اجتماعي لملكة اللسان، ومجموعة من التقاليد الضرورية التي تبنها مجتمع ما ليساعد أفرادها على ممارسة هذه الملكة، وعلى

(1) - أحمد عبد الرحمان حماد، العلاقة بين اللغة والفكر، دراسة للعلاقة اللزومية بين الفكر واللغة، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة الإسكندرية، 1985، ص46.

(2) - المرجع نفسه، ص22.

(3) - رومان ياكوبسون، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، ص82.

العموم: اللسان متعدد الجوانب، غير متجانس -يشتمل على عدة جوانب في آن واحد - كالجانب الفيزيائي

(الطبيعي)، والجانب الفلسفي (الوظيفي)، والجانب السايكولوجي (النفسي).<sup>(1)</sup>

ودراساتها تشمل قسمين:

القسم الأساسي: هدفه اللغة وهي ظاهرة اجتماعية محضة في جوهرها ومستقلة عن الفرد، وهذه الدراسة

نفسية في جميع صفتها.

والقسم الآخر: ثانوي وهدفه الجزء الفردي من اللسان؛ أي الكلام بما في ذلك العملية الصوتية، وهو جانب

نفسية فيزيائي (Psychophysique).<sup>(2)</sup>

إنّ اللسان في كليته متعدد الصيغ وغير متجانس ويشمل مجالات عدة: فيزيائية وبسيكولوجية ونفسية

في الوقت نفسه، وهو ينتمي إلى المجالين الفردي والاجتماعي، كما أنه لا يسمح بتصنيفه ضمن أي صنف من

أصناف الوقائع البشرية، لأننا لا نعرف كيف نستخرج وحدته بينما اللغة على خلاف ذلك، هي كل في حد

ذاتها ومبدأ تصنيف. «وهذا الكل في حد ذاته هو "نسق دوال" (systeme de signes)، خاصيته المميزة

الأساسية هي استقلاليتها ونظامه الخاص به، وهما شرطان ضروريان ليكونا موضوعا للسانيات: ولهذا فإن نظام

اللغة هو بشكل من الأشكال نموذج صارم لتناول وقائع اللسان». <sup>(3)</sup>

(1)-فرديناند دي سوسير، علم اللغة العام، تر: يوثيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد، ج3، 1985، ص28.

(2)- المرجع نفسه، ص38.

(3)- ماري آن بافو وجورج إلبا سرفاتي، النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، ص110.

ولا يمكن أن نتصور أحدهما بغير الآخر، وينطوي دائما على وجود نظام ثابت كما ينطوي على عملية التطور؛ فهو في كل لحظة نظام قائم بذاته ونتاج للزمن الماضي، وقد يبدو للوهلة الأولى أن التمييز بين النظام وتاريخه بين ما هو عليه وما كان عليه في الماضي سهل، ولكن الحقيقة هي أن الشئيين يرتبطان ارتباطا وثيقا أحدهما بالآخر إلى درجة قلما نستطيع معها فصلهما، ومن الخطأ أن نعتقد أن دراستنا للسان في مسألة المميزات في المراحل الأولى تختلف عن مسألة المميزات الثابتة، ومثل هذا التفكير يؤدي بنا إلى حلقة مفرغة.<sup>(1)</sup>

إنّ هذا ما جعل موضوع اللسانيات ينسب إلى اللغة وليس اللسان، فاللسان ملكة بشرية مجاله أكثر اتساعا وأقل تميزا من اللغة، إنه كما ورد في (TCLG)\*<sup>(2)</sup> «ملكة منحتها لنا الطبيعة»، بينما اللغة حددت فيه بكونها «منتوجا اجتماعيا يتيح وجوده للفرد ممارسة ملكة اللسان، وهي على عكس اللسان فإنها تخضع للتصنيف؛ فهي تملك كيانا موحدا قائما بذاته، محتملة المركز الأول بين عناصر اللسان». <sup>(3)</sup> وبخصوص هذه العلاقة يصرح أبو اللسانيات ويقول: «لا ينبغي الخلط بين اللغة واللسان، فما اللغة إلا جزء محدد منه بل عنصرا أساسيا، وهي في نفس الوقت نتاج اجتماعي لملكة اللسان، ومجموعة من المواضيع الضرورية التي تبنها الجسم الاجتماعي لتمكين الأفراد من ممارسة هذه الملكة». <sup>(4)</sup>

(1) - فرديناند دي سوسير، علم اللغة العام، ص 28.

(2)\* - (TCLG) :Troisième cours de linguistique générale

(3) - ماري آن بافو وجورج إلبا سرفاتي، النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، ص 110.

(4) - فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة: تعريب: صالح القرمادي - محمد الشاوش - محمد عجينة، الدار العربية للكتاب، طرابلس - الجماهيرية العربية الليبية، 1985، ص 23.

ليأتي بعدها مثيرا لإحدى المناقضات الأساسية في (Cours de linguistique général)

اللغة المتميزة عن الكلام- التعريفات الأكثر وضوحا للغة- معتبرا الكلام نشاطا تستحيل ممارسته إلا من خلال إطار اللغة.<sup>(1)</sup> فقولنا ما الكلام؟ "الكلام": هو ما يصدر عن الفرد من ألفاظ سواء أفادت أم لا؛ أما اللغة فهي الألفاظ التي تصدر عن الفرد والجماعة، مؤدية معنى من المعاني، فهي سلوك لفظي لدى الأفراد والجماعات.<sup>(2)</sup>

وهذا ما نلمسه في تصريح "سوسير" إذ يقول: «ليست اللغة وظيفة الفرد الناطق، إنما نتاج يسجله الفرد بطريقة سلبية وهي لا تشترط تفكيراً مسبقاً، أما الكلام فهو بعكس ذلك، نشاط فردي لإرادة عقل ناطق، حيث يستحضر المتكلم دستوراً أو نظاماً للغة ليطبقه»، فمن خلال تمييزه بين المصطلحات الثلاث فقد نظر إلى اللغة على أنها ظاهرة اجتماعية، وهي شيء مستقل عن المتكلم الذي يستعملها فينتج كلاماً فردياً، والكلام في حد ذاته جهاز ونظام للغة.<sup>(3)</sup>

والفصل بينهما يعني الفصل بين:

1- ما هو اجتماعي وما هو فردي.

2- ما هو جوهري وما هو ثانوي وعرضي إلى درجة ما.

(1)- بيار أشار، تعريب: عبد الوهاب تزو. سوسولوجيا اللغة، ص13.

(2)- أحمد عبد الرحمان حماد، العلاقة بين اللغة والفكر، ص45.

(3)- محمد جاد الرب، علم اللغة، نشأته وتطوره، ط1، دار المعارف للنشر والتوزيع، 1988، ص88.

وهذا ما يبرر كثرة استعمال عبارتي الكلام واللغة في معنى متقارب حتى ولو وجدنا فرقا بينهما، وربما ما يجمعهما أكثر مما يفرقهما، فلو استطعنا أن نحصل على جميع صور الكلمات المخزونة في عقول جميع الأفراد لاستطعنا أن نميز الجزء الاجتماعي الذي يؤلف اللغة، فهو مخزون يملأه أفراد مجتمع معين عن طريق الاستخدام الفعال للكلام، وهو نظام نحوي له وجود خامد في دماغ كل فرد أو بأسلوب أدق في أدمغة مجموعة من الأفراد؛ فاللغة غير كاملة في الفرد بل يُكْمَل هو وجودها في المجموعة.<sup>(1)</sup>

إنّ النموذج الاجتماعي الذي استقرت عليه اللغة، أو هو السلوك السوي لأغلبية عظمى من أبناء الأمة الواحدة، وذلك لأن الفرد حينما يتكلم فإنه ولا شك ينحرف قليلا عن لسان قومه، ونجد أن الفرد يحاول دائما أن يكون لسانه قريبا من الفصحى لأنها النموذج المثالي الذي يسعى إليه الفرد. ونجد أن لسان أمة من الأمم يشتمل على عدة لغات، واللغة في حد ذاتها تتألف من كلام كل فرد؛ فاللسان العربي مثلا يتضمن عدة لغات وإن كانت هذه لا تختلف إلا من حيث الجزئيات والتفاصيل.

ونرى اليوم اللسان العربي له مميزات بحسب الأقطار العربية؛ إذ نستطيع أن نميز بين لغة أهل الشام عن لغة أهل مصر أو أهالي الجزائر، وهذا من حيث المد أو الإمالة أو تعطيش بعض الحروف ... من الفروق اللهجية المختلفة وأحيانا تطلق كلمة اللغة ويراد بها اللسان، كقولنا اللغة العربية وما إلى ذلك إلا على سبيل

(1) - ينظر: فرديناند دي سوسير، علم اللغة العام، ص32.

التوسع في المعنى، وإلا فإن المقصود باللسان مفهوم أعم كما رأينا، نجد أن واضعي المعاجم عندهم مفهوم خاص عن اللغة عندما يشيرون بصدد شرح إحدى الألفاظ إلى أنه توجد فيها لغات.<sup>(1)</sup>

ومن جملة ما قُدمَ يمكن أن نلخص خاصيات اللغة في الآتي:

- 1- إن اللغة شيء محدد تحديدا دقيقا ضمن الكتلة غير المتجانسة للوقائع اللغوية، ويمكن تحديد موقعها في الجزء المحدد لدائرة الكلام في المكان الذي ترتبط فيه الصورة السمعية بالفكرة، فهي القسم المجتمعي للسان الواقع خارج الفرد الذي لا يستطيع أبدا خلقها أو تعديلها، فلا يمكن تواجدها إلا بنوع من الاتفاق يتوصل إليه أعضاء جماعة لغوية معينة، وهي شيء متميز جدا، فإذا فقد المرء استخدام الكلام فإنه يبقى محتفظا بها إذا كان يستطيع فهم الإشارات الصوتية التي يسمعها.<sup>(2)</sup>
- 2- إن اللغة المتميزة عن الكلام هي موضوع يمكن دراسته منفصلا مستقلا، فاللغات الميتة رغم عدم استخدامها إلا أننا نستطيع تعلم أنظمتها بسهولة، وعلم اللغة لا يستغني عن باقي عناصر اللسان الأخرى وحسب، بل إن وجوده لا يكون ممكنا إلا بتخلصه من عناصر اللسان الأخرى.<sup>(3)</sup>
- 3- اللسان غير متجانس، أما اللغة كما سبق الذكر فمتجانسة؛ فهي نسق دلالات ونظام من الإشارات جوهره الوحيد اتحاد المعنى بالصورة السمعية وكلا طرفي هذه الإشارة سايكولوجي.

(1) - ينظر: أحمد عبد الرحمان حماد، العلاقة بين اللغة والفكر، ص 47.

(2) - فرديناند دي سوسير، علم اللغة العام، ص 33.

(3) - ماري آن بافو وجورج إليا سرفاتي، النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، ص 113.

4- في عنصر جامع فإن اللغة لا تقل أهمية عن الكلام في كونها موضوعا ذا طبيعة مادية، فكلاهما شيء ملموس وهذا مايساعد في دراسة اللغة. والدلالات اللغوية وإن كانت سايكولوجية في جوهرها ليست مجردات، والارتباطات ذات الطابع الجماعي وموافقة أطرافها التي من مجموعها تتألف اللغة هي أشياء حقيقة لها وجود في الدماغ.<sup>(1)</sup>

وقد عدّد (سوسير) الأمور التي تميز اللغة عن الكلام، ويمكن تلخيصها في الجدول الآتي:

اللغة	الكلام
- اجتماعية.	- فردي
- جوهرية.	- تابع شبه عرضي
- مسجلة سلبيا.	- فعل إرادي وذكي.
- نفسية.	- نفس فيزيائي.
- مجموع بصمات في كل دماغ.	- مجموع ما يقوله الناس.
- نموذج جماعي.	- غير جماعي.

وهاهو في نظريته يصطنع ثالوثا خاصا به يتضمن تصورات ثلاث متكاملة:

1- إن ما يسميه "دي سوسير" le langage "اللغة" هو اللغة في أوسع معانيها، أي اللغة باعتبارها

ظاهرة إنسانية عامة.

(1)- ينظر: فرديناند دي سوسير، علم اللغة العام، ص33.

2- إن ما يدعوه "la langue" اللغة المعينة: أي العربية أو الإنجليزية ... فهو يضم على وجه الخصوص نظام المفردات والنحو في أي عصر من عصور تاريخ لغة معينة. و"langue" أي هذه اللغة أو تلك عند دي سوسير جماعية أو اجتماعية.

3- أما التصور الثالث الذي يعبر عنه (دي سوسير) بكلمة la parole -الكلام- فردي وهو واقع تحت سيطرة الفرد، فيعني به إظهار الفرد للغة (la langue) وتحقيقه إياها عن طريق الأصوات المملوطة أو عن طريق العلامات المكتوبة.

أما في استعمالنا عبارة اللغة العربية والتي تعني اللسان العربي؛ فإننا نجد فرقا واضحا بين الكلام واللغة واللسان، وذلك أن الكلام يطابق المصطلح الفرنسي الذي ذكر عند (دي سوسير) Parole، واللغة تطابق la langage أما اللسان فيطابق la langue.<sup>(1)</sup>

ولتوضيح الفرق بين هذه المفاهيم الثلاثة يقول (الدكتور حنفي بن عيسى) في كتابه "محاضرات في علم النفس اللغوي": «إن الباحث إذا ما تصدى لدراسة لسان قوم فإما أن يكون موضوعه هو اللغة كظاهرة اجتماعية، وكأداة يتم بواسطتها التفاهم بين أبناء الأمة الواحدة، أو أن ينصرف إلى دراسة الكلام، وهو نوع من السلوك الفردي ويتجلى عن طريق كل ما يصدر عن الفرد من أقوال مملوطة أو مسطورة».<sup>(2)</sup> فالكلام

(1) - أحمد عبد الرحمان حماد، العلاقة بين اللغة والفكر، ص45.

(2) - حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1971، ط2، 1980، ص70.

واللغة إذن هما في الواقع جانبان متناظران لظاهرة واحدة، أما الأول فهو الجانب الفردي من السلوك اللفظي، وأما الثاني فهو السلوك الاجتماعي.

وبناءً على هذا نقول أن الكلام واللغة كل منهما سابق للسان من حيث النشوء؛ لأن اللسان لا يستقر إلا بعد مضي أجيال؛ فهو يتأثر بالكلام واللغة ويؤثر فيهما؛ فهو يتأثر بهما لأنه نتاج كل ما يصدر عن الأفراد من أقوال، لأنه يتلقى رصيده اللغوي من الأفراد والجماعات، ويؤثر فيهما لأن المتكلم يحاول دائماً أن يتقن أساليب التعبير ويقلد البلغاء إلى أن تصبح لغته ملكة راسخة وأداة مطواعاً لفكره.

### ● بين اللسانيات الداخلية واللسانيات الخارجية:

لقد استعمل (دي سوسير) كلمة نسق ولم يستعمل كلمة بنية، وهو ما جعله يهتم بالتمييز بين إطارين للدراسة اللسانية هما: اللسانيات الداخلية "Linguistiques Internes" التي تدرس نسق اللغة وقواعدها الباطنية؛ أي من حيث هي نظام قائم بذاته وما عليه منطق نظامها الداخلي، تاركا اللسانيات الخارجية "Linguistiques Externes" التي تهتم بالبحث في علاقة اللغة بالجنس البشري وتأثير التاريخ السياسي في اللغة، وعلاقة الثقافة والنظم الاجتماعية باللغة، إضافة إلى دراسة تطور اللغات واللهجات وتوزيعها الجغرافي، وهكذا فإنه يعد أول من وضع اللبنة الأولى لظهور المنهج البنوي، ذلك المنهج الذي تحددت معالمه الواضحة ومنطلقاته المعرفية في مؤتمر براغ عام 1929 بمبادرة من (كارشفسكي) و(رومان

باكسون) و(تروبتسكوي)، وقد اعتبروه منهجا علميا صالحا لاكتشاف قوانين «بنية النظم اللغوية وتطورها». (1)

لقد عرفت مصطلحات البنية والنسق - عن طريق مؤسسي حلقة براغ وعلى رأسهم (تروبتسكوي) و(ياكسون) - شيوعا عن طريق تلك المقاربات التي طرحوها في كثير من الملتقيات والمؤتمرات. ولم يقتنع (ياكسون) وحتى (تروبتسكوي) بالنظرة الصورية لمفهوم التزامن، وتطبيقه تطبيقا مغلقا على الظواهر الصوتية واللسانية والوقائع الأدبية، ولكنهما مؤمنين بوظائفية اللسان ونسقيته لأنه خزان من الإجراءات العملية. ووجه التباين بين لسانيات براغ ولسانيات (دوسوسير) أنهم نظروا إلى اللسان على أنه "نسق وظيفي". أي أنهم تعاملوا مع اللسان من المنظور الحركي وليس من المنظور السكوني. لقد ظلت البنية - حسب إيكو - منذ (دوسوسير)، وبحوث حلقة براغ وحتى في أنثروبولوجية (ستراوس)، وداخل المدرسة السيميائية الفرنسية، وبلا شك نسقا من العلاقات الذي يمكن تطبيقه على ظواهر مختلفة. (2)

إنّ اللسان نظام ترتبط فيه جميع الأجزاء بعضها ببعض، ويقوم هذا الارتباط على أساس اتحاد الهويات أو اختلافها. فالتباين أي التقابل بين الوحدات هو النظام الذي تبنى عليه اللغات جميعها، فالوحدات اللسانية لا تكتسب هويتها "قيمتها" (Sa Valeur) إلا إذا أمكن استبدالها بأخرى، ولا يتحقق هذا الأمر إلا إذا اكتسبت كل لفظة مجموعة من الصفات تقابل بها كل واحدة من الألفاظ الأخرى. وبهذا فإن اللسان بفضل

(1) - زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، سلسلة مشكلات فلسفية، دار مصر للطباعة، د ت، ص 44.

(2) - ينظر: أحمد يوسف، النسقية سلطة البنية ووهم المحاثة، ص 128.

نظامه الداخلي يستطيع أن يؤدي الوظيفة التي وضع من أجلها، وهي وظيفة التبليغ والتخاطب. وأما هدف اللساني فقد بات الكشف عن خواص هذا النظام؛ أي استخراج البنية التي تقوم عليها كافة الألسنة البشرية على اختلاف رقعتها الجغرافية، ومن هذا سيطر هذا المفهوم في الحقل اللساني؛ إذ غدا منهجا علميا تعتمد عليه العلوم الاجتماعية الإنسانية والنفسية في تحليلاتها.<sup>(1)</sup>

لقد بيّن (دي سوسير) في فصل من فصول كتابه المشهور إضافة إلى الثنائيات المشهورة زوجا آخرًا مهما من هذه الثنائيات، اصطلاح عليه بـ "لسانيات اللسان/ ولسانيات الكلام"، وانطلاقًا من هذه الثنائيات حاول أن يؤسس لموضوع اللغة وهو اللسان؛ فاللغة عنده هي لسان وكلام، وقد حاول أن يفرق بين لسانيات النص ولسانيات الكلام، ويرى أن الفرق بينهما شاسع، إنه فرق بين القوانين والقواعد اللسانية من جهة، وإنجاز لتلك القوانين لغويًا؛ أي الكلام من جهة أخرى. وإذا كان الكلام متغير حسب السياق والمقام؛ فإن قوانينه متغيرة، أي أن نظامه اللساني متغير، أما اللسان فثابت لا يتحرك ولا تتغير قوانينه وقواعده بتغير المقام والسياق، ومن هنا استطاع (دي سوسير) أن يصل إلى النظام الأساسي للغة، فالنظام هو اللسان، واللسان هو النظام، وإذا كان هذا خاص باللسان فالكلام نظامه أيضًا، وإذا استطعنا ضبط الأول فبالضرورة نستطيع ضبط الثاني، لأن الأول عمدة الثاني.<sup>(2)</sup>

والواقع أن ما يطلق عليه (سوسور) عبارة "اللسانيات الخارجية" له صلات بالإنثولوجيا، وبالتاريخ السياسي، وبما يسميه "المؤسسات من كل نوع"، مثل الكنيسة والمدرسة والجغرافية اللغوية واللهجيات. إنهما

(1) - شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص 15.

(2) - فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ص 56.

لسانيات تصف الروابط التي يمكن للغة أن تقيمها مع ما هو خارج عنها وتراكم المعلومات، لكنها لا تقدم معلومات عن وظيفتها الداخلية والمستقلة.<sup>(1)</sup>

إنّ علم اللغة الخارجي يتناول أشياء مهمة كثيرة، وهي الأشياء التي تخطر على بالنا حين نبدأ بدراسة اللسان، ودراسة هذه الظواهر اللغوية الخارجية مفيد جدا، ولكن القول إنّنا لا نستطيع فهم النظام اللغوي الداخلي من غير دراسة الظواهر الخارجية إنّما هو كلام بعيد عن الحقيقة. لنأخذ مثلا استعارة الكلمات من لغات أجنبية نلاحظ منذ الوهلة الأولى أن الاستعارة هذه ليست عاملا ثابتا في حياة لغة من اللغات، وهو ما ينفي ذلك الزعم، وأفضل برهان على الحاجة إلى الفصل بين وجهتي النظر هو أن كل واحدة منهما تطلب أسلوبا متميزا في البحث، فعلم اللغة الخارجي يستطيع أن يجمع بين تفصيل وآخر من غير أن يقع في قبضة النظام، فيقوم كل كاتب على سبيل المثال بتصنيف الحقائق إلى مجموعات - بالطريقة التي يراها مناسبة-؛ أي الحقائق التي تتعلق بانتشار اللغة خارج بيئتها.<sup>(2)</sup>

يقتضي تعريفنا للغة على أساس ما تقدم إقصاء كل ما هو غريب عن كيانها وعن نسقتها، وباختصار: إقصاء كل ما يطلق عليه عبارة "اللسانيات الخارجية" (Linguistique externe)، علما بأن هذه اللسانيات تشتغل على أمور ذات أهمية، خصوصا وأنها هي التي تحضر في الذهن عند تناولنا دراسة اللغة. ولكن لا يمكن للغة أن تكون موضوعا لللسانيات كونها فردية وجماعية متعددة الأشكال، حيث تتقاسمها علوم

(1) - ماري آن بافو وجورج إليا سرفاتي، النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، ص 111.

(2) - ينظر: فرديناند دي سوسير، علم اللغة العام، ص 40.

متعددة: فيزيائية، فيزيولوجية، نفسية، كما يصعب تصنيفها ضمن الوقائع الإنسانية وهو القرار نفسه ينسحب على الكلام كونه فردياً متنوعاً.<sup>(1)</sup>

إلا أنه يقول صراحة بالمماثلة الضرورية بين اللسانيات ولسانيات اللغة: «يمكن الاحتفاظ في الأقل باسم اللسانيات لكل من هذين التخصصين والتحدث على لسانيات الكلام. إلا أنه لا ينبغي خلطها باللسانيات الحقة تلك التي تعتبر اللغة موضوعها الوحيد».<sup>(2)</sup> بحيث لا يمكن لأي كان الكلام خارج دائرة اللسان كونه - وحده - الذي ينظم ويؤطر ويبين كل العملية الكلامية الواقعة بين طرفين على الأقل، ليتم التفاهم والتواصل بين المجموعة اللغوية الواحدة. فقد حاول (دي سوسير) تصنيف اللسان ضمن الوقائع الإنسانية بوصفه واقعة اجتماعية، ومن هذا الإجراء بدأ في صياغة تصوراته الجديدة للسان، وهي الأسس التي قادت إلى الفصل القاطع بين معطيات اللسان الموضوعية ما يشكل موضوع اللسانيات عنده، وبين تحقيقات الكلام المرتبطة بالفرد وتعلقات أهوائه، وهو أمر يصعب معه عزل عناصره والتحكم فيها وتصنيفها، وسترتب على هذا الفصل نتائج بالغة الأهمية عبّر عنها (سوسير) من خلال سلسلة من الثنائيات التي تعد جوهر عمله الريادي في مجال اللسانيات الحديثة.<sup>(3)</sup>

إن تفضيل (سوسير) "اللسانيات اللسان" على حساب "اللسانيات الكلام" لم يؤد وحسب إلى فصل منظورين متضامين كان عليه الاكتفاء بتمييزهما بعضهما عن بعض، فهو لم يبق سوى على قيم نظام اللسان مما

(1) - حنون مبارك، مدخل إلى لسانيات سوسير، ص 33.

(2) - ماري آن بافو وجورج إلبا سرفاتي، النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، ص 115.

(3) - سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائيات السردية، ص 17.

أتاح للنيويين ولمدة طويلة الدفاع عن مقولة وحدانية المعنى وتبرير إقصاء اللبس خارج حقل المعارف، كما علمهم الحذر الدائم تجاه المعنى في واقع بنائه ضمن النشاط الكلامي. فإذا ما دأبنا على هذا الواقع لا يعود بالإمكان دراسة بنية الجمل والكلمات على هذا الواقع الملتبس، وكأنها حالات طارئة في الاشتراكات اللفظية، بل على أنها تباديات أساسية لتعددية المعنى، فهناك من جهة إطار يعتبر الاشتراك اللفظي حدثا طارئا وإطار آخر من جهة أخرى يرى في تعددية المعاني بناء قابلا للتحليل، ولا يمكن التوفيق بين الإطارين؛ فالبحث سلسلة متباينة من اللحظات.<sup>(1)</sup>

إنّ اللسانيات الخارجية تستطيع أن تراكم الجزئيات من دون أن تشعر بأنها مقيدة بنسق، والأمر يختلف بالنسبة لللسانيات الداخلية (interne)، إنّ اللغة نسق لا يعرف إلا نظامه الخاص به، واللساني هو الذي يهتم بالنظام الداخلي للغة ليكشف عن قوانينه وأصوله.<sup>(2)</sup>

وأما المعرفة بالعوامل السياسية والحضارية والجغرافية والثقافية للغة فتعد ثانوية، ذلك لأنها لا تضيف جديدا للدرس اللساني البنيوي، ولا تنقص شيئا من قيمة النظام اللغوي. ولقد أكد (دي سوسير) هذا الطرح من خلال لعبة الشطرنج. فهنا يسهل التمييز نسبيا بين ما هو خارجي وما هو داخلي: إن كون هذه اللعبة انتقلت من بلاد فارس إلى أوروبا هو أمر خارجي، بينما يعتبر داخليا كل ما يتعلق بالنسق والقواعد.<sup>(3)</sup>

(1) - كلود حجاج، إنسان الكلام - مساهمة لسانية في العلوم الإنسانية، ص 363.

(2) - ينظر: ماري آن بافو وجورج إليا سرفاتي، النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، ص 112.

(3) - شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص 10.

فالتنظيم العشوائي في علم اللغة الداخلي لا يفيد في هذا العلم، لأن اللغة نظام له ترتيب خاص به، ويمكن توضيح ذلك بتشبيه النظام اللغوي بالشطرنج، فما هو خارجي في الشطرنج يمكن فصله بسهولة عما هو داخلي، فلو استخدمنا أجزاء من الشطرنج مصنوعة من العاج بدلا من الخشب فإن هذا التغيير لا أثر له في نظام الشطرنج، أما إذا قللنا من أجزاء الشطرنج أو أضفنا إليها فإن هذا التغيير له أثر كبير في اللعبة، إذن ينبغي للمرء أن يميز بين ما هو خارجي وما هو داخلي، ويستطيع المرء في كل حالة أن يحدد طبيعة الظاهرة باستخدام هذه القاعدة، فكل شيء يحدث تغييرا في النظام بأي أسلوب كان إنما هو داخلي.<sup>(1)</sup>

إن وضع أي مصطلح علمي لا يتم بصفة عشوائية، وإنما وفق معايير وشروط ينبغي احترامها والتقيد بها، ولا يمكن أن يفهم بعيدا عن ظروف وقوعه، لهذا ليس من الصحيح تجريد المصطلح من واقعه وظروفه وإعطائه طابعا معياريا خارج إطاره الزماني والمكاني. وإخراج المصطلحات أو المفاهيم من إطارها الزمكاني يدخلها كبنية ودلالات في عالم التشويه والفهم المغلوط والتطبيق السيء، ولهذا وجب مراعاة البيئة التي وُلِدَ فيها المصطلح أي المنقول منها إلى البيئة المنقول إليها، دون أن ننسى أن ما يحقق حياة هذا المصطلح فعلا هو الشبوع والاستعمال.

(1) - فرديناند دي سوسير، علم اللغة العام، ص 40.

# الفصل الثالث

المصطلح اللساني وإشكالية المكافئ العربي

(مصطلحات حقل الصوتيات وتحليل الخطاب)

• المصطلح اللساني وإشكالية المكافئ العربي (مصطلحات حقل الصوتيات وتحليل الخطاب):

يبدو أن المصطلحات اللسانية في كافة مستويات الدراسة اللغوية: الصوتية والصرفية والتركيبية والمعجمية والدلالية ليست خاضعة للوحدة في الاستخدام، بل يسودها التنوع والتباين باستعمال مصطلحات متعددة بجوار المصطلح اللساني الواحد. فأصفي صورة لاضطراب مصطلحات اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة الاختلاف حول المقابل العربي للمصطلح الواحد في الثقافة الأخرى، إذ نلفي مصطلحات عربية متعددة تتوارد لنوب عن مصطلح أجنبي واحد أو مفاهيم متشابهة. ولعل في استقراء الحقول الدلالية في كل من اللغتين ما يجعلنا نتلافى اضطراب الترجمة، وفوضى الاصطلاح الذي نلمسه بوضوح في قطاع العلوم اللسانية.<sup>(1)</sup>

لهذا سأسعى في هذين الفصلين الأخيرين من البحث إلى معالجة هذه المسألة المهمة المتعلقة بالإشكال الذي يقع فيه المتعامل مع المصطلح وهو ينقله من بيئته الأم إلى بيئة أخرى. وقد حاولت بقدر الإمكان أن أصوغ بعض الأجوبة للاختيارات التي تبنيتها لهذا المصطلح أو ذلك، وهذا انطلاقا من المدونة التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة والتي تتضمن بعض المصطلحات اللسانية الأساسية في الدرس اللغوي المعاصر، وفيما يلي عرض لبعض هذه المصطلحات التي عرفت تباينا كبيرا فيما بينها:

1- مصطلح (phonème):

(1) - عز الدين البوشيخي ومحمد الوادي، قضايا المصطلح في الآداب والعلوم الإنسانية، ج1، سلسلة الوادي، مكناس المغرب، د ط، 2000، ص71.

المصطلح	المكافئ العربي
Phonème	- فونيم. - صوتيم. - صوتية. - مستصوت...

الفونيم في الصوت هو أصغر وحدة مميزة يمكن عزلها في السلسلة الكلامية، فهو ذلك الصوت الذي يؤدي داخل اللسان دور تمييز وحدتين مفردتين بمعنيين مختلفين معرف بوظيفته التمييزية، ويمكن أن يكون للفونيم الواحد تحقيقات صوتية متعددة تسمى بدائل لتمثل تقليدياً بحروف توضع بين خطين مائلين؛ فهي الوحدات القاعدية للسان (إذ نجد لها محدودة العدد داخل كل لسان) حيث يؤلف ارتباطها وحدات مورفيمية وذلك بموجب القواعد الفونولوجية.<sup>(1)</sup>

لقد شهد هذا المصطلح الأجنبي تعدداً في ترجماته إلى العربية، ولعل ما أورده (أحمد مختار عمر) من تتبع للمقابلات العربية في المؤلفات اللغوية خير شاهد على ذلك؛ فمن مقابلاته نجد: صوتم في (قاموس اللسانيات)، وصوت وصوتم في كتاب (دروس في علم أصوات العربية)، وفونيم وفونيمية وصوتيم وصوت مجرد

(1) - ينظر: ماري آن بافو وجورج إليا سرفاتي، النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، ص412 وينظر: ماري نوال غاري بربور، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ص80.

في (معجم علم اللغة النظري) وفونيم في (معجم مصطلحات علم اللغة الحديث) وصوتية في (المصطلح اللساني) وصوت في (مفاتيح الألسنية) ومستصوت وفونيم ولافظ في (مجلة الفكر العربي).<sup>(1)</sup>

وهذا ما نلمسه عند "صالح القرمادي"؛ فقد حاول نقل مصطلح "Phonème" إلى العربية، تارة بكلمة صوت، وتارة بكلمة صوتم، ومن الجانب الآخر فقد بالغ في الإفادة من المصطلحات التراثية على نحو جعل القارئ يخلط بين مفهومين مختلفين، كلمة حرف دالة في التراث على الرمز المكتوب والصوت المنطوق، فجعلها (القرمادي) ترجمة لكلمة Consonne في مقابل الحركة Voyelle.<sup>(2)</sup>

وارتبط بمصطلح "Phonème" مصطلحان آخران هما: Allophone و "Phone"، ومن مقابلات الأول: صوتم تعاملي، ألوفون صوتي، بد صوتية (بديلة صوتية)...، ومن مقابلات الثاني: فون، صوت، صوت لغوي، كلامي، صوت كلامي...<sup>(3)</sup>

## 2- مصطلح (Phonétique):

المصطلح	المكافئ العربي
	- الفونيتيك.

(1) - محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، ص 83.

(2) - هشام خالدي، صناعة المصطلح الصوتي في اللسان العربي الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، لبنان، 2012، ص 147.

(3) - ماري نوال غاري بريور، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ص 80.

<p>Phonétique</p>	<p>- أصواتيات.</p> <p>- صوتيات.</p> <p>- علم الأصوات.</p>
-------------------	---

إنّ علم الأصوات (الفونتيك) هو دراسة أصوات اللغة؛ إذ تتكون كل لغة من اللغات من عدد محدود من الوحدات الصوتية، وتعبّر اللغة بهذا العدد المحدود من الوحدات الصوتية عن الجوانب المتنوعة من الحياة والفكر. والبنية اللغوية لا تتكون من الوحدات الصوتية مفردة؛ بل تتألف من الوحدات الصوتية مركبة في جذور وفي أبنية مختلفة، وبذلك فهذا العلم يعد فرعاً من علم اللغة العام، ولكنه فرع يختلف عن الفروع الأخرى؛ إذ هو لا يعنى إلا باللغة المنطوقة دون أشكال الاتصال الأخرى المنظمة، كاللغة المكتوبة مثلاً، والصوت الإنساني الحي هو موضوع علم الأصوات.<sup>(1)</sup>

وهذا الفرع يحوله لدراسة أصوات اللغة وخصائصها الفيزيائية؛ فهذا العلم لا يهتم إلا بالتعبير اللغوي دون المضمون الذي يقوم تحليله على القواعد والمعجم؛ أي الجانب النحوي والدلالي للغة. وبذلك نجد أنهم عدة مجالات منها: الأصواتيات السمعية، والأصواتيات التأليفية، والأصواتيات التاريخية...<sup>(2)</sup>

لقد عرّب اللسانيون العرب الكثير من المصطلحات التي شاع استعمالها في النظريات اللسانية الغربية مثل مصطلح "Phonétique"، فحين دخل هذا المصطلح درسنا اللغوي الحديث أبقاه بعض الدارسين

(1) - حاتم صالح الضامن، علم اللغة، طبع بمطابع التعليم العالي، بالموصل، جامعة بغداد بيت الحكمة، 1989، ص 57.

(2) - ينظر: ماري آن بافو وجورج إليا سرفاتي، النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، ص 403 وينظر: حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ص 57.

دخيلاً، فقال: "فونتيك"، وغالباً ما كان يقرب بكتابته بإحدى اللغتين الإنكليزية أو الفرنسية، أي (Phonetics) أو (Phonétique) مع شرح لمدلوله بالعربية، كما ترجم وعبر عنه ب (علم الصوت) و(منهج الأصوات)، و(علم الأصوات العام)، و(علم الأصوات)، و(علم الأصوات اللغوية)، و(الصوتيات) و(الصوتية).<sup>(1)</sup>

وها هو الباحث عبد السلام المسدي يضع لكلمة phonétique لفظة "صوتيات"، ووضع لها (الحمزاوي) لفظة "علم الأصوات"، وهي في معجم مصطلحات علم اللغة الحديث "الصوتي"...؛ فالفونتيك هي أصوات اللغة وفونيماتهما، و(الكتابة الصوتية) هي رسم الحركة (الحروف بحسب نطقها)، والفعل الصوتي عند (أوستن) هو فعل تعبيرى تنتج بواسطته سلسلة أصوات تعادل التعبير المقبول في اللغة بغض النظر عن المعرفة المعجمية أو النحوية، مثال: من ينطق جملة لغة ما يجهلها دون أن يخطئ في نطقها.<sup>(2)</sup>

لقد عرف الدرس الصوتي الحديث عند الأوربيين مصطلحين رئيسيين، هما: (Phonétique) و(Phonologie)، وهما اللذان كانا مدار اختلاف الدارسين منذ مطلع هذا القرن. كما كانا عندما أدخلوا الدرس الصوتي العربي المحدث مجالاً لاختلاف الآراء وتعدددها، فنجد لهما عدداً من التفسيرات التي توقع

(1)- أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر آفاق معرفة متجددة، ط1، 1996 / ط3 دمشق، 2008، ص72.

(2)- أحمد مطلوب، بحوث لغوية، دار الفكر للنشر والتوزيع، بغداد، ط1، 1987، ص179.

الباحث في حيرة وارتباك، ولا بد قبل أن تنتهي إلى ما استقرت عليه الآراء عامة من أن نلم بشيء من تطور دلالة هذين المصطلحين.<sup>(1)</sup>

- استعمل دي سوسير اللفظ Phonétique للدلالة على ذلك الفرع من العلم التاريخي الذي يحلل الأحداث والتغيرات والتطورات عبر السنين، وعده من أجل ذلك جزءاً أساسياً من الألسنية، في حين حدد مجال ال Phonologie بدراسة العملية الميكانيكية للنطق، وعده من أجل ذلك علماً مساعداً للألسنية.

- أما مدرسة براغ اللغوية فتستعمل مصطلح Phonologie في عكس ما استعمله فيه دي سوسير، إذ تريد به ذلك الفرع من الألسنية الذي يعالج الظواهر الصوتية من ناحية وظيفتها اللغوية. لذلك نجدها تعتبر الفونولوجي فرعاً من الألسنية. أما "الفوناتكس" فقد أخرجته معظم رجالها من الألسنية واعتبروه علماً خالصاً من علوم الطبيعة يقدم يد المساعدة للألسنية.<sup>(2)</sup>

- واستعملت الألسنية الأمريكية والانجليزية مصطلح فونولوجي لعشرات السنين في معنى "تاريخ الأصوات"، ودراسة التغيرات والتحويلات التي تحدث في أصوات اللغة نتيجة تطورها، وهو حينئذ يكون مرادفاً لما يسمى diachronic phonetics أو historical phonetics، أما المصطلح "فونتكس" فقد استعمل في معنى العلم الذي يدرس الأصوات الكلامية ويصنفها ويحللها من

(1) - ينظر: مجلة عالم الفكر "الألسنية"، المجلد العشرون، العدد الثالث، أكتوبر نوفمبر ديسمبر، 1989، ص 17 وينظر: أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص 71.

(2) - فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، دراسة في النشاط اللساني العربي، ابتراك للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، مصر - القاهرة، 2004، ص 105. و ينظر: مجلة عالم الفكر "الألسنية"، ص 17.

غير إشارة إلى تطورها التاريخي، وإنما فقط بالإشارة إلى كيفية إنتاجها وانتقالها واستقبالها، فهو بذلك فرع من اللسانيات الوصفية وعلى هذا فالفرعان يعدان من صميم الألسنية، وإن دخل الأول تحت فروع الألسنية التاريخية والثاني تحت فروع الألسنية الوصفية.

- معظم الألسنيين يقفون الآن على تخصيص الفونولوجي للدراسة التي تصف وتصنف النظام الصوتي للغة معينة. أما المصطلح "فونتكس" فيقصرونه على دراسة أصوات الكلام مستقلة عن تقابلات نماذجها وعن تجمعاتها في لغة معينة، ودون نظر إلى وظائفها اللغوية أو حتى معرفة اللغة التي تنتمي إليها.

- لكن دارسين آخرين لم يفرقوا بين (الفونيتيك) و(الفونولوجيا)؛ لأن أبحاث كل منهما تعتمد على الأخرى، وهما يتناولان مادة واحدة هي الأصوات؛ لذلك جمعا معا تحت أحد المصطلحين: (الفونيتيك) أو(الفونولوجيا).

ومن أجل هذا اللبس ظهر المصطلحان الجديان Phonematics و Phonemics كبديلين للمصطلح "فونولوجي"، اهتمتا بالصوتيات الوظيفية واقتصروا لذلك على دراسة الوحدات الصوتية (Phonèmes) بوصفها عناصر لغوية. لكن معظم اللسانيين جعلوا (الفونيتيك) علما يدرس أصوات الكلام دون النظر إلى وظائفها اللغوية أو تحديد اللغة التي تنتمي إليها.<sup>(1)</sup>

(1)- ينظر: مجلة عالم الفكر"الألسنية"، ص 17 وينظر: أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص71.

لقد انتقل الخلاف في مفهوم المصطلحين إلى اللغة العربية؛ فاستعملها الألسنيون العرب كل حسب دراسته ومدرسته الألسنية. كما امتد الخلاف ليشمل كيفية التعبير عن مفهوم كل منها باللغة العربية؛ فمنهم من أبقى المصطلح "فوناتكس" وعربه إلى "فوناتيك"، ومنهم من عبر عنه بمصطلح "الصوتيات" أو "علم الأصوات" أو "علم الأصوات اللغوي" أو "علم الأصوات العام". وحدث نفس الشيء بالنسبة للمصطلح "فونولوجي"؛ فمنهم من أبقاه وعربه إلى "فونولوجيا"، ومنهم من عبر عنه بالمصطلح "علم الفونيمات"، أو "علم الأصوات"، أو "علم الأصوات التاريخي"، أو "علم الأصوات التنظيمي"، أو "علم وظائف الأصوات"، أو "علم التشكيل الصوتي"، أو "علم الأصوات التشكيل"، أو "الصوتية" (دراسة الصوت اللغوي وقاموس اللسانيات، ومعجم علم اللغة النظري، ومعجم مصطلحات علم اللغة الحديث).<sup>(1)</sup> ونظر اللسانيون العرب إلى العلاقة بين "الفونيطيقا والفونولوجيا" على أنها علاقة تكاملية، أو بما أنهما مستويان من مستويات البحث اللساني المعاصر يقول (تمام حسان): «...فمن المقرر دائما أن يتنبه الباحث قبل البداية إلى المستوى الذي يدرس عليه، أهو مستوى الأصوات (الفونيطيقا) أم مستوى التشكيل الصوتي (الفونولوجيا)». ولم يتنبهوا على أن العلمين قد نشأ كلاهما في سياقين منفصلين وفي بيئتين مختلفتين تماما، وأنهما لا يلتقيان منهجيا؛ فمجال الفونيطيقا الكلام، ومجال الفونولوجيا اللغة. لذلك كان فهم اللسانيين للعلاقة بين الفونيطيقا والفونولوجيا يمثل تأويلهم الخاص لهذه العلاقة، وهو تأويل لا يعي الأساس التاريخي الخاص بكل علم، ويتضح ذلك عند الكثير منهم.<sup>(2)</sup>

(1) - مجلة عالم الفكر "الألسنية"، ص 17.

(2) - فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص 105.

لقد فرق (تمام حسان) بين "الفونولوجيا والفونيطيقا" على أساس التفريق السوسيري بين الكلام واللغة الذي يتبناه منذ البداية، وقد ميّز بين الصوت والحرف تمييزاً نظرياً، وهذا التفريق القائم على أساس من الثنائية (لغة/كلام) منقول عن تفريق حلقة براغ بين العلمين، ويشير في هذا الصدد إلى نص ل(تروبتسكوي) يفرق بينهما، ثم يضيف إلى هذا التفريق تفريقاً آخر على أساس وظيفي، وهو في ذلك يعتمد رأي (كانتينو) الذي يقول: «إن الأصوات دراسة للظواهر الصوتية، والتشكيل الصوتي دراسة لوظائف الأصوات». (1) ليواصل القول إن وصف الأصوات وصفاً فونوطيقياً هو مرحلة أولى من مراحل الدراسة الصوتية، ويتبع ذلك استقراء القيم الخلافية التي تفرق بين صوت وآخر، وهي المرحلة الثانية من هذه الدراسة. ولهذا ربما كان أدق تعريف وظيفي للفونيم هو قول (ياكوبسون): «الفونيم صوت ذو قيم خلافية». والمقصود بكونها قيمة خلافية أنها تؤدي إلى تخالف في المعنى. (2)

وبذلك فتمام حسان قد فكّ نهائياً التداخل الذي كان قد قرره في مناهج البحث في اللغة بين "الفونيطيقا والفونولوجيا"، ويقرر أن الفونولوجيا هي العلم الوحيد الذي ينضوي في إطار العلوم اللسانية بوصفه العلم المعني بدراسة النظام الصوتي، أحد الأنظمة الثلاثة التي تشكل بنية اللغة، وهو بذلك يخرج الفونيطيقا من دائرة العلوم اللسانية، ويجعلها مقدمة غير لسانية في اللسانيات. (3)

(1) - فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، دراسة في النشاط اللساني العربي، ايتراك للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، مصر - القاهرة، 2004، ص113.

(2) - سمير شريف استيتية، اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، ص71.

(3) - فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص118.

3- مصطلح (phonologie):

المصطلح	المكافئ العربي
Phonologie	- علم وظائف الأصوات.
	- الصوتية.
	- الصوتية.
	- الفونولوجيا. <sup>(1)</sup>

إنّ الفونولوجيا أو علم وظائف الأصوات اللغوية يدرس الصوت الإنساني في تركيب الكلام ودوره في الدراسات الصرفية والنحوية والدلالية في لغة معينة، كدراسة أصوات اللغة العربية ودورها في الصرف العربي، وفي تراكيب اللغة العربية ودلالاتها.<sup>(2)</sup>

فدراسة اللغة تندرج - عند أغلبهم - على مستويات أربعة: صوتية وصرفية ونحوية ودلالية. أما علم الأصوات فهو يدرس أصوات اللغة من جوانب كثيرة، فإن كان يدرسها دون النظر إلى وظائفها وقيمها فإنهم يطلقون عليه مصطلح "Phonetics"، وأما إن كان يدرسها من حيث وظائفها في اللغة فإنهم يطلقون عليه "Phonology" الذي ترجم إلى علم الأصوات الوظيفي، أو علم الأصوات التنظيمي.<sup>(3)</sup> لتعرف "الصوتية"

(1) - عز الدين البوشيخي ومحمد الوادي، قضايا المصطلح في الآداب والعلوم الإنسانية، ص71.

(2) - عصام نور الدين، علم وظائف الأصوات اللغوية - الفونولوجيا -، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1996، ص24.

(3) - عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت د ط، 1972، ص20.

أو "الفونولوجيا" بأنها دراسة الأصوات اللغوية باعتبارها عناصر وظيفية للغة ما، وهي مختلفة عن الأصواتيات رغم أن مصطلح الأصواتيات الوظيفية استعمل أحيانا كمرادف للصواتية.<sup>(1)</sup>

وقد شهد "علم النظم الصوتية" phonology في العربية تسميات أخرى كثيرة منها: علم الأصوات التشكيلي، وعلم الصوتمة، وعلم الأصوات النظمي، وعلم الفونولوجيا (بإبقاء اللفظ على عجمته)، وفي هذه التسميات وغيرها الكثير مما يدرأ عنها أفضلية التسمية والبنية المصطلحية الجيدة.

يهدف هذا العلم إلى تحديد السمات العامة التي تتكون منها هوية الصوت في لغة ما، ومن هنا اتجه الباحثون في هذا العلم إلى تقديم تصورات نظرية ترمي إلى تحديد الملامح والسمات التي يتميز بها الصوت، وإلى تفسير التغيرات الصوتية وكتابتها بمقتضى الكتابة الفونيمية التي تستطيع أن تمثل الأداءات الصوتية في أي لغة من اللغات تمثيلا دقيقا إلى حد كبير، ومن أجل ذلك نشأت مسألة تمثيل التغيرات الصوتية.<sup>(2)</sup>

لكن من مظاهر الفوضى الاصطلاحية التي يشهدها هذا المصطلح وغيره اقتراح مقابلات غير واردة ولا تؤدي المعنى، من ذلك ترجمة phonology بعلم الأصوات الوظيفي، و phonetics بعلم الأصوات، وطبعا هناك فنولوجيا وظيفية وفنولوجيا غير وظيفية، كما أن هناك فونيتيك وظيفية. حينها نظطر إلى نقل functional phonology بعلم الأصوات الوظيفي غير الوظيفي، ونخلط في الترجمة بين

(1) - ماري آن بافو وجورج إليا سرفاتي، النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، ص 412.

(2) - سمير شريف استيتية، اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، ص 61.

phonology و functional phonetics. وهذا يدل على أن الترجمة لم تراع الحقل الدلالي، وكذلك السياق الذي يرد فيه اللفظ.<sup>(1)</sup>

لقد كان هناك رضا من قبل بعض اللغويين في قبول ترجمة هذا المصطلح إلى "علم وظائف الأصوات اللغوية" مقرونا بتعريبه إلى "فونولوجيا" ومقابلات أخرى، لأن علماء العربية المحدثين لم يتفقوا على ترجمة موحدة له، بل نلمس تباينا واختلافا كبيرا في ترجمته إلى:

- "علم وظائف الأصوات" وهذه ترجمة المرحوم الدكتور (محمد أبو الفرج)، وقد تكون هذه الترجمة أكثر توفيقا من بقية الترجمات، لأنها لخصت تعريف "الفونولوجيا"، وقد أخذنا بها مقرونة بالمصطلح معربا.
- "علم التشكيل الصوتي" وهي ترجمة الدكتور (تمام حسان).
- "علم الأصوات التشكيلي"، "علم الأصوات التنظيمي"، وهي ترجمة (كمال بشر).
- "علم الصوتية"، "علم الصوتية"، "علم التصويتية"، "علم الصوتية"، "علم الفونيمات أو الفونيميك"، "علم الأصوات"، "علم الأصوات اللغوية الوظيفي"، وهي ترجمة (محمود السعوان)، كما ترجم هذا المصطلح بـ "علم الأصوات التاريخي" و "علم النطقيات".<sup>(2)</sup>

(1) - منظمة الأمم المتحدة للعلوم والتربية والثقافة "يونسكو"، ص32.

(2) - عصام نور الدين، علم وظائف الأصوات اللغوية - الفونولوجيا، ص25.

وقد وضع (المسدي) لكلمة phonologie "صوتية"، ووضع لها (الحمزاوي) "التشكيل الصوتي"، "علم الأصوات اللغوية الوظيفي"، ووضع لها (حمّاش) "علم الفونيمات"، "علم الفلولوجيا"، وفي معجم مصطلحات علم اللغة الحديث "الفونولوجيا دراسة النظام الصوتي".<sup>(1)</sup>

ولم يكن ترجمة بعضهم للفظ "فونولوجيا" بعلم الأصوات الوظيفي إلا بالنظر إلى ما كانت تحيل عليه هذه الصناعة عند "مارتيني" ومن هذا حذوه في تصور أن الفونولوجيا يجب أن تكون وظيفية، وطبعاً كانت الفونولوجيا حين انطلقت عند الروس موزعة بين تيار وظيفي يمكن أن ينسب إلى (تروبتزكوي Trubetzkoj)، وتيار شكلائي صوري ورائده (ياكسون).<sup>(2)</sup>

يرى الكثير من الباحثين أنّ علماءنا لم يتفقوا على ترجمة واحدة للمصطلح الأجنبي الواحد، والذي قد لا يكون موضع اتفاق حتى عند أصحابه الغربيين... لذلك جاءت الترجمات المختلفة انعكاساً للمناهج المختلفة التي نهل منها لغويونا وانعكاساً للمناهج المختلفة التي تحكم تلك المناهل.

#### 4- مصطلح (Cohérence):

المصطلح	المكافئ العربي
	- التلاحم.

(1) - أحمد مطلوب، بحوث لغوية، ص 179.

(2) - منظمة الأمم المتحدة للعلوم والتربية والثقافة "يونسكو"، تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، وقائع ندوة جهوية أبريل

1987 الرباط، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت لبنان، 1991، ص 34.

<p>- الاتساق.</p> <p>- التماسك (المعنوي).</p> <p>- التناسق.</p> <p>- الانسجام.</p> <p>- الترابط.</p>	<p><b>Cohérence</b></p>
--	-------------------------

من جملة المصطلحات الأكثر إجراءً وتداولاً في حقل اللسانيات عامة وحقل اللسانيات النصية خاصة

نجد مصطلحي الاتساق (cohésion) والانسجام (cohérence) اللذان يغطيان قطاعاً واسعاً من  
 الدرس اللساني وبالأخص النصي، حتى حسب بعض الدارسين والباحثين أنّ لسانيات النص تساوي الاتساق  
 والانسجام.

إن دراسة اتساق وانسجام النص تشكل موضوع اللسانيات النصية التي تدرس الكيفية التي بمقتضاها  
 تشكل سلسلة من الجمل وحدة نص، بوجه عام يعتقد أن الاتساق ينتج عن تسلسل الجمل وخطية النص  
 linéarité، في حين أن الانسجام يعتمد على الاتساق غير أنه يقحم قيوداً عامة غير خطية مرتبطة خاصة  
 بالسياق ونوع الخطاب، وحول هذه النقطة هناك غموض يحف بالمصطلحات: هناك بعض اللسانيين من  
 يستخدم مفهوم الاتصال/ الارتباط Connexité بدلاً مما سمي أعلاه ب (الاتساق)، بيد أن لسانيين  
 آخرين يتحدثون عن الاتساق عندما يتعلق الأمر فقط بالعلاقات (التي تقيمها أدوات الربط/ الوصل بين  
 الجمل). فالتمييز بين الظواهر التي هي من قبيل الانسجام وتلك التي هي من قبيل الاتساق ليست بالأمر  
 السهل إن نحن أردنا تفصيل هذا التمييز، غير أن هذا التمييز مع ذلك أساسي، إذ هناك أساليب تنظيم نصية

وسطى ما بين الجملة الأساس والنص منظورا إليه في شموليته وهذا حال (المتواليات) و(البنى الفوقية) التي تساهم في البناء المعماري للنص.<sup>(1)</sup>

لقد نال مصطلح "الاتساق" اهتماما من علماء النص بتوضيح مفهومه وأدواته ووسائله وإبراز عوامله وشروطه، لكن إذا ما حاولنا الوقوف عند استعمالاته عند الدارسين العرب فنجد أنفسنا أمام تنوع رهيب لا نجد له تفسيراً؛ فهذا (محمد خطاي) في كتابه "لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب" يستعمل مصطلح "الاتساق" كمقابل للمصطلح الغرب (cohésion) فيقول: «يقصد عادة بالاتساق ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص/خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته، ومن أجل وصف اتساق الخطاب/النص يسلك المحلل الواصف طريقة خطية متدرجة من بداية الخطاب حتى نهايته، رصد الضمائر والإشارات المحيلة إحالة قبلية أو بعدية، مهتما أيضا بوسائل الربط المتنوعة كالعطف والاستبدال والحذف والمقارنة والاستدراك».

أما (سعد مصلوح) في مقالته: "نحو أجرومية للمعنى الشعري ضمن مجلة فصول" فيستعمل مصطلح "السبك"، ويوظف (سعيد حسن بحيري) في كتابه "علم لغة النص" مصطلح "الربط"، أما (الأزهر الزناد) فيفضل مصطلح "التماسك" كمقابل للمصطلح (cohésion).<sup>(1)</sup>

(1) - ينظر: دومنيك مونقانو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يجياتن، منشورات الاختلاف، ط1، 2005، ص18.

وفي تحليلنا لتعريف "كارتر **Carter**" لمصطلح الاتساق نجده ينعته بالربط، إذ يقول: «يبدو لنا الاتساق ناتجاً عن العلاقات الموجودة بين الأشكال النصية، أما المعطيات غير اللسانية (مقامية، تداولية) فلا تدخل إطلاقاً في تحديده؛ فدراسته مثلاً تمكنا من إدراك العلاقات الرابطة بين الجمل المكونة للنص، لذلك فمحاولة تحديده ترتبط بالضرورة بوصف طبيعة الروابط الشكلية لسطح النص، وحديثنا عنه يجب أن ينطلق من هنا حيث يسمح لنا التحليل بالوصول إلى تحديد البنيات الصغرى التي تشكل منها النص».<sup>(2)</sup>

يُمثّل مصطلح (cohésion) كل الأدوات والوسائل التي بها يبني الخطاب تسلسله ويشد مفاصله؛ فهو يجمع كل العلاقات الرابطة التي تكوّن الخطاب أو النصّ، ولذلك اعتبرت دراسة الربط من مجالات تحليل الخطاب، وقد اعتنت به كذلك اللسانيات النصية (Linguistique textuelle)، ويرى (هالداي Halday) أنّ «الربط يشير إلى مجموعة الإمكانيات المتوقّرة لربط شيء بشيء آخر حدث من قبل، مما يعني أن الربط مؤسس على مفهوم العلاقة بين عناصر الخطاب..؛ فالربط يقوم على مفهوم العلاقة الجامعة بين أجزاء الخطاب، وتعتبر أدوات الوصل وظروف المكان والزمان وأزمنة الأفعال والضمائر أهم مكونات عملية الربط».

(1) - تمام حسان، موقف النقد العربي التراثي من دلالات ما وراء الصياغة اللغوية، ضمن كتاب قراءة جديدة لتراثنا النقدي، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ج2، 1988، ص789.

(2) - نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، عالم الكتب الحديث، جدار للكتاب العالمي، ط1، عمان الأردن، 2009، ص81.

ويُميّز (هالداي Halday) و(حسن باكالا) بين مفهومين للرّبط (الرّبط باعتباره علاقة في النظام بأكمله)، و(الرّبط باعتباره إجراء في النص)، ولهذا يعرفان الرّبط على أنه مجموعة من الإمكانيات التي توجد في اللغة بصفة عامة، ومن شأنها أن تجعل النص مترابطا ومتماسكا، وهذه الإمكانيات يملكها المتكلم ويتصرف فيها حسب الحاجة إليها.<sup>(1)</sup>

ولا يقتصر الرّبط على الروابط وحدها، وإنما يستدعي خصائص لسانية أخرى تكمن في الألفاظ المجاورة لها، فارتبط مفهوم الربط بالعلاقة الممكنة بين الوظائف الخطابية وخصائص الروابط النحوية والدلالية والبرغماتية. ولذلك يقوم الربط على التناسق والتناغم بين الروابط والملفوظات التي تربطها، وهو ما يجعل مفهوم الرّبط مفهوما معقدا لا يمكن حصره في الروابط وحدها؛ إذ لا بدّ من وجود تجانس بين الأدوات الرابطة، والقواعد النحوية المتحكمة في السلسلة الكلامية، والمقاصد الدلالية التي يقتضيتها معنى الملفوظ. ويمكن أن نعتبر أن الرّبط شأن بنيوي يهتم بتكوين العلاقات الرّابطة بين مكونات الخطاب؛ فهو ضروري من هذه الناحية ولكنه غير كاف، مما جعله يتطلب مفهوما آخر كثيرا ما يتداخل معه عند الدارسين وهو مفهوم التّرابط (Cohérence).<sup>(2)</sup>

ورغم أن الإطار المفهومي واحد سواء في الدرس اللساني الغربي في بيئته أو ما يحيط به، أو العربي القومي إلا أن الاتفاق على مقابل عربي واحد لم يحصل رغم أن الإطار المرجعي للمصطلح عموما يتحدث عن الاتفاق

<sup>(1)</sup> - ينظر: خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم - قضايا لسانية-، منشورات ضفاف/ منشورات الاختلاف، دار الأمان، الرباط، ط1، 2013، ص106.

<sup>(2)</sup> - خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم - قضايا لسانية-، ص106.

والتوافق، فلا مبرر إذاً لهذا التباين والفجوة المحدثة، ولا فائدة علمية ترجى منه إلا تكريس الخلاف وتوسيع الهوة بين المشتغلين على هذا المصطلح.

5- مصطلح (Cohésion):

المصطلح	المكافئ العربي
Cohésion	- الترابط.
	- الرّبط.
	- التماسك (الشكلي).

لقد عرّف مصطلح "Cohésion" الأجنبي عدة ترجمات ومقابلات، وأكثرها شيوعاً واستعمالاً مصطلح "الترابط" الذي جاء مقابلاً لهذا المصطلح في العديد من المصنفات والمؤلفات وفي مقدمتها المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات. فقد أدت دراسة تحليل الخطاب إلى الوقوف على أهم مكونات ربطه وترابطه، واعتبر الرّبط والترابط من أهم المكونات الأساسية في هذا المجال فهما مصطلحان توأمان، وكانت كثير من الدراسات تخلط بين المفهومين حين ظهر في أواخر الستينيات وبداية السبعينات مصطلحا الترابط اللساني (La cohérence linguistique)، والترابط البرغماتي (La cohérence pragmatique).

وقد كان التمييز بين هذين المصطلحين والاستعمالين مؤسساً على وجود الروابط أو عدم وجودها، فسُمي الترابط اللساني بهذه التسمية لأنه يحتوي على روابط نحوية في السلسلة الكلامية، وسُمي الترابط البرغماتي بهذه التسمية لأنه خال من عناصر الرّبط اللسانية، وبقي هذا التمييز بين عناصر الرّبط غامضاً ولا يفي بحاجة محلل الخطاب، وقد تطورت الدراسات في هذا المجال إلى أن أصبح مصطلحا الربط والترابط يمثلان

نظريتين مستقلتين منهجا، ومتكاملتين هدفا منذ أن وضع (هالداي) و(حسن باكلا) مؤلفا في هذا الغرض عام (1976)؛ فخصّص مصطلح الرّبط لتنظيم مكوّنات الخطاب، فهو يهتمّ بتنظيم المعلومات التي يتطلبها خطاب مترابط، وخصّص مصطلح التّرابط لمبدأ تأويل النصوص.<sup>(1)</sup>

وقد عرّف (ربول Robol وموشلار Moschler) (1998) التّرابط كما يلي:

- يمثل التّرابط خصوصية محددة للخطاب.
- يتحدد الترابط باحترام مجموعة القواعد التي توجّه تنظيم الوحدات الخطابية للخطاب في لسان ما. ليستخلص من جملة التعريفات السابقة لمسألة الترابط أن المفهوم بقي مشدودا إلى مفهوم الرّبط، ولكن هناك من التعريفات ما يناقض ما سبق؛ إذ اعتبر (هاتش Hatch) أن ظاهرة التّرابط تعود إلى مجال البرغماتية أوالسيميوطيقا وليس إلى مجال "اللسانيات"، وقد أيده في هذا الرأي (باتري) الذي اعتبر التّرابط البرغماتي ظاهرة تؤمنها المعارف العامة المتعلقة بالكون. وكذلك اعتبر كل من (سبلو Siblo) و(فرين Fren) أن ظاهرة الترابط لا تعود إلى اللسانيات وإنما هي خارجة عنها، وتعود إلى مجموع الظواهر البرغماتية التي تسمح بالملاءمة بين النص والاستعمال الممكن، فالحكم على ظاهرة الترابط يخضع لتجارب المتلفظين ومعارفهم ومقام التلفظ وقدرتهم المعرفية على تأويل الخطاب.<sup>(2)</sup>

(1) - ينظر: خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم - قضايا لسانية-، ص 107.

(2) - ينظر: مجلة اللسان العربي، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، ص 14، 15

ورغم هذه التعريفات المتعددة والشاملة فإن ظاهرة الترابط لازالت معقدة ويستعصي ضبطها؛ فاعتبرها (باتري Patry) بمثابة قطعة قماش منقطة بحيث يكون تحديد الصورة انطلاقاً من مجموع النقاط صعباً جداً، ورغم هذه الصعوبة في التحديد والتعريف فإن ظاهرة الترابط أصبحت مميزة بالنسبة إلى دراسة تحليل الخطاب أو المحادثة، إذ لا يمكن أن نفهم أي كلام دون التفطن إلى العلاقات الرابطة فيه؛ فهي التي توجهنا وتقيّد فهمنا. فإذا كان الربط جزءاً من نظام اللغة؛ فإن الترابط جزء من نظام العقل، وهما في علاقة تفاعل دائمة بين المعطى اللساني للخطاب والمعطى المعرفي الذي نشأ فيه، ولا يمكن للمتكلم أن يستغني عن هذا التفاعل في تنظيم الخطاب قولاً وفهمه معنا.<sup>(1)</sup>

إن الملاحظ على المصطلحين الأجنيين (cohesion و coherence) من خلال ما تقدم ذاك التداخل الرهيب بينهما؛ إذ قوبلا في كثير من الأحيان وعند العديد من العلماء والخفي أعظم بمصطلح عربي يشمل الاثنين معاً، ألا وهو مصطلح (الترابط) متقاسماً ساحة الاستعمال مع مصطلحات أخرى ليقى الغموض والتباين سيد هذه الساحة.

#### 6- مصطلح (Discours):

المصطلح	المكافئ العربي
Discours	خطاب
	حديث
	قول

(1) - ينظر: خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم - قضايا لسانية-، ص 109.

كلام	
------	--

إذا كان مدلول مصطلح الخطاب في الماضي قد انحصر استخدامه في الدلالة على الصياغة الشكلية للكلام أو الكتابة، فقد اكتسبت في العقود الأربعة الأخيرة من القرن العشرين دلالات جديدة طغت عليه، ويعود السبب في ذلك إلى بروز الدراسات الألسنية وخاصة البنيوية منها، فمصطلح الخطاب لدى البنيويين يعني الوحدة اللغوية المكتملة التي تمتد فتشمل أكثر من جملة، ومن ثم كان تحليل الخطاب عندهم يعني: دراسة العلاقات القائمة بين الوحدات اللغوية في أية لغة شفاهية أو كتابية. وهذا ما يؤكد مفهوم الخطاب المصريح بأنه "تعبير المتكلم عن أغراضه ومقاصده وما يختلج في نفسه من أفكار، سواء في شكل منطوق أو مكتوب وهنا لا ترى فرقا بين الخطاب والنص".<sup>(1)</sup>

ومصطلح "الخطاب" لا يقل عن المصطلحات اللسانية الأخرى إشكالا، وخاصة مصطلح الجملة الذي عرف تداخلا كبيرا معه وبالتحديد في المفهوم، فقد حدد على أنه يشير إلى كل كلام يتجاوز الجملة الواحدة والتي تغدو أثناء تحليله الوحدة الصغرى التي يتكون منها، سواء أكان مكتوبا أو منطوقا. وفي محاضراته "نظام الخطاب" يقرر (ميشال فوكو Michel Foucault) أن الخطاب شبكة معقدة من النظم الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تبرز فيها الكيفية التي ينتج فيها الكلام كخطاب، ويمثل الخطاب في الفعل النقدي فعل النطق أو فاعلية تقول وتصوغ في النظام ما يريد المتحدث قوله، فالخطاب إذن كتلة نقدية لها طابع الفوضى وحرارة النفس ورغبة النطق بشيء ليس هو تماما الجملة، وليس هو تماما النص بل فعل يريد أن يقول.

(1) - هياجنة محمود سليم محمد، الخطاب الديني في الشعر العباسي (إلى نهاية القرن الرابع هجري)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، 2008، ص09.

والخطاب عند (التهانوي) توجيه للكلام نحو الغير للإفهام ثم نقل هذا الكلام، أما عن حضور المصطلح في التراث العربي فإننا نسجل استعماله في القرآن الكريم بصيغة المصدر والفعل في الآيات التالية<sup>(1)</sup> ومنه قوله عز وجل: (وَلَا تُخَاطَبِينَ فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ)<sup>(2)</sup> وقوله تعالى أيضا: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا)<sup>(3)</sup> وقوله تعالى: (رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا)<sup>(4)</sup>.

وقد استعمل هذا المصطلح في اللسانيات بوجهين على الأقل:

- 1- يقابل (بنفسييت) بين اللسان بوصفه نسقا من العلامات، والخطاب بوصفه "إنتاجا للمراسلات"؛ فالخطاب إذاً قريب من الكلام أو التلفظ: وهو يحيل داخل اللسان إلى كل ما لا يمكن تحديده خارج مستوى استعمال الفاعل المتكلم لهذا اللسان.
- 2- يمكننا أن نعني بالخطاب كل وحدة تتجاوز حجم الجملة، فالخطاب إذاً يمثل مجموع الجمل المترابطة عبر مبادئ مختلفة للانسجام.<sup>(5)</sup>

(1) - ينظر: نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ص14.

(2) - سورة المؤمنون، الآية 27.

(3) - سورة الفرقان، الآية 63.

(4) - سورة النبأ، الآية 37.

(5) - ماري نوال غاري بريور، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ص50.

يجمع كل الباحثين الأوربيين على أنّ الريادة ل (زهارين **Zahlareen**) (1952) في تحليل الخطاب، فقد كان له السبق في هذا المضمار، مُعرِّفًا الخطاب من منظور لساني على أنه: «ملفوظ طويل أو عبارة عن متتالية منغلقة، يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية، وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض». (1)

أما في الأدبيات الحديثة فقد ورد مصطلح الخطاب لأول مرة عند (هايمز **Heimes**)، إلا أن مفهومه قد ناله التعدد والتنوع، وذلك بتأثير الدراسات التي أجراها عليه الباحثون حسب اتجاهي الدراسات اللغوية الشكلية والدراسات التواصلية، ولهذا فهو يطلق إجمالاً على أحد مفهومين يتفق مع أحدهما فيما ورد فيما عند العرب، أما في المفهوم الآخر فيتسم بجدته في الدرس اللغوي الحديث، وهذان المفهومان هما:

- الأول: أنه ذلك الملفوظ الموجّه إلى الغير بإفهامه قصداً معيناً.
- الآخر: الشكل اللغوي الذي يتجاوز الجملة، والخطاب بوصفه ما يتجاوز الجملة فهو المفهوم الغالب في الدراسات اللغوية الحديثة. (2)

ورغم ذلك إلا أنّه قد تم تناوله من قبل أكثر من باحث وفق المفهوم الأول، فهذا هو (ديكرو **Decro**) يعرفه بوصفه تتابعا لملفوظات تتقاسم المقتضيات نفسها. (1) «إنّه مجموع الملفوظات المنتجة لتحقيق هدف محدد وفق استراتيجية خاصة». (2)

(1) - عبد الواسع الحميري، الخطاب والنص، المفهوم العلاقة السلطة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 2009، ص90.

(2) - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت لبنان، 2004، ص37.

توافق اللسانيات استراتيجية علمية مغلقة، وهي حالة تحليل الخطاب أيضا. فإذا كان الخطاب يقبل الاختزال، فإنه ليس قابلا للاختزال في الجمل التي تولفه، لأنّ هذه الجمل لا تولف كليا بمقاربة علمية مغلقة. والحال أنّ اللسانيات، وهي التي تعنى بتأويل الجمل، ليست نسقا مفتوحا. فكان رهان تحليل الخطاب، أن يفترض أن جميع مظاهر الجمل التي أخفقت اللسانيات في تفسيرها، يمكن أن تفسر ضمن إطار أوسع، هو إطار الخطاب. يؤدي هذا إلى تعديل وجهة نظر قديمة سادت في اللسانيات، ومفادها أنّ كل ما له صلة باللغة يمكن تفسيره داخل اللغة (أي أننا في غنى عن المعلومات الخارجية)، بوجهة نظر تذهب إلى أنّ كل ما له صلة باللغة يمكن تفسيره في إطار الخطاب، ومن هنا تنبع أهمية مفهوم الخطاب باعتباره وحدة قد تكون لها قوانينها الخاصة.<sup>(3)</sup>

كما أن هناك من الباحثين من نظر إلى الخطاب من زاوية تداولية، محددين إياه بوصفه "حوارا"، أو "منولوجا" شفويا أو كتابيا؛ فهذا هو (فان ديك **Fandick**) يذهب إلى تعريف الخطاب بأنه في آن واحد فعل الإنتاج اللفظي أو نتيجته الملموسة المرئية. وهذا الإنتاج هو ما يؤكد ذلك الشق التداولي، وبذلك فالخطاب عبارة عن محادثة ذات طبيعة رسمية سواء أكان مكتوبا أو مقروءا.<sup>(4)</sup>

(1) - ماري نوال غاري بريور، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ص50.

(2) - ماري آن بافو وجورج إليا سرفاتي، النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، ص407.

(3) - آن روبول وجاك موشلار، تر: لحسن بوتكلالي، تداولية الخطاب من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب، نور المعرفة، ط1، 2020، ص60.

(4) - عبد الواسع الحميري، الخطاب والنص، ص93.

أما (هندس Engels) و (هيرست Hurst) فيربا أنّ الخطاب «عبارة عن أفكار وضعت في نظم

محددة من التعاقب منتجة لآثار محددة (طرح قضايا، نقدها، حلها) وهي بمثابة نتيجة لذلك النظام». (1)

«إنه تلفظ يفترض متكلماً ومستمعاً، وهدف الأول التأثير على الثاني بطريقة ما»، وهنا نلمس معنى

آخر لمصطلح "الخطاب" يختلف عن التعاريف السابقة، بوصفه ينسحب على تعريف مجالات النصوص بدل

المجال الضيق للسانيات، وهو تصور نلفيه متأصلاً في أعمال هذا العالم الأخير، إذ يتعلق الأمر بجعل "الخطاب"

مقابلاً "للمحكي": فالخطاب يطلق على كل ملفوظ يصور بوضوح حركات التلفظ (أنا، أنت)، في حين يطلق

اصطلاح "المحكي" على كل ملفوظ يصاغ وفق ضمير الغائب (الضمير الثالث). (2)

أما (قيوم Gayum) فينتقل من الثنائية التي أصبحت معهودة منذ (سوسير)؛ أي اللغة والكلام

التي تُكوّن اللسان، ويفضل استعمال كلمة "Discourse" عوض كلام "Parole"، ذلك ليؤكد على ما

يكتسبه الانجاز اللغوي من أوجه ربما لا يحويها لفظ كلام مباشرة، مثل: الوجه الكتابي – الحركات الجسدية –

السياق... (3)

وأياً كان تعريف الخطاب ضمن حدود هذا التصور فإن اللسانيات الخطابية تقوم على فرضية الاعتقاد

بإمكانية صياغة قواعد تتعلق بتسلسل الجمل، ذلك أن الخطاب يتأسس في جوهره على بعض أشكال

(1) – عبد الواسع الحميري، الخطاب والنص، ص 94.

(2) – ماري نوال غاري بريور، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ص 50.

(3) – عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 37.

الانسجام التي تسمح بتأويل الجمل المكونة له ضمن علاقاتها البينية،<sup>(1)</sup> وعليه فقد ورد مفهوم الخطاب عند الباحثين بوصفه واحدا من ثلاثة: بوصفه أكبر من الجملة، أو بوصفه استعمال أي وحدة لغوية، أو بوصفه الملفوظ.<sup>(2)</sup>

لقد ذهب (مانكينو Mankino) إلى القول بتعدد مدلولات الخطاب في الدراسات اللغوية الحديثة، نظرا لتعدد زوايا النظر إليه، منتهيا في هذا السياق إلى عرض عدد من تحديدات الخطاب التي تحدد كحوصلة لمجموعة التعاريف السابقة لمفهوم هذا المصطلح وأبرزها:

- الخطاب مرادف للكلام بمفهومه لدى "دي سوسير".
- الخطاب هو الوحدة اللسانية التي تتعدى الجملة وتصبح مرسلة كلية أو ملفوظا.
- الخطاب هو الملفوظ المعتبر من وجهة نظر حركية خطابية مشروط بها، ومن هنا تتم المعارضة بين الخطاب والملفوظ، باعتبار أن الملفوظ هو متتالية من الجمل الموضوعية بين بياضين دلاليين، وهذا يعني أن نظرة تلقى على نص ما من وجهة تَبْنِيْنِهِ لغويا تجعل منه ملفوظا، وأن دراسة لسانية لشروط إنتاج هذا النص تجعل منه خطابا.<sup>(3)</sup>

هذا عن مفهوم هذا المصطلح، أما عن استعمالاته فقد وضعت له العديد من المقابلات اعتقادا أنها من

المترادفات، أو أنها ذات استعمالات مشتركة نحو: Discours و Message و Parole .

(1)- ماري نوال غاري بريور، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ص50.

(2)- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص37.

(3)- ينظر: عبد الواسع الحميري، الخطاب والنص، ص91.

وقد تَمَّتْ المقابلة داخل النظريات اللسانية الصورية (النظرية التوليدية - التحويلية) مثلا، بين الجملة والخطاب على أساس أن الجملة مقولة صرفية- تركيبية صورية شأنها في الصورية شأن المفردة والمركب (الاسمي، الصّفي، الحرفي)، وعُدَّت بهذا التحديد موضوع الوصف والتفسير اللغويين، أما الخطاب فقد ميّز عن الجملة في هذا النمط من النظريات باعتباره يتسم بسمتين: تعلّيه للجملة من حيث حجمه، وملاسته لخصائص غير لغوية دلالية وتداولية وسياقية.

وعلى أساس هذا التقابل والتمييز وُقِف من الخطاب موقفان:

- أولهما: إقصاؤه من الدرس اللساني الصرف؛ باعتباره يندرج بخلاف الجملة في حيز "الانجاز" أكثر من اندراجه في حيز "القدرة اللغوية".

- ثانيهما: الاحتفاظ به لكن على أساس أن يتخذ موضوعا لدرس لساني منفصل؛ سُمِّي "لسانيات الخطاب" أو "تحليل الخطاب" في مقابل "لسانيات الجملة".<sup>(1)</sup>

ويمكن تلخيص مفاهيم الخطاب وأهم خصائصه فيما يلي:

أ- ما يقوله شخص ما(أقول، كلمات، كلام، عبارات، أحاديث (في تعارضها مع أفعال ووقائع).

ب- عرض شفوي اتجاه جمهور معين حول موضوع محدّد.

(1)- ينظر: أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان، الرباط، ط1، 2010، ص22.

- ت- عرض مكتوب ذو طابع تعليمي: رسالة، بحث، مقالة.
- ث- التعبير الكلامي عن الفكر.
- ج- أقسام الخطاب أو أقسام الكلام: هي فئات لكلمات التي يميزها النحو التقليدي.<sup>(1)</sup>
- ورغم التعدد الذي عرفه المصطلح الأجنبي Discours إلا أننا نجد أنّ الكثير من اللغويين العرب وعلى رأسهم سعد مصلوح وعبد الرحمن الحاج صالح وعبد القادر الفاسي الفهري قد فصلوا فيه، واختاروا مصطلح "خطاب" مقابلا لهذا المصطلح الأجنبي.

#### 7- مصطلحا: Lexicologie/Lexicographie

المصطلح	المكافئ العربي
Lexicologie	- معجميات.
Lexicographie	- قاموسيات
	- علم صناعة المعجم.
	- المعجمية.
	- اللكسيكوغرافيا.

(1) - أ. مولز - ك زيلتمان - ك أوريكيوني، تر: محمد نظيف، في التداولية المعاصرة والتواصل، إفريقيا الشرق، المغرب، 2014، ص155.

من أمثلة تعدد الألفاظ الدالة على مدلول واحد نجد أن لمصطلحي **/Lexicographie**

**Lexicologie** عدة ترجمات، نذكر منها: علم صناعة المعجم، المعجمية، اللكسيكوغرافيا، علم المفردات

أو علم الألفاظ ....

ورغم نسب نفس الترجمات للمصطلح الأجنبي الواحد إلا أنّ هناك من يفرق بين علم المفردات أو علم

الألفاظ (lexicology) والصناعة المعجمية (lexicography)، رائيين أنّ المصطلح الأول يشير إلى

دراسة المفردات ومعانيها في لغة واحدة أو في عدد من اللغات. وأنّ علم المفردات يهتمّ من حيث الأساس

باشتقاق الألفاظ وأبنيتها ودلالاتها، والتعبير الاصطلاحي والمترادفات وتعدد المعاني. أما الصناعة المعجمية

فتشتمل على خطوات أساسية خمس هي: جمع المعلومات والحقائق، واختيار المداخل وترتيبها طبقاً لنظام

معين، وكتابة المواد، ثم نشر النتائج النهائي، وهذا النتاج هو المعجم أو القاموس.(1)

فصناعة المعاجم تقنية تهدف إلى تأليف المعاجم، وتقوم على خبرات عريقة كثيراً ما يتوارثها المعجميون،

وهذه الخبرات تضع بين أيدينا حقائق لا يمكن تجاهلها عن طبيعة المعجم ومكوناته والتي يمكن حصرها في عدة

عمليات تمهيدا لإخراج معجم ونشره، وهي: جمع المادة أو الوحدات المعجمية، اختيار المداخل، الشرح

والتعريف، ترتيب المداخل وفق نظام معين، المقدمة والملاحق.(2)

(1) - مجلة الخطاب الثقافي، تصدر عن جمعية اللهجات والتراث الشعبي في جامعة الملك سعود بالرياض، العدد الثالث خريف

2008، رئيس التحرير فالح بن شبيب العجمي، ص 40 وينظر: علي القاسمي، المعجم والقاموس، دراسة تطبيقية في علم

المصطلح، ص 59.

(2) - أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، ط 1، 1998، ص 112.

وهذا ما جعل صناعة المعاجم ترتبط باللسانيات التطبيقية ارتباطا وثيقا، إذ تجمعهما مشكلات لغوية واحدة، من بينها مشكلة الترجمة وتعليم اللغات وكلاهما يعالجان الجانب العملي للغة. وهذا ما بيّنه (هارتمان Hartman) في قوله: «إذا أمكن تفسير علم اللغة التطبيقي على أنه يقدم حلولاً وأطراً لمشكلات اللغة، فذلك ينطبق على المعجمية ويصبح المعجمي واحداً من علماء اللغة التطبيقيين»، ومن جهة أخرى فإنّ «تأليف معجم يقتضي فكرة عن الكلمة وعن استعمالها في الخطاب التبادلي، والعلم الذي يساعد على ذلك هو علم اللغة، لذا فإنّ كثيراً من الكتابات المعجمية قد ارتبطت بنظريات علم اللغة بعامة، ونظريات الدلالة المعجمية بوجه خاص».<sup>(1)</sup>

أما علم المعجم فيعد أحد العلوم اللسانية التي تعالج قضايا المعجم في إطار نظري عام يصلح للتطبيق على لغة بعينها، مهتماً بدراسة معجم لغة في حقبة معينة من تاريخها في ارتباط بعوامل اجتماعية أخرى لنفس الحقبة. لتقسّم بذلك اللسانيات المعجمية إلى قسمين كبيرين كل قسم منهما علم قائم بذاته، أحدهما يدرس معجم اللغة؛ أي المفردات التي يستعملها أبناؤها الناطقون بها ويدرس التطورات التي أملت بهذه المفردات أو بعضها، ويدرس المعاني المتعددة للفظ الواحد والمترادفات والأضداد وغيرها من قضايا مفردات اللغة، ويسمى هذا العلم علم المفردات **Lexicologie**.<sup>(2)</sup>

(1) - أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، ص 91.

(2) - ماري آن بافو وجورج إلبا سرفاتي، النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، ص 413.

وقد كان (الدكتور وافي) ممن اجتهدوا في إيجاد بدائل عربية للمصطلحات الدخيلة، وكان منهجه غالبا يقوم على كتابة المصطلح بحروف عربية (دخيلا) كما هو، ثم يورد المصطلح بلغته الأصلية وهي الفرنسية عنده.

وقد يورد ترجمته إلى العربية مثلما فعل مع مصطلح (ليكسكولوجيا) Lexicologie.<sup>(1)</sup>

لقد تقاطعت المعجميات مع اللسانيات (طالما أنها تعنى بوصف المفرداتية والمعاني)، ولكنها لا تؤلف فرعا من اللسانيات كونها تستجيب لغايات تطبيقية وليس لغايات علمية. تقوم المعجميات أساسا على مطمح بيداغوجي (السماح لمستعملي المعجم بالاستعلام حول معنى الكلمات)، وليس على غاية لسانية خالصة (تحرير معجم متعلق بجمهور مستهدف من بين مجموعات أخرى)، وغالبا ما تخضع المعجميات لمتطلبات اقتصادية (فالمعاجم تتعلق بوضع السوق).

ولهذا لا يجوز الخلط بين المعجميات والدراسة اللسانية للمفرداتية؛ إذ تعد المفرداتية فرعا من فروع النظرية اللسانية، حيث تتولى تعداد الوحدات المفرداتية للسان عبر تحديد خصوصياتها الفونولوجية، التركيبية والدلالية. كما لا يجدر بنا أن نكتفي بعد المفرداتية ضمن معناها المتداول بوصفها تمثل قائمة من الكلمات المعرفة أو المترجمة. فالمفرداتية محددة عبر وضعها داخل مجمل النظرية اللسانية: ذلك أن خصوصيات الوحدات المفرداتية هي مصاغة بطريقة تسمح باشتغال القواعد المورفولوجية، التركيبية والدلالية التي ترتبط في الأساس بين الوحدات.<sup>(2)</sup>

(1) - أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق سوريا، 1999، ص 39.

(2) - ماري نوال غاري بريور، النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، ص 66-68.

وهذا المصطلح - كما هو معلوم- يعني الدراسة العلمية للمفردات؛ أي تهتم بدراسة الثروة اللفظية، كما تتمثل في المفردات من حيث مقدارها وتنوعها وعدد الكلمات التي تستخدم في مجال دون آخر، والكلمات المقترضة من لغات أخرى والكلمات النشطة الحية التي يستخدمها المتكلم في لغة ما، وتلك التي تعتمد أساساً على معطيات اللسانيات التاريخية واللسانيات المعاصرة، وما تنتجها النظريات التعليمية وغيرها في ميدان التربية والتعليم؛ فالدارس أول ما يقرأ مصطلح "علم المفردات" فإنه يفهم مباشرة أنه علم يدرس المفردات، في حين مصطلح معجمية وعلم المعجم قد يقود الباحث المبتدئ إلى فهم المعنى فهما غير واضح كما هو في مصطلح "علم المفردات".<sup>(1)</sup>

لقد فاق هذا المصطلح الأخير بقية المصطلحات تداولاً، لاسيما مصطلحي "المعجمية" و"علم المعجم" رغم أنهما مراجعين من قبل المتخصصين واللغويين المصطلحيين، مسجلين بذلك أن هذه المقابلات المصطلحية لم تكن متداولة من قبل الكثير من المصطلحيين والدارسين.

أما عن المصطلح الآخر - **Lexicographie** - فيدرس قضايا الصناعة المعجمية، وتحديد طرق جمع البيانات اللغوية اللازمة لبناء المعجم، وكيفية اختيار المداخل وترتيبها، وإعداد التعريفات والحدود والشروح وغير ذلك مما تحتاج إليه صناعة المعجم. ويسمى هذا العلم علم الصناعة

(1) - ينظر: أحمد حابس، صناعة المعاجم وعلم المفردات (دراسة في استيمولوجيا المصطلح)، مجلة اللسانيات واللغة العربية، منشورات مخبر اللسانيات واللغة العربية، عناية، ع2، 2006، ص121.

المعجمية "Lexicographie".<sup>(1)</sup> ولكن هذا المصطلح الأجنبي قوبل في مرجع آخر بالقاموسيات، وأنها تعنى بإحصاء الكلمات وتصنيفها وتعريفها وتوضيحها للإحاطة بمجموع معانيها ودلالاتها داخل لغة معينة بهدف وضع قاموس.<sup>(2)</sup>

ويشيع هذا المصطلح في مجال الحديث عن دراسة المفردات وترتيبها في نسق معين، حصره المعجم الموحد في أنه "تقنية إصدار القواميس أو التحليل اللساني لهاته التقنية"، والمصطلح ملتبس إذ يدل في اللسانيات على دراسة صناعة المعاجم وعلى واضعي القواميس، ويتبين لنا جليا مما تقدم أنّ ما قدمه المعجم الموحد لمصطلح "المعجم" جاء متضمنا ومستوفيا لما أورده القدماء.<sup>(3)</sup>

ورغم هذا التوضيح إلا أنه يجدر التمييز بين علم المعجم (معجمية)، وبين تقنية المعاجم (معجميات)، والتي عرفت تضاربا واختلافا بين الدارسين من مصنف لها على أنها علم واحد ومن فاصل بينهما، بل وحتى عند الباحث الواحد يمكن أن نجد ذلك الاختلاف من مصنف له إلى آخر.

الملاحظ مما سبق أن معظم المصطلحات التي اعتمدها الباحثون فيما يخص مصطلح "Lexicographie" قريبة من مصطلح "صناعة المعاجم" المقرر من طرف مكتب تنسيق التعريب إلى

(1) - سمير شريف استيتية، اللسانيات (المجال والوظيفة والمنهج)، عالم الكتب الحديث، ط1، اربد عمان، جدار للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، 2005، ص299.

(2) - ماري آن بافو وجورج إلبا سرفاتي، النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، ص411.

(3) - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب تنسيق التعريب: المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات (الإنجليزي، فرنسي، عربي) مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب، ط2، 2002، ص85.

جانب عدة مترادفات أخرى "كالمعجمية"؛ فاللافت للانتباه أنّ الباحثين يتفقون على لفظة "صناعة"، ويختلفون في الجزء التابع لها. وهو ما نلمسه في مؤلفات ثلة من اللغويين أمثال (رشاد الحمزاوي) الذي يقابل هذا المصطلح الأجنبي بمصطلح المعجمية/ صناعة المعاجم، ويستعمل (علي القاسمي) الصناعة المعجمية، أما (محمود سليمان ياقوت) يستعمل صناعة القواميس/ صناعة المعاجم، و يستعمل (أحمد عمایرة) صناعة المعجم، فلفظة "صناعة" تحمل معنى الثقة والأمانة العلمية والدقة والتبيين فهي "فن كتابة المعاجم" التي تشتمل - بلا شك- الخطوات الأساسية في تأليف المعاجم.<sup>(1)</sup>

لقد أثار مثل هذا الكم من المصطلحات اللسانية عدّة نقاشات على المستوى العربي من أجل تقليص هذا التعدد، فعمل الباحثون والدارسون بمكتب تنسيق التعريب التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم على تقليص هذه المصطلحات وحصنها في "معجماتية" "صناعة المعاجم"، لكن الملاحظ على هذين المصطلحين وجود تفاوت بينهما من حيث الشبوع والتداول.

ومصطلح "معجماتية" مصطلح مهجور يكاد يكون مفقودا من الدراسات اللغوية مقارنة بمصطلح "صناعة المعاجم" الذي نجده متداولاً لدى الكثير من الباحثين إلى جانب مترادفات أخرى. ومع هذا التباين إلا أنّنا نجد أنّ أغلب المعجميين المغاربة والتونسيين قد اتفقوا على ترجمة هذا المصطلح الأجنبي بـ "معجمية"، وهو

(1)- ينظر: أحمد حابس، صناعة المعاجم وعلم المفردات، ص117.

ما نلمسه في معجم (محمد رشاد الحمزاوي) "المعجمية مصطلحاتها ومفاهيمها"، وأكد ذلك اللغوي عبد العالي الودغيري وعلي القاسمي وغيرهم.<sup>(1)</sup>

### 8- مصطلحا (Structure و Structuralisme):

#### أ- مصطلح (Structure)

المصطلح	المكافئ العربي
Structure	البنية.
	تركيب.
	نظام.
	بناء.
	هيكل...

إنّ البنية في الاصطلاح الفلسفي هي نسق؛ أي مجموعة متضامنة عناصرها متألفة بعلاقة تَلَقِيّة.

و هي في الاصطلاح اللغوي: تنظيم، وترتيب وتنسيق عناصر مختلفة لكل ملموس أو مجرد، مثلاً: بنية

هيئة، بنية الذرة.<sup>(2)</sup>

(1)- ينظر: محمد رشاد الحمزاوي، المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، (حوليات الجامعة التونسية)، تونس، كلية

الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 14، 1977، ص

(2)- أ. مولز - ك زيلتمان - ك أوريكيوني، تر: محمد نظيف، في التداولية المعاصرة والتواصل، ص152.

من المؤكد أن البنية ليست طفرة مفهومية، بل هي امتداد لجملة من المفاهيم الموزعة على حقول معرفية مختلفة، لعل أهمها مفهوم (المجموعة: Groupe) في الرياضيات، الذي يراه (جون بياجيه John Piaget) «أقدم بنية عرفت ودرست...». ومفهوم (الشكل: Gestalt) في السيكولوجيا الجشطالتيّة (Gestaltisme)، بينما تبقى اللسانيات الحديثة ومعها (النقد البنوي) في اصطناعها لهذا المفهوم مدينة لدوسوسير الذي كان يعبر عن ذلك بمصطلح النسق أو النظام (Système)، ولم يكن يصعد بمصطلح البنية (Structure) على حد تقرير (جون بياجيه John Piaget)، وجمهور الدارسين الذين أجمعوا على أن دوسوسير في إلحاحه على نظامية الاستعمال اللغوي قد سمى (نسقا) ما سماه خلفه (بنية).<sup>(1)</sup>

ولو تتبعنا هذا المصطلح عند هذا العالم نجده لم يستعمل لفظة Structure إلا ثلاث مرات، واستعمل مع ذلك كلمة Système مرة، فالبنية ما عبر عنه سوسير في كثير من الأحيان من محاضراته ب (النظام). فهذا يدل على أن سوسير لم يكن هو الذي أذاع لفظة Structure (البنية)، ولم يسمّ مذهبه بال Structuralisme لأجل استعماله لهذا اللفظ. ويظهر أنّ أتباعه كانوا أكثر من استعماله للدلالة على ما يسميه هو Système، كما أن مترجم علم اللغة العام لسوسور ترجم لفظة structure بمعنى "بناء" وافتتن كل من جاء بعدهم بهذا اللفظ.<sup>(2)</sup>

(1) - يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، قسنطينة الجزائر، 2002، ص120.

(2) - عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، د ط، 2007، ص163. (من الهامش).

والواقع - في تقدير يوسف وغليسي الخاص - أن الإجماع المطلق على أن دوسوسير لم يكن يصعد بمصطلح البنية، تنفيه محاضرات هذا العالم ذاتها، إذ تصطنع بحرفية واضحة مصطلحي: البنية (Structure) والبناء (Construction) في سياق استثنائي من المؤسف ألا ينتبه إليه عامة الباحثين.<sup>(1)</sup>

إنّ البنية نظام تحويلي يشتمل على قوانين ويغتني عبر لعبة تحولاته نفسها دون أن تتجاوز هذه التحولات حدوده أو تلتجئ إلى عناصر خارجية، ولا بد لأي تعديل في أحد عناصر هذه البنية أن يؤدي بالضرورة إلى تعديل في بقية العناصر الأخرى، وهي تشمل على ثلاثة طوابع تجلت في: الكلية/التحول/التعديل الذاتي، وهي عبارة عن مفهوم تجريدي لإخضاع الأشكال إلى طرق استيعابها.<sup>(2)</sup>

واستكمالاً لمفهوم البنية في بعده الاصطلاحي نجد أنها تدل على: «نسق يتحدد العنصر ضمنه بوضعيات واختلافات»؛ فتغدو «منظومة من علاقات وقواعد تركيب ومبادلة تربط بين مختلف حدود المجموعة الواحدة، بحيث تعين هذه العلاقات وهذه القواعد معنى كل عنصر من العناصر».<sup>(3)</sup>

وقد تكرر عبر الاستعمال ترجمة للفظة الانجليزية Structure معنى: البنية، وفي الواقع قد أقرت هذه الترجمة حتى في المعاجم العلمية المتخصصة، ورغم هذا الإقرار إلا أننا نجد تبايناً في هذا المصطلح الأجنبي الذي قوبل بعدة ملازمات له في العديد من المؤلفات والمدونات، تقترب حيناً من مفهومه الغربي وتناهى عنه حيناً

(1) - يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، ص 120.

(2) - سعيد علوش، معجم المصطلحات، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، ط 1، 1985، ص 53.

(3) - يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، ص 120.

آخر، لكن المفاهيم تختلط أكثر باستحضار بعض المرادفات الاصطلاحية التي تقع على محيط المفهوم المركزي؛ فقد ترجم المصطلح إلى:

- "تركيب، بنية" (في معجم علم اللغة النظري)، و(معجم مصطلحات علم اللغة الحديث).
- "هيكل، بنية" لدى (عبد السلام المسدي)، والصاحبي (مدخل إلى نظرية القصة).
- "البناء، التركيب" لدى (محمد عناني).
- "الهيكل" لدى (حسين الواد).
- "بنيان" لدى (جوزيف ميشال شريم).
- "تركيب، نظام، بناء" لدى (مبارك مبارك).

أما الكتابات التي اصطنعت (البنية) وحدها فهي أكبر من أن تحصر، وهكذا فقد ترادفت (البنية، البناء، الهيكل، التركيب، النظم، البنيان...) أمام المصطلح المركزي (Structure) بشكل مقلق لم يأخذ في الحسبان مصطلحات ثانوية أخرى.<sup>(1)</sup>

إنّ البنية تمثل مجموع العلاقات الشكلية التي تحدد موضوعا من موضوعات العالم؛ فتحدث مثلا عن بنية (الذرة) لتشتمل عبارة (اللسانيات البنيوية) أو (النزعة البنيوية) مختلف النظريات التي تشترك في المصادرة باعتبار اللسان معرف ببنيته أو بنياته. وقد تطورت هذه النظريات بالموازاة مع ذلك، وتحت أشكال مختلفة في الولايات المتحدة الأمريكية (ليونارد بلومفيلد، زيلج هاريس)، وفي أوروبا مع بدايات النصف الأول من القرن

(1) - يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، ص123.

العشرين (فرديناند دو سوسير، لويس يامسليف، نيكولا تروبتسكوي)، وتستند النظريات البنيوية إلى التمييز بين الشكل والجوهر؛ فاللسان يدرك بوصفه يمثل تراتبية من البنى الشكلية التي تربط بين جوهر الأصوات وجوهر الأفكار. وتعمل النظرية البنيوية على وصف هذه البنى الشكلية ضمن مختلف مستويات التحليل اللساني (البنية المورفولوجية، البنية الدلالية، البنية التركيبية).<sup>(1)</sup> وخصت هذه الأخيرة - البنية التركيبية - بنظم الكلمات في وحدات لسانية وترتيب الجمل وفق نظام لغوي معين.

ولكن بعد تحليل كل مقابل لهذا المصطلح الأجنبي والعودة إلى اشتقاقاته وربطها بما وضعت له، نجد أن المعايير المعجمية والدلالية والتداولية ترجح مصطلح (البنية) مقابل ل (Structure)، وما يزيد قناعة بهذا الاصطفاء رؤية المصطلحات الموازية الأخرى وهي مشغولة دلاليا، (كالتركيب) الذي يبدو أحق بالمصطلح الفرنسي (Syntaxe)، و(الهيكل) الذي هو أولى بمصطلح (Armature) المستعمل في حقول معرفية مختلفة: (الهيكل العظمي: Armature Osseuse مثلا)، كما أن البناء أولى بمصطلح (Construction)...<sup>(2)</sup>

### ب- مصطلح (Structuralisme):

المصطلح	المكافئ العربي
	البنيوية.

(1) - ماري نوال غاري بريور، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ص 100.

(2) - يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، ص 124.

النظام.	Structuralisme
التركيب.	
الهيكلية.	
الشكل.	

تقوم البنيوية على أساس نظري مؤداه أن البنية تتألف من عناصر ومكونات جزئية، وأن أي تغير يطرأ على أي واحد من هذه المكونات لا بد أن يؤثر في سائر المكونات والعناصر الأخرى. ويعد العالم السويسري **دي سوسير** المؤسس الأول للتوجه البنيوي في دراسة اللغة. وعلى الرغم من أنه لم يستعمل كلمة البنية أو البنيوية في محاضراته التي نشرت بعد وفاته؛ فإن مضمون البنيوية يفصح عن نفسه في ما أودعه سوسير من نظرات في تفسير الظواهر اللغوية. فهو لم يستعمل هذا المصطلح كما قلنا ولكنه تحدث عن مضمونه، وأول مرة استعمل فيها هذا المصطلح كانت في البيان الذي أعلنه المؤتمر الأول للغويين السلاف سنة 1929. فقد ورد فيه مصطلح البنية بمضمونه المعروف حتى اليوم، وقد دعا المؤتمر إلى تبني منهج جديد في دراسة اللغة سموه: "المنهج البنيوي"<sup>(1)</sup>.

(1) - سمير شريف استيتية، اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، ص 161.

إنّ البنيوية مبدأ عام يصلح أن يُبنى في اللغة والاجتماع وغيرهما؛ فهي نظرية تصف البنيات، وهو مصطلح قليل الإجرائية نظراً لاتساعه، وهو أيديولوجي أساساً ويسمح بتجميعات غالباً ما تكون زائغة في حقل البحث، فالعمل البنيوي يستهدف تأسيس تاريخ للبنيات المدركة كتاريخ للتحويلات.<sup>(1)</sup>

فإذا أخذنا البعد البنيوي للمجتمع، وجعلنا هذا البعد أساساً لتفسير الظواهر الاجتماعية تبين لنا بما لا يقبل الشك أن ثقافة المجتمع وعاداته وقيمه ومعتقداته يربطها جميعاً شيء واحد هو بنية المجتمع، وأن ما يؤثر في أي واحد من مكونات هذه البنية يؤثر في سائرها بالضرورة، وكما أن هذا المبدأ يصلح لتفسير الظواهر الاجتماعية فإنه يصلح لتفسير الظواهر اللغوية، ومن هنا كانت البنيوية اللغوية منهجا لغويا.<sup>(2)</sup>

أ- نظرية ومنهج في التحليل يقود إلى اعتبار مجموعة من الوقائع بنية.

ب- مصطلح البنيوية يشير في الأصل إلى مناهج لسانية مختلفة تشترك في اعتبار اللسان مجموعة

مُبَيَّنَة.<sup>(3)</sup>

وبذلك فالبنيوية المنهجية نظرية تُكوّن البنية بموجبها علاقات تطبق على الموضوع الذي يجعلها واضحة.

ويعتبر (دريدا Derrida) "النظريات البنيوية" تضمينات ميتافيزيقية غير معلنة تقنع فقد الصوت الأصلي.<sup>(4)</sup>

(1) - سعيد علوش، معجم المصطلحات، ص53.

(2) - سمير شريف استيتية، اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، ص161.

(3) - أ. مولز - ك. زيلتمان - ك. أوريكيويني، تر: محمد نظيف، في التداولية المعاصرة والتواصل، المرجع السابق، ص152.

(4) - سعيد علوش، معجم المصطلحات، ص53.

وقد تمّ استعمال مصطلح "البنوية" من طرف علوم أخرى غير اللسانيات، كعلم الاجتماع، وعلم الاقتصاد والكيمياء، والجيولوجيا والرياضيات والفلسفة.<sup>(1)</sup> ويعبر عن هذا الجانب من الدراسة الذي ينظر إلى مستويات اللغة بغض الطرف عما يحيط بها بمصطلح "Le structuralisme"، ويقابله البروفيسور (الحاج صالح) ب: "البنوية" من "بنوي" بوعي لغوي كبير، كما استعمال هذا المصطلح كذلك (عدنان بن ذريل)، و(عبد الملك مرتاض).<sup>(2)</sup> وسماها (ميشال زكريا) ب"البنائية"، وقد يكون (ريمون طحان) من أقدم مستعملها، ثم استعمالها من بعده (ميشال عاصي وإميل بديع يعقوب وبسام بركة وجورج طرابيشي ومحمد معتصم).<sup>(3)</sup>

وقد قاربت ترجمته العربية العشرين ترجمة ونورد البعض منها في الآتي:

- "البنوية" (بكسر الباء غالباً)، وهي أكثر الترجمات تواتراً وأشيعها استعمالاً.
- البنوية: بضم الباء ونجدها لدى (محمد التونجي).
- البناوية: لدى (الراجي التهامي الهاشمي).
- البنائية: وقد جعل منها (صلاح فضل) عنواناً لكتابه المعروف، ولم يكن صلاح أول من استعمال (البنائية)؛ بل يمكن القول إن زميله (أحمد كمال زكي) قد سبقه إلى ذلك.

(1) - نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ص 94.

(2) - ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ص 23 وينظر: يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص 128.

(3) - ميشال زكريا، الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط 1، 1980، ط 2، 1983، ص 219 وينظر: يوسف وغليسي، المرجع السابق، ص 128.

- "البنويانية" وقد استخدمها الدكتور (علي زيعور) في مجاله السيكلولوجي.
  - "المذهب البنوي" وقد استخدمه الدكتور (جميل صليبا) في معجمه الفلسفي.
  - "الهيكلية" وتشيع في عدد غير قليل من الكتابات التونسية عموما لدى (توفيق بكار)، و(حسين الواد)، و(سمير المرزوقي)، و(جميل شاكر)، و(محمد رشيد ثابت)، وحتى (عبد السلام المسدي) الذي يراوح بينها وبين البنويية.
  - "الهيكلائية" وهي استمرار لسابقتها إذ نجدها لدى (حسين الواد) و(نجوي الرياحي)...
  - "الستروكتورالية" وقد اصطنع هذه الصيغة المعربة الثقيلة (عبد العزيز بنعبد الله) في هذا التركيب: "الستروكتورالية" "Structuralisme" أي التركيبية.
  - "التركيبية" وقد استعملها -وحدها حيناً ومترادفة مع أحد الاستعمالات السابقة حيناً آخر- كل من (محمدي وهبة)، و(محمد علي الخولي)، و(بسام بركة) و(عزة آغا)...
  - "المنهج الشكلي" وقد أورده (تمام حسان) في سياق خاص.
- وفي مثل تلك السياقات الخاصة ثمة من استعمل مصطلح "الوظيفية"<sup>(1)</sup>.
- إنّ الملاحظ على هذه الترجمات لمصطلح (Structuralisme) تعدد ترجمتها وتباينها، لكن رغم ذلك أغلب الدارسين يصطلحون عليه بـ "البنويية" ويفضلون هذا الاستعمال.

## 9- مصطلح (Phrase):

(1) - ينظر: يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، 130.

المصطلح	المكافئ العربي
Phrase	- الجملة
	- ركن.
	- ركنية.
	- تركيبية.
	- تكوينية.
	- تركيب.
	- مركب... <sup>(1)</sup>

يرى الدكتور (عبد القادر الفاسي الفهري) أن المصطلح اللساني العربي يتجه إلى خارج اللغة العربية؛ أي إلى الترجمة والتعريب أكثر مما يتجه إلى التوالد من الداخل، وأرجع فوضى المصطلحات اللسانية إلى عدة أسباب، وعلى رأسها تعدد المقابلات العربية للمصطلح الأجنبي الواحد. وذكر عدة أمثلة، من ذلك ترجمة phrase بركن وركنية وتركيبية وتركيب ومركب، والأولى أن تترجم الكلمة بمركب لأنها لفظة عربية أصيلة تليق بالمعنى المقصود.<sup>(2)</sup>

وجاء اختيار وتفضيل ترجمة Phrase بمركب لأفضليته من خلال حمله للمنظور التراثي العربي. أما تركيب فقد يناسب compounding (وكذلك syntax)، وأما تركيبية فتتناسب المعنى، إلا أن النسبة

(1) - منظمة الأمم المتحدة للعلوم والتربية والثقافة "يونسكو"، ص 32.

(2) - أحمد مطلوب، بحوث لغوية، ص 178.

إليها تؤدي إلى خلط بين ما هو syntactic وما يتعلق بالتركيبية. وأما إذا كان المقابل هو مركب؛ فيمكن أن نقول في Phrase structure بنية مركبية (وهي تختلف عن syntactic structure (بنية تركيبية)، وفي phrase marker سامة مركبية وفي phrase structure rules قواعد مركبية...، وأما الصفات الأخرى فلا تفي بالمعنى المقصود.<sup>(1)</sup>

يقصد بمصطلح "مركب" عند (سوسير) كل متوالية لغوية من الكلمة إلى الجملة تتكون من وحدتين متتاليتين أو أكثر، وذلك بخلاف الاستعمالات اللاحقة لهذا المصطلح اللساني. وشرح الكلمة يعني مصطلح مركب (syntagmes) - كما هو شائع في التركيب -syntaxe - مجموعة تشكل وحدة في التنظيم التراتبي للجملة، فنقول: "مركب اسمي، مركب فعلي ومركب وصفي".<sup>(2)</sup>

لقد صَنَّف مصطلح "الجملة" في خانة المصطلحات المثيرة للجدل في الدرس اللساني؛ فقد تعددت وجهات نظر الدارسين قديما وحديثا لها من حيث هي تكوين لساني دال، وقد برز في هذا التعدد ما يقارب ثلاثة مئة تعريف، أحصى منها (ريزر **Reiser**) سنة 1931 "مئة وأربعين تعريفا" تختلف في وجه من وجوه التحديد والرسم، مما ترتب عنه صعوبات في مجال وصف التراكيب، ولعل أشهر التعريفات اللسانية المعتمدة ما قرره (بلومفيلد) بشأنها؛ فهي شكل لغوي مستقل لا يدخل عن طريق أي تركيب نحوي في شكل لغوي أكبر منه. وقد عَقَّبَ (جون لاينز **John Linz**) على هذا التعريف فعد الجملة الوحدة الكبرى للوصف

(1) - ينظر: منظمة الأمم المتحدة للعلوم والتربية والثقافة "يونسكو"، ص32.

(2) - ماري آن بافو وجورج إليا سرفاتي، النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، ص134.

اللغوي، وقد بات من غير الضروري اشتراط التمام الدلالي فيها مادام المتكلم لا يستطيع في جميع الأوضاع إيضاح ما يعني.<sup>(1)</sup>

أما (سوسير) فلا يقدم تعريفا محمدا لها؛ بل يشير إلى كونها نمطا مهما من أنماط التضام (syntagme)، كما يذهب (دافيد كريستال David Kristall) إلى ضرورة التمييز بين الجملة من حيث هي نمط يقاس عليه، والجملة من حيث هي واقع منتج فعليا في الكلام، وفي اللسانيات العربية يمكن الاستئناس بتعريف (إبراهيم أنيس) الذي يراها أقل قدرا من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه سواء تركز من كلمة أو أكثر، هذا وقد ميز اللسانيون في إطار نحو النص بين نوعين من الجمل (الجملة النصية وجملة النظام).<sup>(2)</sup> إذ يتعلق الأمر هنا بمصطلح يرجع في الأصل إلى التقليد النحوي، بيد أنه يتوجب إدراجه ضمن المعجم القاعدي للسانيات؛ كونه يحدد موضوع التركيبات ويرسم حدودا للتحليل اللساني الدقيق لوقائع اللسان.

ولم يحظ هذا المصطلح بتعريف فعلي في مجال اللسانيات (الذي جعل منه تشومسكي أكسيوما) كما هو الحال في مجال النحو. ليشير إلى عتبة الوصف لنسق اللسان، إذ ثمة قواعد يمكن من خلالها التنبؤ بكيفيات ارتباط الفونيمات لتأليف المورفيمات، وأخرى يمكننا من خلالها التنبؤ بكيفيات انتظام المورفيمات لتأليف الجمل. بيد أنه لا وجود لقواعد أو (لأشبه قواعد) يمكننا من خلالها التنبؤ بكيفيات ارتباط الجمل لتأليف وحدات أكبر، ذلك لأن الترابط الجملي يستجيب بقسط وافر للحرية الفردية للفاعل المتكلم حتى إن كان في

(1) - نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ص 14.

(2) - نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ص 14 - 15.

مقدورنا استنباط بعض مبادئ الانسجام المتعلقة بالخطاب. وهو ما يمكننا في الأخير من عد الجملة بوصفها

تمثل الوحدة الكبرى وحدة تقتضي وجود نظرية لسانية بأكملها تتولى تفسير انتظاماتها.<sup>(1)</sup>

وقد حاول اللسانيون العرب أن يقدموا تحديدا لسانيا محضا للجملة، ذلك لأن تأليفها ووصف القواعد

التركيبية التي تنتظم علاقاتها يقع في صدارة الظواهر اللغوية، ولأنها اصطلاح لغوي يجب أن يستقل عن المنطق

العقلي العام؛ فالعادات اللغوية كما يرى (إبراهيم أنيس) هي التي تحدد الجمل في اللغة. كما يجب على

التحديد اللساني للجملة أن يتخذ زاوية نظر وظيفية بالاعتماد على مفهوم الملفوظ الأدنى (الكلمة)، وعلى

توفر شرط الاستقلال مع الرجوع إلى مفهوم الإسناد. فالجملة «هي الصورة اللفظية الصغرى أو الوحدات

الكتابية الدنيا للقول أو للكلام الموضوع للفهم والإفهام، وهي تبين أن صورة ذهنية كانت قد تألفت أجزائها

في ذهن المتكلم الذي سعى في نقلها حسب قواعد معينة وأساليب شائعة إلى ذهن السامع».<sup>(2)</sup>

وعلى الرغم من أن بعض اللسانيين العرب رأوا أن التحديد اللساني للجملة يجب أن يرفض التقسيم

المنطقي لها إلى موضوع ومحمول، والتقسيم البلاغي إلى مسند ومسند إليه، إلا أنّ اللسانيين العرب قرروا أن

الجملة تتألف من عناصر يرتبط بعضها ببعض، ويأتي كل عنصر منها إثر الآخر في ترتيب معين فهي ذات

طبيعة خطية.

(1) - ماري نوال غاري بريور، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ص 80.

(2) - ينظر: سامي عباد حنا وآخرون، معجم اللسانيات الحديثة، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، 1997، ص 129.

إن هذا التنوع المفهومي لمصطلح الجملة وكذا التباين في وضع المقابل العربي يبين عمق الاضطراب

الحاصل في المصطلح اللساني عامة ومصطلح الجملة خاصة.

10- مصطلح (synchronie):

المصطلح	المكافئ العربي
Synchronie	- المتزامن.
	- التزامني.
	- الوصفي.
	- الثابت.
	- مستقر.
	- أفقي.
	- المتعاصر.
	- المتواقت.
	- الآنية.
	- السنكرونية...

لقد تُرجم مصطلح synchronic إلى العربية بترجمات عديدة ووضعت له مقابلات كثيرة منها:

متزامن, تزامني, وصفي, متعاصر, متواقت, آني, ثابت, سنكروني, مستقر وأفقي, وعُدَّ هذا التضخم الهائل من

المصطلحات الوافدة وتراكمها المشكلة الأولى التي تواجه اللسانيين, إذ يعاني المصطلح اللساني اليوم من التضخم وصعوبات في الصياغة.<sup>(1)</sup>

لقد خضعت المصطلحات اللسانية الجديدة إلى عملية تعديل دلالية متواصلة شأنها في ذلك شأن سائر المصطلحات المترجمة، فمن السنكرونية إلى المنهج التزامني أو التعاقبي إلى الآنية، ومن الدياكرونية إلى المنهج التطوري أو التاريخي إلى الزمانية. ويرجع مبدأ التزامن (Synchronie) إلى "دو سوسير" وعرفه بأنه «كل ما يتعلق بالجانب الثابت لعلمنا»<sup>(2)</sup>.

«Tout ce qui se rapporte à l'aspect statique de notre science».<sup>(3)</sup>

يفيد هذا المصطلح ثبات العناصر في زمن واحد هو زمن نظامها، فإذا كان استمرار النظام يفترض استمرار البنية وثبات نسقها فإن التزامن يرتبط بهذا الثبات الذي يشكل حالة. أي يرتبط بما هو متكون وليس بما هو في مرحلة التكون، بما هو مكتمل وليس بما يكتمل بما هو بنية وليس بما سيصير بنية، فيما يفيد مصطلح "التعاقب" استمرار البنية نفسها التي تتعرض بسبب تخدم عنصر من عناصرها إلى علل ثم لا تلبث هذه البنية نفسها أن تستعيد نظامها لتستمر به بعد دخول العنصر البديل فيه.<sup>(4)</sup>

(1) - ينظر: أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص56. وينظر: عصام نور الدين، علم وظائف الأصوات اللغوية - الفونولوجيا-، ص25.

(2) - فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ص124

(3) - F. de Saussure, Cours de Linguistique général, p117.

(4) - الزاوي بغورة، المنهج البنيوي- بحث في الأصول والمبادئ والتطبيقات، ص57، 58.

11- مصطلح (diachronie):

المصطلح	المكافئ العربي
Diachronie	- التطوري.
	- المتعاقب (تعاقي).
	- التاريخي.
	- الزماني.
	- الدياكروني. <sup>(1)</sup>

يرجع مبدأ التعاقب (Diachronie) إلى (دو سوسير) وهو مصطلح فرنسي عرفه هذا العالم بأنه:

"كل ما له صلة بالتطورات" (ترجمتنا).

« Tout se qui a trait aux évolution ».<sup>(2)</sup>

"إنه مجموعة الوقائع التي تم نسقا لسانيا معيناً في فترة محددة".<sup>(3)</sup> وقد عرّف هذا المصطلح في العربية

عدة ترجمات منها (التطوري، التاريخي، الزمني والتعاقي والعمودي والدياكروني أو تاريخ لغوي... ومن جملة

(1) - عز الدين البوشيخي ومحمد الوادي، قضايا المصطلح في الآداب والعلوم الإنسانية، ص71.

(2) - Dictionnaire de la poche de la langue française Etymologique, p233.

(3) - أ. مولز - ك زيلتمان - ك أوريكيوني، تر: محمد نظيف، في النداءولية المعاصرة والتواصل، ص153.

هذه المقابلات العربية تمّ تبني ترجمة مصطلح "الزمانية" ويعود السبب إلى الأصل الاشتقاقي للمصطلح الفرنسي

"Diachronie" إذ نجده يحيل على المفهوم الأصلي بصفة أوضح والمتمثل في دراسة اللغة عبر الزمن.<sup>(1)</sup>

لكن من الاضطراب في دلالة المصطلح اللساني ما يعتري بعض الواضعين من ضعف أثناء ترجمة المصطلح الأجنبي، فيلجأ إلى التعبير عن المصطلح بجملة أو أكثر بدل أن يضع له كلمة واحدة أو تركيباً إضافياً أو وصفيًا أو نحو ذلك، والنتيجة التي يفضي إليها هذا المسلك هي الإبقاء على وجود الاصطلاح الأجنبي أساساً وترسيخه بدل الاستغناء عنه باللفظ العربي أو المعرب. ومن أمثلة العبارات الشارحة التي تفسر دلالة المصطلح الأجنبي ولا تهتم بوضع المقابل العربي ذي الدلالة المحددة في نطاق اللغة والعلم، ما وضع بإزاء المصطلحات التالية: وهي (Synchronie) دراسة اللغة في حالة استقرار و(Diachronie) دراسة اللغة في حالة تطور و(Acoustique) دراسة الموجات اللغوية الصوتية.<sup>(2)</sup>

فوضع لغة ما يشكل في ظرف زمني محدد سانكرونية أو حالة آنية، وتتوالى هذه السانكرونيات بشكل دياكروني، وهكذا فالمقاربة الدياكرونية تهتم بتاريخ اللغة وتطورها بينما تهتم المقاربة السانكرونية باللغة عند لحظة محددة في تاريخها.<sup>(3)</sup>

(1) - أحمد العايد وآخرون، معجم المجيب (فرنسي، عربي)، ص 372.

(2) - عصام نور الدين، علم وظائف الأصوات اللغوية - الفونولوجيا-، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط 1، 1996، ص 25

من الهامش.

(3) - ماري آن بافو وجورج إلبا سرفاتي، النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، ص 410.

إنّ الواقع العلمي العربي يعيش أزمة مصطلحية لسانية جراء الفوضى العارمة التي تسود العالم العربي في الترجمة والنقل إلى العربية، فقد وجد العرب أنفسهم أمام صعوبات كبيرة في تعاملهم مع المتصورات الغربية نظرا لغياب التنسيق بين المترجمين؛ فكان من نتائجها انتشار الفوضى والاختلاف بين الباحثين وكثرة المترادفات العربية للمصطلح الواحد؛ فتشتت الجهود واضطربت الآراء وضعفت النتائج مقارنة بالكم الهائل من الذي تفرزه اللسانيات الغربية، مما أدى إلى تردد وتذبذب في الترجمات ولن يتم تدارك ذلك الأمر إلا بإتباع جملة من الحلول والمقترحات التي تحد من حدة هذا الوضع. ولتحقيق التقدم العلمي اللساني لابد من مسايرة التطور العالمي وما تفرزه اللسانيات الغربية، ووجب الحفر في خلفياتها والإيديولوجيات التي تمخضت عنها مع ضرورة الاستفادة من التراث العربي وإعادة إرسائه برؤى فكرية حديثة.

# الفصل الرابع

المصطلح اللساني وإشكالية المكافئ العربي

(مصطلحات لسانية ذات حقول مختلفة)

- المصطلح اللساني وإشكالية المكافئ العربي: (مصطلحات لسانية ذات حقول مختلفة):

1- مصطلح (Linguistique):

المصطلح	المكافئ العربي
Linguistique	اللسانيات، علم اللغة، علم اللسان، اللغويات، علم اللغويات الحديث، الدراسات اللغوية الحديثة، علم اللغة العام، الألسنية، الألسنيات، اللسانية...

لقد شهدت علوم اللغة في الدراسات اللغوية الغربية حركات نهوض وتجديد، ولاشك أن اللسانيات واحدة من تلك العلوم التي برزت لدى الأوربيين واتخذت أشكالاً متعددة، وسلكت مسالك جديدة على الدرس اللغوي السائد في الدراسات الغربية، منتقلة إلى حقل الدراسات اللغوية العربية حاملة مفاهيم اصطلاحية وافدة علينا، ليتم الاختلاف معها حول تسمية هذا العلم مع أنها أهم وحدة اصطلاحية أساسية في أي جهاز مفاهيمي خاص، فما بالك إذا تعلق الأمر بباقي المصطلحات التي تكوّن هذا الجهاز.<sup>(1)</sup>

إنّ اللسانيات ضرب جديد من ضروب الدراسات اللغوية، وقد أدرك اللسانيون العرب المحدثون أهمية هذا العلم، وضرورة الإلمام بأسبابه إماماً واسعاً، والإحاطة بنتائجه إحاطة شاملة بغية تقويم العمل اللغوي العربي

(1) - ينظر: عبد الحميد مصطفى السيد، دراسات في اللسانيات العربية، بنية الجملة العربية - التراكيب النحوية والتداولية - علم النحو وعلم المعاني، دار ومكتبة الحامد، ط1، عمان، 2004، ص179.

القديم, فاختلفت المشارب والاتجاهات التي تبنت هذا العلم الجديد مما انجر عن هذا الاختلاف تباين في ترجمة المصطلح الحامل لعنوان هذا العلم "linguistique".

والذي مازال عرضة للاختلاف القائم حول تسميته، مما أدى إلى الاشتغال بعنوانه أكثر من مضمونه, إذ توجد الكثير من المؤلفات العربية تدور مواضيعها حول شرح المصطلح أكثر مما تدور حول ما تندرج تحته من مفاهيم. ولم يستقر هذا المصطلح على ترجمة واحدة موحدة، فالملاحظ تباين المقابلات حول مصطلح اللسانيات؛ فبلغت المصطلحات المعربة أو المترجمة (23) مصطلحا وفق ما أورد(عبد السلام المسدي) في كتابه "قاموس اللسانيات" والتي استخدمها العلماء اللغويون المحدثون, وهي كالاتي :

1- اللانغويستيك.	2- فقه اللغة.
3- علم اللغة.	4- علم اللغة الحديث.
5- علم اللغة العام.	6- علم اللغة العام الحديث.
7- علم فقه اللغة.	8- علم اللغات.
9- علم اللغة العام.	10- علوم اللغة.
11- علم اللسان.	12- علم اللسان البشري.
13- علم اللسانة	14- الدراسات اللغوية الحديثة.
15- النظر اللغوي	16- علم اللغويات الحديث.
17- الدراسات اللغوية المعاصرة	18- اللغويات الجديدة
19- اللغويات	20- الألسنيات

21- الألسنية	22- اللسنيات
23- اللسانيات.(1)	/

يُطلق مصطلح "علم اللغة" على العلم الذي يدرس اللغة دراسة علمية تعتمد على الدقة والوضوح والشمول والمنهجية، ويدرس اللغة لذاتها. وله مسميات عديدة أشهرها وأهمها: "علم اللغة، فقه اللغة، اللسانيات، علم اللسان، علم اللسانة، واللسانيات والألسنية والألسنيات واللغويات محاكاة للفظ الانجليزي Linguistics والفرنسي Linguistique.(2)

وأول مصطلح استعمل مقابلا لهذا المصطلح الأجنبي الأخير في أغلب التصانيف اللسانية المبكرة هو مصطلح (علم اللغة)، إذ جعله (علي عبد الواحد وافي) عنوانا لكتابه، وقد ظل هذا المصطلح مستعملا إلى اليوم في الكثير منها.(3)

عُرفَ هذا العلم قديما بعلم أوضاع المفردات عند (ابن يعقوب المغربي) و(التهانوي) وغيرهم، فقد عني بأوضاع اللغة ليخص المفردات؛ أي الكلمات أو العناصر الأولية الدالة من حيث وضعها، وهذا يقتضي أنّ علم اللغة عرف عند القدامى كما عندنا أيضا، وقد عرف بعلم الموضوعات اللغوية عند (ابن خلدون)، كما عرف بعلم الألفاظ المعينة السماعية عند (الرضي)، ليعالج مفردات اللسان من حيث ثبوتها في ذلك اللسان،

(1) - أحمد مطلوب، بحوث لغوية، ص174. وينظر: عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، ص172.

(2) - محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب، كلية التربية جامعة قناة السويس، القاهرة، 2001، ص82.

(3) - فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص43.

وثبوت صيغها المسموعة وثبوت معانيها الأصلية والفرعية باستقراء كلام الناس (بالنسبة إلى العربية استقراء كلام العرب الفصحاء)؛ فهو دراسة استقرائية تحليلية لمادة اللسان وجوهه.<sup>(1)</sup>

أما مصطلح "علم اللغة" بالمعنى الغربي الحديث يكاد يكون وليد القرن العشرين في اللغة العربية. «إن مفهوم علم اللغة "Linguistique" أو "Science du langage" وما له من شحنات لم يعرف بهذا السياق في العربية في القرن التاسع عشر، ولذلك لم يوضع مصطلح جديد في ذلك العهد».<sup>(2)</sup>

ليحتل مصطلح "علم اللغة" في الدراسات اللغوية المعاصرة مكان الصدارة لشيوع استعماله ووضوح مدلوله لدى الباحثين، وإن كانت هناك ملاحظات لبعض الباحثين حول استخدامه، منها: اختلاطه مع مصطلح "فقه اللغة" وعدم التحديد الدقيق لمجاله، حيث تتعدد أوصافه فهناك علم اللغة الحديث، علم اللغة العام...<sup>(3)</sup> وكثر الكلام حول الشرح الموجود في تعدد التسميات، ولعل في إشارة (أحمد مختار عمر) مثالا على ذلك؛ إذ يخصص لتسمية "علم اللغة" من العناوين 35 عنوانا، وللألسنية 10 عناوين، ولللسانيات 05 عناوين، وأقل من ذلك لعناوين أخرى مثل: علم اللسان، الدراسات اللغوية، البحث اللغوي.<sup>(4)</sup>

---

(1) - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية - ج1 - موفم للنشر، الجزائر، 2007، ص26.

(2) - مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، حفريات النشأة والتكوين، شركة النشر والتوزيع المدارس، ط1، ردمك، 2006، ص149.

(3) - محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، ص84.

(4) - أحمد مختار عمر، المصطلح الألسني العربي وضبط المنهجية، مجلة عالم الفكر، الكويت، دار وزارة الإعلام، م: 20، ع3، أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1989، ص07.

وقد تمسك (محمود السعوان) بمصطلح علم اللغة في كتابه "علم اللغة مقدمة للقارئ العربي"، وكذا الحال بالنسبة ل(كمال بشر) وهما يرفضان مصطلح "فقه اللغة"؛ لأنه أطلق في القديم والحديث على مباحث ليست من علم اللغة الحديث في شيء، واستخدم مصطلح "الألسنية" من طرف (أوغستين مرمجي الدومينيكي) بفلسطين عام 1937 في كتابه "المعجمية العربية على ضوء الثنائية والألسنية السامية"، وكتابه "هل العربية منطقة أبحاث ثنائية ألسنية" وهذا عام 1947.<sup>(1)</sup>

وإلى جانب مصطلح "علم اللغة" ظهرت تسميات أخرى من ذلك "علم اللسان"، وقد ظهر هذا المصطلح للمرة الأولى في ترجمة (محمد مندور) للباحث اللساني الفرنسي (أنطوان ماويه **Antoine Mayet**) المعنون ب **Linguistique** حيث ترجمه بعلم اللسان، وقد ظهر في ترجمة (محمد مندور) منهج البحث في الأدب واللغة (1946).<sup>2</sup>

لقد شهد هذا المصطلح الأجنبي "Linguistique" تنوعاً وتلونا من قطر لآخر ومن بلد لآخر، وهذا التعدد راجع إلى تعدد البيئات المنشغلة بالدرس اللغوي وعدم التنسيق بينها إلى جانب تعدد الترجمات، وعدم التواصل بينها في مختلف الأقطار العربية. ففي سوريا وفلسطين يطلقون عليه (الألسنية) و(علم اللسانة) للدلالة على الحرفة، وقد ظهر ذلك عند (أنيس فريجة وريمون طحان) سنة 1976 بعنوان الألسنية بلبنان، وهو المصطلح الأكثر استعمالاً في هذا البلد، وقد كان لمصطلح علم اللغة أو علم اللغة الحديث أو علم اللغة العام انتشاراً كبيراً وواسعاً في كليات الآداب بمصر وكذا العراق، كما انتشر مصطلح اللغويات في كليات جامعة

(1) - محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، ص 21.

(2) - ينظر: فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص 43.

الأزهر، وفي تونس نجد مصطلح "الألسنية"، وقد وظفه (صالح القرماضي) قاصداً به علم اللهجات عندما نشر ترجمته لكتاب (جان كانتينو Jean Cantino) "دروس في علم أصوات العربية" (1966)، وكذلك عند (ميشال زكريا) في كتابه "الألسنية وعلم اللغة الحديث" سنة 1980، وبعد ذلك ظهر مصطلح ألسنيات ماثلاً لصيغة لغويات، وقد ظهر في المغرب مصطلح "اللسنيات" لكنه سرعان ما اختفى ليحل محله مصطلح "اللسانيات"، وهو المصطلح المنتشر في الجزائر سنة 1996، إلا أنّ الرّيادة أخذها مصطلح "اللسانيات" من بين كل هذه المصطلحات لما يتميز به من خصائص ومميزات.<sup>(1)</sup>

رأى (محمد رشاد الحمزاوي) أن مصطلح الألسنية في بداية الأمر استعمل مقابلاً لمصطلح (Dialectologie) فلم يظهر بمعنى الألسنية أو اللسانيات إلا في حوالي السبعينات من القرن العشرين ليدل على العلم الجديد فهماً ومضموناً، نظرياً وتطبيقياً، لتتقارب الترجمات أحياناً وتبتعد أحياناً أخرى وفقاً لوجهة نظر كل مترجم وثقافته ومدى معرفته لطبيعة الحقل العلمي المخصص له هذا المصطلح والكاشف عن حدوده وأبعاده.<sup>(2)</sup>

واللسانية أو الألسنية بحسب المترجمين مصطلح عربي معروف في حقل الدراسات اللغوية كما هو معروف اليوم، وهو دراسة اللغة كنظام علامات. وتتميز (اللسانية) المحضّة عن السيكو-لسانية والسوسيو-لسانية بابتعادها عن وصف الدلالات. ويعتبر (سوسير) "اللسانية" فرعاً من السيميولوجيا، بينما يجدها

(1) - ينظر: فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص 43 وينظر: محمد رشاد الحمزاوي، المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، ص 156.

(2) - محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، ص 21.

(رولان بارت **Roland Bart**) عكس ذلك لأن اللغة تعمل كنمط وتكون النظام التام الذي يمكنه أن يساعد على التأويل.<sup>(1)</sup>

وطبيعي في هذا الصدد أن نجد معظم الدارسين يفضل ما استعمله هو أو ما ابتدعه دون أن يولي قضية الدلالة أو الشبوع أي اهتمام، ولقد مر بنا ما ذهب إليه (أحمد مختار عمر) حين فضل مصطلح (الألسنية) على كل ما استعمل من صور مشابهة. ونشير هنا إلى أنه فضل أيضا ما استعمله هو من المصطلحات على غيرها، نحو: الفونيم (استعمله في كتابه دراسة الصوت اللغوي)، والمورفيم (استعمله في ترجمة كتاب أسس علم اللغة لماريو باي **Mario Bai**).<sup>(2)</sup>

ومثل هذه المترادفات قد يُعد نقمة في مجال المصطلحات العلمية والتقنية، فهي تؤدي إلى اختلاف الاستعمال الذي يؤثر بشكل خاص على المصطلحات اللسانية، ويعد هذا التشتت في المصطلح العربي آفة من آفات البحث العلمي وظاهرة مرضية؛ إذ يسبب بلبلة وإرباكا لدى الدارسين وهدرا للجهود العلمية في إضاعة الوقت بتكرار ما تم انجازه.

لقد شهد كتاب "علم اللغة" ل(عبد الواحد وافي) اقتباس الكثير من المصطلحات اللسانية إلى جانب ترجمتها ترجمة صحيحة؛ كعلم اللهجات، وعلم المفردات، وعلم الدلالة، وعلم البنية، وعلم الأساليب، وعلم أصول الكلام، وعلم الاجتماع اللغوي، وعلم النفس اللغوي، وعلم اللغة وغير ذلك، وكذلك فعل (إبراهيم

---

(1) - سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (عرض وتقديم وترجمة)، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط1، 1985، سوشيريس الدار البيضاء- المغرب، ص197.

(2) - أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص55.

أنيس) في كتابه "الأصوات اللغوية" عام 1947، و(تمام حسان) في كتابه "مناهج البحث في اللغة" عام 1955، و(عبد الرحمن أيوب) في كتابه "أصوات اللغة" عام 1963، وكل من (كمال بشر) في كتابه "علم اللغة العام"، و(محمود فهمي حجازي) في كتبه "علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة" وهذا عام 1970، و"علم اللغة العربية" عام 1973، و"مدخل إلى علم اللغة" عام 1978.

وقد عمد معظم هؤلاء الباحثين إلى ذكر المصطلح بلفظه الأجنبي نحو "اللانغويستيك" و"السيمانتيك" و"السانتيكس" وغيرها. وهذا ما نجده عند (محمد مندور) في ترجمته لكتاب "علم اللسان" ل(ماييه) عام 1946، وترجمات أخرى ككتاب "اللغة" ل(فندريس Vendres) عام 1950، و"اللغة بين الفرد والمجتمع" ل(ياسبرز Yaspers) عام 1954، و"اللغة والمجتمع" ل(لويس) عام 1959، و"دور الكلمة ل(أولمان Ullmann) عام 1962، و"دروس في علم الأصوات العربية" ل(كانتينو Cantino) عام 1966 وغير ذلك.<sup>(1)</sup>

لقد عرف مصطلح Linguistique كما رأينا عدّة مقابلات عربية إلا أنّه قد تمّ الفصل في قضيته، وحتى المشاركة الذين تعنتوا في استعمال تلك المقابلات المتعددة قد شرعوا في استخدام مصطلح "لسانيات" مقابلا لهذا المصطلح الأجنبي، وهو ما نلمسه في أعمال (محمد صالح الصيني وكريم زكي حسام الدين وسيمير استيتية وغيرهم، وهو ما تمّ رصده في المعجم الموحد.

## 2- مصطلح (Pragmatique) :

(1) - أحمد محمد قدور، اللسانيات والمصطلح، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، م8، ج4، ص 10.

المصطلح	المكافئ العربي
Pragmatique	- البرغماتية.
	- التداولية.
	- الذرائعية.
	- علم المقاصد.
	- النفعية... <sup>(1)</sup>

يقول "كرناب (Carnap): «إنّ البراغماتية هي قاعدة كل اللسانيات...»<sup>(2)</sup>، فهي أحد أهم

مجالات الدراسات اللسانية تعنى بخصائص استعمال اللغة؛ أي الدوافع النفسية للمتكلمين وردود أفعال المستقبلين والنماذج الاجتماعية للخطاب وموضوعه، وذلك بمراعاة الخصائص التركيبية الدلالية، ثم تحولت فيما بعد مع (ج. ل. أوستي J.L.Usti) إلى دراسة أفعال اللغة إلى أن امتدت واتسعت لتشمل نماذج الاستعمال والتلفظ وشروط الصحة والتحليل الحوارية.<sup>(3)</sup>

لقد قدّم العديد من الباحثين تعريفات كثيرة للتداولية، وقبل أن نعطي تعريفا للتداولية نقول إنّ ما هو ملاحظ بخصوص مصطلح "التداولية" هو عدم استقرار المصطلح على صيغة واحدة: "تداولية، مقامية، وظيفية، سياقية، ذرائعية، نفعية... الخ". الأمر عائد بالأساس إلى عدم استقرار مفهوم التداولية نفسه وموضوعها في تيار واحد، فنجد تداولية حقيقية لدى المناطق، وتداولية مقارنة لدى اللسانيين، وتداولية

(1) - خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، ص 96 وينظر: سمير شريف استيتية، اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، ص 289.

(2) - حافظ اسماعيلي علوي، التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن، ط 2، 2014، ص 66.

(3) - نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ص 94.

الإقناع لدى البلاغيين... الخ. وإنّ هذه الصفة تفتح أمامها رهانات عديدة، وتجعل تطورها انطلاقاً لا يُحدّد، وتنوعها غير محصور، وامتدادها غير محدود.<sup>(1)</sup>

ويمكن أن نعرف التداولية على نحو مفيد، "أنّها تدرس كيف أن ضروب التلفظ بالعبارات تكون لها دلالات في مواقف معينة". وفي كتاب "آن روبول وجاك موشلار" نظرة تكاملية عن التداولية ضمن برنامج كلي لدراسة اللغة كنظام تواصلية، وباختصار فإنّ هذا يعني دراسة استعمال اللغة باعتبارها متميزة، ولكنها متكاملة مع اللغة ذاتها، منظورا إليها كنسق بصوري شكلي، وعلى نحو أكثر اختصارا أيضا، فإنّ النحو (في أوسع معانيه) ينبغي أن ينفصل عن التداولية.<sup>(2)</sup> وهي تتركز في منظور "سيبربر وويلسون" على استراتيجية علمية مفتوحة، ويحق لنا أن نتساءل ما إذا كان يكفي تنصيب parametrage عدد عناصر المقام التواصلية لجعل اللسانيات برنامج بحث يستند إلى استراتيجية علمية مفتوحة" قولاً بأنّ انفتاحها يراوح حدوده الدنيا.<sup>(3)</sup>

وتعرف التداولية غالبا بكونها دراسة للأقوال في سياقها، حيث النظر إلى اللغة باعتبارها نظاما تواصلية، حاويا لعناصر النسق اللساني الصرف المتداخلة مع كل ما يربط بها في محيط إنتاجها، وهي بذلك تبدو متجاوزة

(1) - عبد الله جاد الكريم، التداولية في الدراسات النحوية، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، 2014، ص20.

(2) - جيوفري ليتس، تر: عبد القادر قنيني، مبادئ التداولية، افريقيا الشرق، المغرب، 2013، ص5.

(3) - آن روبول وجاك موشلار، تر: لحسن بوتكلاي، تداولية الخطاب من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب، نور المعرفة، ط1، 2020، ص58.

الدراسة التقليدية التي طالما وقفت عند النسق الشكلي للغة، إلى دراسة نسق الاستعمال. إنّ اللغة من هذا المنظور نسق علامات حامل لوظيفة في سياق حي.<sup>(1)</sup>

إنّ التداولية حقل لساني ملتبس... وتبدو التباساته، بحيث يصعب على المتتبع لتطور اللسانيات المعاصرة أن يعرف الحدود الفاصلة بين المجالات اللسانية المعروفة وبين التداولية. ويستعصي عليه بالتالي تحديد موضوع هذه الأخيرة وإبراز نماذجها النظرية، وأجهزتها الإجرائية.<sup>(2)</sup>

يعود استعمال مصطلح "التداولية" إلى الفيلسوف (تشارلز موريس **Charles Morris**) انطلاقاً

من عنايته بتحديد الإطار العام لعلم العلامات أو السيميائية من خلال تمييزه بين ثلاثة فروع، وهي:

- النحو أو التراكيب (Syntax): وهو دراسة العلاقة الشكلية بين العلامات بعضها ببعض.
- الدلالة (Sémantics) وهي: دراسة علاقة العلامات بالأشياء التي تؤول إليها هذه العلامات.
- التداولية (Pragmatics): وهي دراسة علاقة العلامات بمستعملها وبمؤولها.<sup>(3)</sup>

كما يميز في معالجة الخطاب السردي - على المستوى السطحي - البعد الإدراكي و(البعد البراغماتي)، ويستعمل هذا الأخير كمرجع داخلي للأول، ناظراً إلى (الموضوعات البراغماتية) على أنّها موضوعات تعرف

(1) - رضوان الرقي، من البلاغة إلى التداولية دراسة تحليلية في البنية والتصور، ص 19.

(2) - عبد الله جاد الكريم، التداولية في الدراسات النحوية، مكتبة الآداب، ط 1، القاهرة، 2014، ص 17.

(3) - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 21.

كقيم وصفية، مستنتجا أنّ (البراغماتية) تستهدف بالمفهوم الأمريكي لاستخلاص شروط التواصل بالأساس.<sup>(1)</sup>

إنّ أغلب التعاريف التي قدمها الدارسون حول التداولية تتضارب ولا تنسجم فيما بينها، فحتى "موريس Moris" عند تعريف التداولية بأنّها: "دراسة العلاقة الموجودة بين العلامات ومستعملها"، اعتبرها جزءاً من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات". وهذا التعريف واسع وغير محدّد للتداولية، إذ يتعدى المجال اللساني إلى السيميائي، والمجال الإنساني إلى الحيواني والآلي، على حد تعبير "فرنسوا آرمينيكو".<sup>(2)</sup>

كما أنّ هذا التعريف لا يحدّد إلا الأهداف الوصفية للتداولية، إذا ما قارناه بتصور الفلسفة التحليلية، نجده يضيّق مجال البحث، أما هذه الفلسفة فتري أنّ التداولية هي دراسة الأغراض اللغوية، فتكون بذلك قد ركزت على جانب الاستعمال اللغوي في الخطاب.<sup>(3)</sup>

وبذلك فقد عمد السيميائي (شارل موريس) إلى إدراج التقابل بين كل من التركيبات (علاقة العلامات داخل الجملة)، والدلالات (علاقة الجمل بمحالات الأشياء التي تدل عليها)، والتداوليات (علاقة الجمل بالمتلفظين بها والمؤولين لها)؛ إذ لا يبدو التمييز بين التداوليات والدلالات في كل الأحوال واضحاً؛ ذلك لأن المحتوى الدلالي للجملة لا يستقل عموماً عن علاقته بالمتكلم أو المرسل إليه.

---

(1) - سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ص 48.

(2) - ينظر: ماري نوال غاري بريور، المصطلحات المفتاح في اللسانيات، ص 83.

(3) - رضوان الرقي، من البلاغة إلى التداولية دراسة تحليلية في البنية والتصور، ص 17.

ولا يتفق غالبية علوم اللسان حول معالم الحدود بين هذين الفرعين (ولا حتى ضرورة الفصل بينهما)، بيد أنه يمكننا أن نتخذ الوضع الآتي: فإذا ما اعتقدنا بأنه على اللسانيات أن تتولى وصف معنى الملفوظ بوصفه مسجلاً ضمن فعل التلفظ؛ فذلك يعني أن "الدلائيات" تتمركز حول دراسة الأشكال التي تُكون هذا الملفوظ في الوقت الذي تنصب فيه "التداوليات" على دراسة فعل التلفظ نفسه ضمن نطاق موسع. فدراسة معنى اسم الإشارة مثلاً تعود في الأصل إلى الدلائيات على الرغم من أنها لا تجري إلا بالنظر إلى علاقة هذا المحدد بفعل التلفظ، ذلك لأن أسماء الإشارة لا تمثل سوى أشكال لسانية، في المقابل يستند وصف معنى الملفوظ إلى مبدأ تداولي.<sup>(1)</sup>

تأسيساً على المفهوم العام لـ "Pragmatique" في الدرس اللساني الغربي الحديث، وهو دراسة اللغة حال الاستعمال، أي حينما تكون متداولة بين مستعمليها، فقد اختار (طه عبد الرحمن) مصطلح "التداوليات" مقابلاً لـ "Pragmatique"، يقول: "وقد وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح "التداوليات" مقابلاً للمصطلح الغربي (براغماتيقا)، لأنه يوفي المطلوب حقه، باعتبار دلالاته على معنيين "الاستعمال" و"التفاعل" معاً، ولقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم".<sup>(2)</sup> وعلى هذا الأساس يقدم "جيوفيرى ليتش" (Leitch) تعريفاً لما تهدف إليه التداولية، فيقول: "التداولية هي دراسة المعنى في علاقته بظروف الكلام، وحيثيات استعماله حيث اللغة نسق تواصلية".<sup>(3)</sup>

(1) - ماري نوال غاري بريور، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ص 83.

(2) - خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ردمك، ط 1، 2009، ص 151.

(3) - رضوان الرقي، من البلاغة إلى التداولية دراسة تحليلية في البنية والتصور، ص 17.

وفي سياق متصل، أحصى "فيليب بلانشيه" عدة تعريفات للتداولية، نذكر منها: "التداولية هي مجموعة من البحوث المنطقية اللسانية...، وهي كذلك الدراسة التي تعنى باستعمال اللغة، وتهتم بقضية التلاؤم بين التعبير الرمزية والسياقات المرجعية والمقامية والحداثية والبشرية الموسوعة الكونية. وتُحدد أيضا: كالتالي: " هي الدراسة أو التخصص الذي يندرج ضمن اللسانيات، ويهتم أكثر باستعمال اللغة في التواصل". والخيط الناظم بين هذه التعريفات هو اتفاقها على أنّ التداولية تركز على كل ماله علاقة باستعمال النسق، في مقابل اللسانيات البنوية - على اختلافها وتنوعها- والمنشغلة أساسا بدراسة النسق اللغوي، لذاته ومن أجل ذاته. ومن تبعات المنزع الذي تبنته التداولية، اهتمامها بدراسة التواصل البشري.<sup>(1)</sup>

ويعرّفها "آن ماري دير" (Anne Marie) وفرانسوا ريكانتي (Francois Récanti) بقوله: "التداولية هي دراسة استعمال اللغة في الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية"؛ ليستنتج من هذا التعريف أنّ التداولية تدرس معنى العبارات من خلال العلاقة مع سياق التعبير، كعلم الدلالة، وبعض الأشكال اللسانية التي لا تتحدد مضامينها إلا من خلال صياغتها التعبيرية.

وتعرفها "فرانسوا أرمينيغو" ب: "أنها تعنى دراسة استعمال اللغة في الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية"، فالتداولية عندها: هي الدراسة التي تتناول اللغة من جهة استعمالنا لا من جهة معناها أو مبنائها.<sup>(2)</sup>

(1) - جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ردمك، ط1، 2016، ص18.

(2) - عبد الله جاد الكريم، التداولية في الدراسات النحوية، ص21.

لقد عرفت التداولية كمفهوم لساني تعددا مصطلحاتيا ومعرفيا؛ فهي من المصطلحات التي تجسّد فيها التعدد، مما جعلها تتركز في أصول تسمياتها على حقول معرفية متنوعة لوضع المصطلح ومفهومه وكذا ضبطه، ومن بين هذه المقابلات نجد مصطلح (التداولية، البراغماتية، الذرائعية، النفعية، الاستبدالية، الاختبارية، الجدولية، الإيحائية، الرأسية، والسياقية، والمقامية، والاستعمال اللغوي وما إلى ذلك.<sup>(1)</sup> إنّها دوال متواترة في اللغة العربية في مقابل كلمة Pragmaticus اليونانية. بيد أنّ مصطلح "التداولية" يظل الأكثر استعمالا وشيوعا بين الباحثين، وهو مصطلح مركب من وحدتين، إحداها معجمية "تداول" والأخرى "صرفية" (ية) دالة على مصدر صناعي.<sup>(2)</sup>

إنّ هذا التعدد المصطلحي راجع للحقل المعرفي الذي انبثقت منه، وهذه التعددية ترتبط بالفكرة المحورية التي تنطلق منها الدراسة، ويلتقي معظمها في حقل الاستعمال اللغوي. ولكن أغلب الباحثين فضل ترجمة مصطلح Pragmatique بالتداولية؛ فحتى المعجم الموحد لم يستطع أن يوحد بين الدارسين معتمدا مقابلا لهذا المصطلح الأجنبي مصطلحي تداوليات وذرائعيات،<sup>(3)</sup> ليشهد هذا المصطلح الأجنبي تجاذبا بين العلماء والباحثين في اختيار المقابل الأنسب له، وخاصة بين تفضيل أحد المقابلين الأخيرين على الآخر.

(1) - ينظر: خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، ص 96.

(2) - جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ردمك، ط 1، 2016، ص 13.

(3) - ينظر: خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، ص 96 وينظر: سمير شريف استيتية، اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، ص 289.

تشيع كلمة (التداول) كثيرا في كتابات بعض اللغويين العرب المعاصرين، وهم يستعملون هذه الكلمة للدلالة على مضمون كلمة pragmatics الإنجليزية. والحق أن التداول أعم من البراجماتية فهو يشمل أولا:

المجاز والاستعارة والكناية، ويشمل ثانيا: الدلالات المقامية، ويشمل ثالثا: الدلالات الإشارية.<sup>(1)</sup>

يحاول "بن عيس ازاييط" بعد استقرائه لمختلف التعاريف التي تناولت مفهوم التداولية الخروج بتعريف يقرب بين مختلف هذه التعاريف قائلا: "التداولية دراسة لظواهر الخطاب وتفسير لبنياته في ضوء الاستعمال والوظائف". وهو تعريف يلبي شروط التكامل بين ظواهر الخطاب، وتقوم البنيات والمعنى كعناصر داخلية، وبين الاستعمال والوظائف والانجاز والسياق كعناصر خارجية، كما يلبي شرط التفاعل والتداخل بين هذه العناصر المشكلة للأسس التداولية.<sup>(2)</sup>

إنّ مصطلح Pragmatique في كل أحواله هو "منهج يبحث في الاستخدام المتميّز للغة من خلال الدوافع النفسية للمتكلمين، وردود أفعالهم والأنماط الاجتماعية. وحسب (رابح بوحوش) فمصطلح "تداولية" هو مفهوم فلسفي نشأ وتبلور في سياق تيار اهتم بالمسائل النفعية، الأمر نفسه بالنسبة لمصطلح "ذرائعية" فهو ترجمة لما كانت له ثقافة فلسفية. وكان الأجدد هؤلاء الباحثين أن يتعدوا عن الترجمات الفردية، وأن يتخذوا ترجمة المعجم الموحد؛ فالتداوليات هي جمع مفرد "تداولية" وبزيادة الألف والتاء أضفت عليها نوع من التوسع

(1) - سمير شريف استيتية، اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، ص 289.

(2) - رضوان الرقي، من البلاغة إلى التداولية دراسة تحليلية في البنية والتصور، ص 19.

والاستمرارية، والشيء نفسه بالنسبة لمصطلح "ذرائعيات" كما هو الحال في مصطلح لسانيات وسيميائيات.<sup>(1)</sup>

يشار إلى التداولية غالباً على أنها دراسة استعمال اللغة في سياق معين، ويميل علماء اللغة أحياناً إلى مباينة التداولية مع علم الدلالة الذي بدوره يدرس معنى الجملة. وهذا - ببساطة - يعني أنّ التداولية تختص بتقصي كيفية تفاعل البنى والمكونات اللغوية مع عوامل السياق؛ لغرض تفسير اللفظ ومساعدة السامع على ردم الهوة التي تحصل أحياناً بين المعنى الحرفي للجملة والمعنى الذي قصده المتكلم.<sup>(2)</sup>

أما (عبد القادر الفاسي الفهري) فقد ترجمه في بحثه "المصطلح اللساني" بالذرائعيات أو بالذرائعيات، يقول: «ونلاحظ كذلك عدم اهتمام عام بمصطلحات الدلالة والصرف والذريعات Pragmatics، وكثير من ألفاظ التركيب Syntax...»؛ ليخالفه (قاسم المقداد) في ذلك ويرى أنه لا يجوز ترجمة Pragmatics بالذرائعيات؛ وإلا اعتقدها القارئ مقابلة للمدرسة الفلسفية المعروفة بهذا الاسم Pragmatisme غير أنه لم يطرح مصطلحاً عربياً لهذا المفهوم.

وعلى الرغم من اختلاف وجهات النظر بين الدارسين حول "التداولية"، وتساؤلاتهم عن القيمة العلمية للبحوث التداولية وتشكيكهم في جدواها، فإن معظمهم يقرُّ بأن قضية التداولية هي "إيجاد" القوانين الكلية للاستعمال اللغوي والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، وتصير "التداولية" من ثمَّ جديرة بأن

(1) - رايح بوحوش، البحث الايتيمولوجي وتعريب المصطلحات اللسانية، مجل اللسانيات واللغة العربية، منشورات مخبر اللسانيات واللغة العربية، عناية، العدد الثالث، جوان، 2007. ص 230.

(2) - جورج يول George Yule، التداولية pragmatics، تر: قصي العتّابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، Oxford، ط 1، 2010، ص 13.

تعرف بأنها "علم استعمال اللغة"، وقد نقول في تعريفها: بأنها نسق معرفي استدلالي عام يعالج الملفوظات ضمن سياقها التلفظية، والخطابات ضمن أحوالها التخاطبية.<sup>(1)</sup>

ومع كل هذه التجاذبات لاحت في الأفق بعض الأصوات الخافتة التي تحاول الفصل بين هذه المصطلحات من خلال نسبها إلى حقل المنشأ؛ فالمصطلحات نفعيّة كانت أو ذرائعية قد نشأت في حقل العلوم الفلسفيّة، ومصطلح تداوليّة وبرغماتية نشأ في حقل العلوم اللسانية، ومصطلح علم المقاصد نشأ في تحليل الخطاب. وهذا راجع إلى الجهل بتكوين المفهوم المصطلحي في لسان نشأته، وعدم التمكن من معرفة الملابسات السياقيّة والمعرفية والعلمية التي نشأ فيها المصطلح الأصلي هو ما جعل المترجم غافلاً عنها عند عملية الترجمة. فالترجمة قدرات معرفيّة وبرغماتية قبل أن تكون مجرد نقل من لسان إلى لسان آخر؛ فالمترجم الذي لا يتمكن من ضبط شروط نشأة المصطلح في لسانه الأصلي لا يستطيع أن يضبط شروط ترجمته في اللسان الهدف.<sup>(2)</sup>

كما فضّل "جورج يول" ترجمة المصطلح pragmatics إلى "التداولية" بدلا من "البرجماتية" أو "المقامية" وذلك لأنّ "التداولية" في رأيه هي المكافئ الأنسب، خصوصا إذا أُخِذَ بعين الاعتبار أن ال pragmatics هي بالأساس دراسة اللغة من منظور "تداولها" بين مستعمليها.<sup>(3)</sup>

(1) - مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار التنوير للنشر والتوزيع، ط1، 2008، ص25.

(2) - خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، ص98.

(3) - جورج يول George Yule، التداولية pragmatics، ص15.

ومن الأصوات التي تضافرت جهودها لرفع الالتباس عن التداولية أيضا "آن ربول وجاك موشلار"، إذ ذكر أنّ التداولية يمكن أن تعرف بصفة عامة على أنّها دراسة استعمال اللغة، في مقابل دراسة النسق اللغوي الذي يدخل بصيغة صريحة في اختصاصات اللسانيات، وعندما نتحدث عن استعمال اللغة، فإنّ هذا الاستعمال ليس محايدا؛ فالإشارات على سبيل الذكر لا يمكن أن تقول إلا داخل سياقها التلفظي، كما أنّ الكلمات تدل في مناسبات كثيرة على معان تفوق ما تنوي التعبير عنه، وقد أوضحت "آن ربول وجاك موشلر" العلاقة بين دراسة النسق ودراسة استعمال النسق، والتداولية تعني أيضا "دراسة استعمال اللغة في الخطاب"، ودراسة الإشارات النوعية التي تثبتها وظيفتها الخطابية في اللغة،<sup>(1)</sup> علاوة على ذلك يلاحظ أنّ التعريفات السالفة تسلم بأنّ التداولية تهتم بسياق إنتاج الخطاب، على اعتبار أنّ استعمال النسق يفرض النظر في الظروف المصاحبة له، من قبيل مقاصد المتخاطبين، ومسافة القرب والبعد الفاصلة بينهما سواء كانت فيزيائية أم اجتماعية.<sup>(2)</sup>

إنّ تعدّد الاختصاصات والحقول المعرفية في اللسان الهدف جعل من ترجمة المصطلح الواحد في اللسان الأصل ترجمات مختلفة ومتعددة المقاصد حسب زوايا النظر المعرفية لكلّ مترجم. ويمكن أن ترد كذلك أسباب الاختلاف المعرفية إلى تنوع الحقول المعرفية التي تهتم بالمصطلح؛ فهي حقول تشتغل منفردة ولا يتصل بعضها ببعض قصد توحيد المفاهيم وترجمة المصطلحات، وهو ما جعل كلّ حقل معرفي يحتوي على ترجمات مختلفة ومتضاربة مع ما نجده من مصطلحات لها نفس الأصل الأعجمي في حقل علمي آخر.<sup>(3)</sup> وهو ما استدعى

(1) -جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، ص16.

(2) - المرجع نفسه، ص18.

(3) - خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، ص98.

للحديث عن "التداولية" وعن "شبكة المفاهيمية" الإشارة إلى العلاقات القائمة بينها وبين الحقول المختلفة، لأنها تشي بإنتمائها إلى حقول مفاهيمية تضم مستويات متداخلة، كالبنية اللغوية وقواعد التخاطب، والاستدلالات التداولية، والعمليات الذهنية المتحكمة في الإنتاج والفهم اللغويين، وعلاقة البنية اللغوية بظروف الاستعمال.<sup>(1)</sup>

ومن الواضح أنّ تعريفات التداولية جميعها ترتبط بفكرة الاستعمال التي ربما ترددت في التعريفات جميعها بشكل أو بآخر، فالتداولية هي التي تدرس استعمال اللغة في السياق، وتوقف شتى مظاهر التأويل اللغوية على السياق، فالجملة الواحدة يمكن أن تعبر عن معاني مختلفة أو مقترحات مختلفة من سياق إلى سياق.<sup>(2)</sup>

إنّ الحقيقة التي لا مرأى من الإقرار بها هي أنّ التداولية أضحت ملتقى لعدة تخصصات لسانية فلسفية وأنتروبولوجية ونفسية،.... وبالتالي "لم تعد علما لغويا محضا بالمعنى التقليدي، علما يكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية، ويتوقف عند حدودها وأشكالها الظاهرة، ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، ويدمج من ثمّ مشاريع معرفية متعدّدة في دراسة ظاهرة "التواصل اللغوي وتفسيره".<sup>(3)</sup>

وحتى المصطلحات التي وضعت كمقابل لمصطلح "تداول" لم تسلم هي الأخرى من هذا التضارب والتباين في حقولها، ومنها مصطلح "سياق الحال" الذي حظي باهتمام واسع لدى الدارسين القدامى منهم والمحدثين، فتنوعت التصورات حوله، حيث ظلّ النقطة الأساس في المناهج التي ابتغت تحليل المعنى من وجهات نظر متنوعة، وقد اتضحت مع جهود المفسّرين والنحاة والبلاغيين وعلماء الأصول واللسانيين المحدثين، ولكنّه

(1) - مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 25.

(2) - عبد الله جاد الكريم، التداولية في الدراسات النحوية، ص 24.

(3) - جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، ص 19.

تبلور أكثر كموضوع خاض ضمن الحقل التداولي.<sup>(1)</sup> ومن أمثلة مصطلحاته التي لم توحد "سياق الموقف" و"مقتضى الحال" في مقابل (Context of Situation)؛ فقد اقتضت اللجنة على هذين المقابلين العربيين من اثني عشر مقابلاً عربياً، وهي: سياق الحال، سياق الموقف، المسرح اللغوي، الماجريات، الظروف الكلامية، ومقتضى الحال، والأصل التاريخي، والحدث التاريخي، والدلالة التاريخية، والتفسير التاريخي، وشاهد الحال، والمقام.<sup>(2)</sup>

ومن هذا الأساس نلاحظ أنّ السياق يعتبر أحد المحاور الأساسية التي أفضى الحوار بصدها إلى تنوير الدراسات اللغوية التي تمخضت، فأنجبت درس التداوليات، الذي لا يمكن اعتباره إلا دراسة للأقوال، باعتبار السياق كما يذهب إلى ذلك "ستالناكر Stalnaker وفرانيسيس جاك"، ولذلك فسياق أهمية كبيرة وضرورة لا غنى عنها لمحلل الخطاب، خاصة عندما يتعلق الأمر بالبحث عن الدلالة والمعنى، وبهذا فالسياق يمثل خاصية أساس من بين الخصائص التي يقوم عليها أي استعمال، لأي لغة طبيعية، ذلك أنه يوجد على الأقل في كل موقف تواصلية.<sup>(3)</sup>

و من خلال جملة التعريفات والتضاربات التي شهدتها المصطلح يمكن تحديد أهم وظائفه في النقاط الآتية:

(1) - ينظر: سامية بن يامنة، تداولية سياق الحال في الفعل الكلامي، دراسة تحليلية تطبيقية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ردمك، عمان، ط1، 2019، ص27.

(2) - حافظ اسماعيلي علوي، التداوليات علم استعمال اللغة، ص73.

(3) - رضوان الرقي، من البلاغة إلى التداولية دراسة تحليلية في البنية والتصور، ص9.

- التداولية دراسة استعمال اللغة، فلم يعد الأمر أبدا متعلقا بدراسة البنية اللسانية المنعزلة عن الممارسة، بل بدراسة اللغة عند استعمالها في الأوضاع والمقامات المختلفة، أو بعبارة أخرى أصبحت التداولية جسرا للانتقال من دراسة اللسان إلى دراسة الكلام.
- الاهتمام بدراسة أفعال الكلام ومعرفة الأغراض المستهدفة من إنجازها.
- دراسة مجالات التواصل بين البنية اللسانية ووظيفتها التداولية.<sup>(1)</sup>

خلاصة لكل ذلك يمكن القول أنّ مصطلح التداولية من أكثر المصطلحات التي عرفت تباينا واضطرابا في حقل اللسانيات، لهذا صُعِبَ الاختيار بين ثلاثة مصطلحات عربية اشتهرت كمقابل له من كل المصطلحات الأخرى، ويتعلق الأمر بين كل من مصطلح: الذرائعية والتداولية والبراغماتية، وحتى المعاجم المتخصصة في هذا المجال وقعت في مشكل التعدد نحو هذا المصطلح والمعجم الموحد واحد منها، لكن الأمر الذي لا يمكن أن ينكره أي باحث هو أنّ التداولية دراسة لاستعمال اللغة.

### 3- مصطلحا (signe)/(Symbole):

المصطلح	المكافئ العربي
Signe	- علامة.
Symbole	- رمز. - إشارة.

(1) - حسن خميس الملاخ وآخرون، التداولية ظلال المفهوم وآفاقه، عالم الكتب الحديث، اربد الأردن، 2015، ص96.

- دليل.	
- أمانة.	
- أيقونة...	

لقد عرف المصطلحين الأجنبيين "SIGNE" و "SYMBOLE" تداخلا في وضع المقابلات

العربية لهما وحتى في استعمالهما، لِيُعَدَّ الأكثر تأكيدا للتباين الحاصل في نقل وترجمة المصطلحات من اللغات

الأخرى إلى اللغة العربية، فقد شهدنا عدة مقابلات على نحو: رمز، علامة، إشارة، أمانة، سمة، دليل...

### أ- مصطلح **signe**

لقد اختار (رشيد بن مالك) مصطلح "دليل" كمقابل لمصطلح (Signe)، ويستعمله للدلالة على

الوحدة اللغوية المتكونة من دال ومدلول، الدال هو الإدراك النفساني للصورة الصوتية والمدلول هو الفكرة أو

مجموعة الأفكار التي تقترن ب"الدال".<sup>(1)</sup> ليقدم هذا الباحث المصطلح في قاموسه انطلاقا من وجهة نظر

سوسيرية، وتحدث عن مصطلح (Signe) في إطاره السيميائي السوسيري موضحا الاختلافات القائمة بين

الدال والمدلول والعلاقات بينهما.<sup>(2)</sup>

أما "يوسف وغليسي" اعتمد في ترجمة المصطلح ب"السمة" وفقا لما جاء عند (عبد المالك مرتاض)؛

فقد جعل هذا الأخير مصطلح السمة مقابلا لمصطلح (Signe) وذلك بالاستناد على جملة من الأسباب،

(1) - رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، عربي انجليزي فرنسي، دار الحكمة، الجزائر، 2000، ص191.

(2) - المرجع نفسه، ص192.

منها الاقتراب الصوتي للسمة من (Signe)، وانسجامها مع السيميائيات. كما تعرّض (وغليسي) للمصطلح انطلاقاً من اختلافات المقابلات العربية لهذا المصطلح؛ فقد وجد لهذا المصطلح مقابلات كثيرة منها: الدليل، الإشارة، الرمز، الرمز اللغوي، السمة والعلامة.<sup>(1)</sup> ليختلف الباحثان (يوسف وغليسي) و(رشيد بن مالك) في ترجمتهما لمصطلح "Signe"؛ فيختار الأول نقله إلى العربية بمصطلح "السمة"، في حين يفضل الثاني ترجمته بـ"الدليل".

لقد تراوح استعمال مصطلح (Signe) من حيث نقله إلى اللغة العربية في الأوساط السيميائية واللسانية بين السمة والعلامة والدليل. وقد لجأ الكثير من الباحثين إلى تعريف العلامة بغية اختيار المقابل الأنسب لمصطلح "Signe" بنوع من العناية والاحتباس؛ فيعترفون بأنّ تحديد هذا المفهوم يعد من أصعب التعريفات، وذلك لأهميته كمفهوم أساسي وقاعدي في اللسانيات بكاملها، كما أنّ هذه الصعوبة لا تقف عند هذا الحد بل تتجاوزها لتزداد تعقيداً في النظريات المعاصرة للعلامة؛ للأخذ في الحسبان العلامات غير اللسانية لا الكيانات اللسانية لوحدها.<sup>(2)</sup>

وليس هذا التداخل المصطلحي العربي فحسب؛ بل وحتى الغربي الغربي إذ يدخل في حقل "sign" مصطلح "symbol" من جهة، وكذلك signified و signifier من نفس الأسرة الاشتقاقية. ولكن دوسوسير **De Saussure** حين تحدث عن Signe بيّن أنه يختلف جذرياً عن symbole، فالأول اعتباطي والثاني ليس كذلك؛ لوجود نوع من العلاقة بين الدال والمدلول في حين لا نجد علاقة في الأول.

(1) - يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص 243 - 244.

(2) - ينظر: منظمة الأمم المتحدة للعلوم والتربية والثقافة "يونسكو"، تقدم اللسانيات في الأفطار العربية، وقائع ندوة جهوية أبريل 1987 الرباط، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1991، بيروت لبنان، ص32.

فالأقرب إلى المقصود أن يكون symbol هو الرمز وأن يترجم sign بدليل، باستعمال نفس المادة المعجمية التي اشتق منها الدال (signifier)، والمدلول (signified)، والدلالة (signification)، ولهذا نفضل استعمال مصطلح "دليل" كمقابل لمصطلح "Signe" في الدراسات اللسانية. وأما "علامة" فأقرب إلى (marque)، وأما إشارة فتناسب مع مصطلح demonstrative أو deixis.<sup>(1)</sup>

والأقرب إلى المقصود أن تترجم الكلمة بـ "دليل"؛ فهي مصطلح ذو معنى، وهي قريبة من الرمز؛ فالكلمة قد تُستخدم "علامة" كما قد تستخدم "رمزاً"، وبرزت أهمية العلامة في اللسانيات وكان لها دور هام مع الإشارة (SIGNAL)، والكودة (CODE)، والعنوان (TITRE) في السيميولوجيا، وهناك من يترجم العلامة بـ "الدليل".<sup>(2)</sup>

لقد استعمل (دي سوسير) مصطلح (الرمز) للدلالة على الإشارة اللغوية أو ما أطلق عليه بـ (الدال)، وقال في توضيح هذا الاستعمال: «... إنَّ استخدام كلمة (الرمز) لا يتفق مع صفته الاعتباطية؛ فمن مميزات الرمز أن لا يكون اعتباطيا على نحو كلي، فهو ليس فارغا إذ هناك جذور رابطة طبيعية بين الدال والمدلول، فرمز العدالة (=الميزان) لا يمكن الاستبدال به اعتباطا رمزا آخر كالعربة مثلا...»، وما جعله يميّز بين الرمز والعلامة هو اختلافهما عن بعضهما، ذلك أنّ العلامة ذات علاقة اعتباطية وعفوية، أما الرمز فيتسم بالتعليل والتحفيز؛ لذلك فهو يتحاشى استعماله في مقام العلامة اللسانية أو أن يكون مرادفا لها، وقد استطاع أن يضع لهذا المصطلح تعريفا تقنيا مغايرا للاستعمال العادي للكلمة، إذ تعد العلامة عنصرا من عناصر نسق اللسان،

(1) - ينظر: منظمة الأمم المتحدة للعلوم والتربية والثقافة "يونسكو"، تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، ص 32-33.

(2) - أحمد مطلوب، بحوث لغوية، ص 178.

وهي تأتي معرفة عبر علاقاتها بعلامات أخرى. ومفهومها لا يرتبط ببعدها خاص فقد تأتي على شاكلة وحدة مفرداتية بسيطة أو مركبة تقوم على ترابط وحدتين أو أكثر.<sup>(1)</sup>

ويتضمن مفهوم العلامة موضوعا قابلا للتحليل ضمن مستويين يسميهما "سوسير" تباعا بالبدال والمدلول، يحدد الدال وضعية العلامة داخل النسق انطلاقا من شكلها، أما المدلول فيحدد وضعية العلامة داخل النسق بالنظر إلى معناها. لتتلخص رؤية سوسير في أن العلامة هي محصلة ارتباط بين "الدال" و"المدلول"؛ حيث تهتم الصوتيات بدراسة الدوال في الوقت الذي تعنى فيه الداليات بدراسة المدلولات. هذا ويمكن للتعدد أن يظهر على مستوى الدال والمدلول، «فالمصطلح الواحد له غير مفهوم واحد لغير ضرورة، والمفهوم الواحد له عدة مصطلحات لغير الحاجة، وفي بعض مصطلحاتهم غموض ولبس ومخالفة لطبيعة العربية وذوق العربي في بناء اللفظ».<sup>(2)</sup>

إنّ تمايز العلامة المعرفة هاهنا عن الرمز مجرد كونها لا تحتكم لأية علاقة طبيعية بين الدال والمرجع، وذلك ما يطلق عليه مبدأ اعتبارية العلامة، ففي اللسان الفرنسي مثلا لا تخضع فكرة "الحقيقة" لأية عليية خارجية تربطها بالمقطع الصوتي (verite)، أو بمقطع صوتي آخر مغاير تماما (truo) في اللسان الانجليزي. خلافا لكل ذلك يستند الرمز إلى علاقة تجريبية تعلق اختيار الشكل الرمزي، فإذا كان رسم الميزان يرمز إلى العدالة

(1) - ينظر: عبد الله أبو هيف: اللغة والإعلام واعتبارات إنتاج المعرفة، مجلة اللسانيات واللغة العربية، منشورات مخبر اللسانيات واللغة العربية، جوان 2007، ص 34.

(2) - المرجع نفسه، ص 35.

فذلك لأن فكرة "العدالة" قد ترتبط بفعل الكيل الصالح أو ضد طرف معين، وقد نتخيل فكرة العدالة نفسها بشيء من اللبس إذا ما رمز لها برمز الشجرة أو برمز القدر.<sup>(1)</sup>

لقد استخلص علماء كثر أن العلامة تندرج ضمن سلسلة هذه المفاهيم والمصطلحات المترادفة والمتغايرة التي تجعلها تفقد تجانسها، والمتمثلة في: الإشارة (Signal)، والقرينة (Indice)، والأيقونة (Icône)، والرمز (Symbole)، والمثال أو الكتابة التصويرية (Allégorie)؛ لتشارك هذه المنافسات الرئيسية كلها في أنها جميعها تحيل وبالضرورة إلى علاقة موجودة بين متعاقبين (طرفين)، بيد أن نظرة عجلت إلى دلالة هذه الألفاظ في التراث اللساني العربي تهدي إلى أنها تختلف نطقاً ومفهوماً، فالعلامة مصطلح متعدد السمات غير مستقر، حيث يستحيل رسم كل مفارق معناه، وهي تحيل على موضوع وتسجله طبقاً لقانون ما، ويعد (الرمز) وسيط تجريدي للإشارة إلى عالم الأشياء.<sup>(2)</sup>

وتبدى من خلال استقراء المدونة اللسانية للتراث العربي بكل حقوله المعرفية أن مفهوم العلامة يشمل مفهوم اللفظ والكلمة والاسم، فهذه المفاهيم تعد الوحدات الدالة في النظام التواصلية لدى الإنسان؛ إذ أن الأداء الفعلي للكلام لا يعدو أن يكون في جوهره استخدام علامات لسانية منطوقة للتعبير عن أغراض المتكلم، باعتبار أن الضرورة التواصلية تقتضي وجود علامات معينة، وقد ينتفي الكلام بانتفاء وجودها وينعدم بعدمها.<sup>(3)</sup>

(1) - ماري نوال غاري بريور، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ص 97.

(2) - سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ص 102.

(3) - المجلس الأعلى للغة العربية، أهمية الترجمة وشروط إحيائها، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 258.

لقد كان العلماء الأقدمون على وعي عميق في استخدامهم لمفهوم العلامة، وكانوا يعنون به ذلك الوسيط أو تلك الوسيلة الحسية الحاضرة والشاهدة التي تنوب عن شيء آخر ليس بحاضر، فهي من هاهنا اقتتان ثنائي بين طرفين متلازمين يقتضي أحدهما وجود الآخر، الطرف الأول هو الدال والطرف الثاني هو المدلول، ويحصل عن هذا الاقتتان حدوث الدلالة التي هي - في نظرهم - كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر. العلامة حينئذ هي المفهوم المركزي الذي يطغى على ما سواه من المفاهيم الأخرى التي أومأنا إليها (الأمانة، الدليل، السمة)؛ إذ أن العلامة هي المصطلح الأعم الذي يشمل كل هذه المفاهيم باعتبارها علامات مخصوصة، وقد تبين لنا ذلك أثناء تدارسنا لكل مفهوم على حدة، إذ أن كلا منها مشروط بقريئة تلازمه وتجعله يمتاز عن غيره:

- فالأمانة قريئتها الظهور والدلالة الظنية.

- والدليل قريئته الدلالة على البرهان، والدلالة على العلامة اليقين.

- والسمة قريئتها أنها أثر ظاهر، والعلاقة بين دالها ومدلولها علاقة سببية.

ومن هاهنا فإن مصطلح العلامة هو المصطلح الأعم والأشمل لأنه غير مشروط بأي خصوصية، ومن ثمة فقد يكتسب الشرعية المعرفية لأن يكون بديلا مقابلا لمصطلح (Signe) بمعناه العام.<sup>(1)</sup>

## ب- Le Symbole

إنّ الرمز هو المصطلح الأكثر مقابلة للمصطلح الأجنبي Le Symbole؛ لهذا سأحاول التطرق إلى مفهوم الرمز وإلى أهم الميزات التي تجعله يحظى بهذه الأفضلية، متطرقا في نفس الوقت للمصطلحات الأخرى

(1) - المجلس الأعلى للغة العربية، أهمية الترجمة وشروط إحيائها، ص 258.

التي وضعت واستخدمت لتعبر عن هذا المصطلح الأجنبي، والتي وجدت مبنوثة في جملة التعاريف المختلفة والمتعددة لهذا المصطلح.

يعدُّ الرمز مصطلحاً متعدّد السمات، وهو علامة تُحيلُ على موضوع وتُحلُّ محلّه، وهو إشارة تذكّر بشيء غير حاضر. وهو عند (دي سوسير) يختلف عن العلامة (Signe) من حيث العلاقة بين الدال والمدلول، فهذه العلاقة في العلامة علاقة اعتباطية، أي قائمة أساساً على التواضع والاصطلاح، على عكس الرمز الذي يقتضي المشابهة أو السببية بين طرفيه. بينما الرمز عند (بيرس Pierce) هو علامة عرفية تقتضي الوضع والاصطلاح بين أفراد المجتمع اللغوي، ويستعمل مقابل الرمز عند (دي سوسير) مصطلح "الأيقونة"<sup>(1)</sup>.

ويعرف (شارل بيرس Charles Pierce) هذا المصطلح بقوله: «الرمز إشارة تعود إلى الشيء الذي يدل عليه بفعل قانون يتكون عادة من تداع عالم الأفكار، ويحدد ترجمة الرمز بالرجوع إلى هذا الشيء»، إذ العلاقة الموجودة بين الدال والمدلول علاقة اعتباطية (arbitraire) عرفية غير معللة، فلا يوجد ثمة أي تجاور أو صلة طبيعية.<sup>(2)</sup>

وقد ذكر (رشيد بن مالك) مفهوم الرمز عند (يلمسليف) بأنّه: «وحدة السيميائية الأحادية الجانب التي يمكن أن تتلقى تفسيراً أو تفسيرات متعددة».<sup>(3)</sup>

(1) - المجلس الأعلى للغة العربية، أهمية الترجمة وشروط إحيائها، ص 249 وينظر: يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص 244.

(2) - نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ص 116.

(3) - رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، ص 211.

أما (يوسف وغليسي) فقد ذكر مصطلح الرمز من خلال تطرقه للتقسيم الثلاثي للعلامات عند (بيرس): "أيقونة، قرينة ورمز"، وفيما يخص ترجمة المصطلح إلى العربية في الأوساط اللغوية فيوضح الباحث على وجود شبه اتفاق عربي على ترجمة مصطلح (Symbole) بالرمز، وتأتي وظيفة الرمز في هذا التقسيم الثلاثي من وظيفة كلٍّ من الأيقونة والقرينة؛ «فالأيقونة تتحدد بحسب علاقة تماثلها مع حقيقة العالم الخارجي، والقرينة بعلاقة التلاحم الطبيعي، أما الرمز فيؤسس على الاتفاق الاجتماعي البسيط»، وعُرف في معناه الاصطلاحي بأنه: «الإيماء أو الإشارة والعلامة».<sup>(1)</sup>

وسبق أن تمّ استعمال كلمة Symbole (= الرمز)، وعني بها الدليل اللغوي أو على الأصح ما يسمى بالدال، ولكن في قبول هذه التسمية بعض السيئات من جراء المبدأ الذي تمّ تقديمه، فمن مميزات الرمز أنه لا يكون أبداً اعتباطياً بالتمام، فإنه ليس فارغاً بل فيه بين داله ومدلوله شيء من الارتباط الطبيعي...، ويعنى بالاعتباطية أنّ الدال غير مسبب (immotivé)؛ أي اعتباطي بالنسبة إلى المدلول الذي لا تربطه به أية علاقة طبيعية في الواقع،<sup>(2)</sup> فالرمز إشارة تعبر عن علاقة طبيعية بين الصورة الرمزية وما تدل عليه في العالم الخارجي، وقد تكون العلاقة بين الرمز وما يدل عليه في الواقع علاقة مباشرة أو قابلة لأن تدرك بشكل مباشر.<sup>(3)</sup>

(1) - يوسف وغليسي، المرجع السابق، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص 244 - 245.

(2) - عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، د ط، 2007، ص 158.

(3) - مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 1، بيروت لبنان، 2010، ص 67.

ولو نظرنا إلى اللغة عند "دي سوسير" نجدها تتكون من علامات أو رموز، ولهذه الرموز جانبان متصلان غير منفصلين، هما:

1- جانب خارجي صوتي أو كتابي، وهذا هو الجانب التعبيري في الرمز أو العلامة.

2- جانب داخلي أو معنوي، وهو التصور الذهني عند المتكلم والسامع.

هكذا يتضمن الرمز اللغوي شيئين: الصورة الصوتية أو السمعية IMAGE، والتصور الذهني Concept، وقد سماهما (دي سوسير) أيضا Signifiant، ويرتبط هذان الجانبان ببعضهما؛ فلا يمكن فصل أحدهما عن الآخر كما لا يمكن تصور وجود Signifié جانب دون الثاني، ويشبههما دي سوسير بجناحي الصحيفة.<sup>(1)</sup>

#### 4- مصطلحا (Signification)/(Sémantique):

المصطلح	المكافئ العربي
Signification	- الدلالة.
Sémantique	- المعنى.

لقد أطلق على هذا المصطلح أسماء متعددة أشهرها في اللغة الإنجليزية كلمة (Semantics)، أما في اللغة العربية فبعضهم يسميه "علم الدلالة" - بفتح الدال وكسرهما-، وبعضهم يسميه "علم المعنى" دون تسميته بالجمع (علم المعاني) الذي هو فرع من فروع علم البلاغة، والبعض يسميه "السيمانتيك" نسبة إلى الكلمة

(1) - محمد جاد الرب، علم اللغة، نشأته وتطوره، ط1، دار المعارف للنشر والتوزيع، 1988، ص100.

الانجليزية أو الفرنسية، ويعرفه البعض بأنه: «ذلك الفرع من العلم الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى»، فالدلالة في تعريفها الاصطلاحي العام: «علم مستقل يعد فرعاً من فروع اللغة، يهتم بدراسة دلالات الرموز اللغوية وأنظمتها، ويسمى "علم الدلالة" أو "علم المعنى"». (1)

إنّ الـ "Semantics" يدرس المعاني ومشكلاتها سواء كان مقصوداً على دراسة معاني الألفاظ المفردة، أم دراسة معاني المفردات والجمل والعبارات. (2)

وجاء المصطلح مفرداً ومؤنثاً، ويحيل في الدراسات اللسانية على "المعنى" الناتج عن استعمال النظام اللساني.

« Le «sens» résultant de la mise en oeuvre du système linguistique». (3)

يدرس "علم الدلالة" الطبيعة الرمزية للغة، ويحلل الدلالة من حيث علاقتها بالبنية اللغوية وتطور الدلالة وتنوعها، والعلاقات الدلالية بين الكلمات، وله عدة فروع. (4) وتعد الدلالة أحد المكونات اللسانية الأساسية (إلى جانب التركيب والصرفاء...)، وتهتم بدراسة المعنى (5) ولهذا عُرِفَ بأنه: «علم دراسة المعنى». (1) فالموضوع

(1) - ينظر: ميشال عازار مخايل، اهتمامات علم الدلالة في النظرية والتطبيق، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ط1، 2012، ص19.

(2) - عبده الراجحي، المرجع السابق، ص20.

(3) - Jean Dubois, Dictionnaire de la linguistique, Larousse, Paris, 2001, p433.

(4) - نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ص124.

(5) - ماري آن بافو وجورج إلبا سرفاتي، النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، ص408.

الأساسي لهذا العلم هو المعنى، ولا ينكر أحد قيمة المعنى بالنسبة إلى اللغة حتى قال بعضهم: «إنه بغير المعنى

لا يمكن أن تكون هناك لغة»، وعرف بعضهم اللغة بأنها: «معنى موضوع في صوت». (2)

لقد عُدَّت قضية الدلالة من أقدم قضايا الفكر، أسهم فيها فلاسفة ولغويون وأصوليون وبلاغيون من أجناس مختلفة، وكان للعرب فضل السبق في هذا النوع من الدراسات؛ فمعظم الأعمال اللغوية المبكرة عند العرب تعد من مباحث الدلالة، مثل: تسجيل معاني الغريب في القرآن الكريم، والحديث عن مجاز القرآن، والتأليف في الوجوه والنظائر في القرآن، وإنتاج المعاجم. وحتى ضبط المصحف بالشكل يعد في حقيقته عملاً دلاليًا؛ لأن تغيير الضبط يؤدي إلى تغيير المعنى، وجاء هذا العلم عند الأصوليين «كون الشيء لحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول، وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص»، أما اللغويون فيعرفون الدلالة اللفظية بأنها «كون اللفظ متى أطلق وأحس أو تخيل فهم منه معناه للعلم بوضعه». (3)

إنَّها نظرة جمعت بين الدال والمدلول نلمسها ضمن الطرح السوسيري؛ إذ يشير مصطلح الدلالة عنده إلى علاقة دال العلامة بمدلولها، فهو العلم الذي يدرس معاني الرموز اللغوية وفق سياقاتها، واعتمادا عليه يمكن توزيع المفردات ومعانيها وفق حقول تحقق الترابط بين الكلمات ودلالاتها؛ فهو معين على فهم العلاقة بين الدوال ومدلولاتها. ويستعمل هذا المصطلح عادة في مقابل مصطلح المعنى وقد يأتي أحيانا مكافئا له، وفي هذا

(1) - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998م، ص 11.

(2) - حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ص76.

(3) - محمد الهادي بوطان وآخرون، المصطلحات اللسانية والبلاغية والأسلوبية والشعرية، انطلاقا من التراث العربي ومن

الدراسات الحديثة، دار الكتاب الحديث، درارية- الجزائر، 2010، ص5.

الصدد قد يستحيل طرح تعريف عام ومجمل، ويكفي أن ننبه لضرورة مراعاة الإطار النظري الذي نجده فيه

وتفادي الخلط المحتمل بين "المعنى" و"الدلالة" من جهة، وبين "الدلالة" و"الإحالة" من جهة أخرى.<sup>(1)</sup>

لكن هذا المعنى لا يعطي الوظيفة الحقيقية لعلم الدلالة، فالمعجم يهتم بالمعنى والبلاغة تهتم بالمعنى، ولهذا فإن الأنسب أن نصيغ تعريفًا يتفق مع الوظيفة الحقيقية لهذا العلم، فنقول: «وهذه التباينات في هذا الحقل جعلت الدراسات اللسانية الحديثة تشهد انتشار مجموعة من المصطلحات ذات الصبغة الدلالية، خاصة بعد النصف الثاني من القرن التاسع عشر حيث شهدت الدراسات الدلالية فيه منعطفًا جديدًا، إذ وضعت البحوث الدلالية في إطار معرفي محدد المعالم مما جعلها علما قائما بذاته. لتتعدد تعاريف الدلالة بتعدد الاختصاصات وزوايا الاهتمام.

ظهر مصطلح (علم الدلالة) في العصر الحديث أول مرة سنة 1883 في بحث اللغوي الفرنسي (بريال) (Bryal)، اهتم فيه بدلالات الكلمات في لغات الفصيحة الهندية الأوروبية. وقد شاع هذا المصطلح باسم "السيمانتيك"؛ ليعبر عن فرع من علم اللغة العام يعنى بدراسة المعنى هو (علم الدلالات)؛ ليقابل علم (الصوتيات) الذي يعنى بدراسة الأصوات اللغوية؛ ليصبح بعدها المستوى الدلالي علمًا قائمًا بذاته، ويعد هذا العلم من أهم الدراسات اللسانية التطبيقية، وذلك لما يعطيه للغة الإنسانية من حيوية ترتبط بالإنسان وبفهم الوجود والكون.<sup>(2)</sup>

(1) - ماري نوال غاري بريور، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ص 98.

(2) - حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ص 76.

وعلم الدلالة علم فسيح الأرجاء متداخل الأجزاء متسع العلاقات مع المستويات اللغوية الأخرى الصوتية والبنائية والتركيبية، زيادة على علاقاته بعلوم ومعارف إنسانية كثيرة، كالفلسفة والفقه وعلم الكلام والتاريخ والجغرافية وعلم الاجتماع...، وغيرها من العلوم التي يبدو بعضها شديدة الاشتباك به.<sup>(1)</sup>

يعد هذا العلم قطاع من قطاعات الدرس اللساني الحديث شأنه في ذلك شأن الأصوات والتركيب، فمجال هذا العلم دراسة المعنى اللغوي على صعيدي المفردات والتراكيب، وإن كان المفهوم السائد هو اقتصار علم الدلالة على دراسة المفردات وما يتعلق بها من مسائل.<sup>(2)</sup>

وهو ما جعل كثير من الدارسين قديما وحديثا يتفقون على عدّ "علم الدلالة" (Semantics) بؤرة التفكير اللساني الحديث، ومركز الوصول في تحليل ظاهرة اللغة ووصف آلية عملها في التواصل، فحتى الأنظار البنيوية الشكلية رأت أنه لا يمكن عزل المعنى عن الدراسة العلمية للسان إلا بالقدر الذي تتوفر فيه الأدوات لاستكمال وصفه، ولعل وصفه يتحقق بوصف الشكل الذي يرتبط به.

وبالرغم من اختلاف رؤى اللغويين وغيرهم من العلماء المهتمين بالمعنى؛ فقد اتفقت نظراتهم حول أهمية دراسة المعنى، وتحليل جوانب تشكله وتطوره وتغيره عن الألفاظ التي تحمله في السياقات التواصلية المختلفة، بينما اختلفت أدواتهم ومناهجهم؛ فظهرت نظريات دلالية مختلفة في الفكر اللساني الحديث، مثل: النظرية التصورية، والنظرية الإشارية، ونظرية السمات المعجمية، ونظرية الحقول الدلالية، والنظرية السلوكية وغيرها.<sup>(3)</sup>

(1) - هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، دار الأمل للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2007، ص17.

(2) - أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص337.

(3) - نعمان عبد الحميد بوقرة، الدراسات اللسانية في المملكة العربية السعودية، ص153.

ولأن علم الدلالة مختص بدراسة المعنى الذي تدل عليه الكلمة أو العبارة أو الجملة التي تحمله بوصفه: «اللفظة التقنية المستعملة للإشارة إلى دراسة المعنى»، صار هناك منذ القديم بين (الدلالة) أو (علم الدلالة) أو (نظرية الدلالة) و(المعنى) أو (علم المعنى) تداخلاً حيناً وترادفاً حيناً آخر، وانصب الخلاف خاصة على مصطلحي (الدلالة) و(المعنى). ويتضح هذا الترادف أكثر حين يعرفون المعنى أو المعاني بكونها "الصور الذهنية من حيث وضع بازائها الألفاظ".

أما المحدثون فكانوا فرقاء فمنهم من ذهب إلى القول بترادف مصطلحي: "الدلالة والمعنى"، ومنهم من رأى أنّ المعنى أوسع من الدلالة لاقتصار الأخير على اللفظة المفردة، وعدّ آخرون الأمر معكوساً فالدلالة عندهم أوسع من المعنى، وعندهم أنّ كل دلالة تتضمن معنى وليس كل معنى يتضمن دلالة فبينهما عموم وخصوص.

وعلى الرغم من أنّ مصطلح "الدلالة" عندنا أوسع وأشمل من مصطلح "المعنى"؛ إذ يدخل ضمن الدلالة الرموز اللغوية "الألفاظ" وغيرها من أدوات الاتصال، كالإشارات والرموز (Semiology) والعلامات (Semiotics)، إلا أنّ هذه الفروق بينها هي ما يهتم به دارسو الدلالة وواضعو المناهج.<sup>(1)</sup>

وقد اقترح المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات مقابلة مصطلح "Semantics" الأجنبي بعبارة "علم المعاني" عوض "علم الدلالة"، ووضح أن عبارة علم المعاني تحيل في الثقافة العربية لعلم المعاني كريف للبيان والبديع. وقد نتج عن مقابلة معنى *Sémantique* نوع من التناسق والانسجام في صوغ عبارات اصطلاحية أخرى تنتمي لنفس الحقل المفهومي، غير أن عبارات أخرى كشفت عن النقص في هذا الاختيار،

(1) - هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ص 17.

ويتعلق الأمر بالمداخل *Sémantique Triangle* التي قوبلت بـ "المثلث الدلالي للمعنى"، و"علم المعاني العام" الذي أُرِدَف بعلم دلالة المعاني، و *Sémantique linguistique* الذي قوبل بعلم المعاني اللغوي.<sup>(1)</sup>

إن مثل هذا الصوغ لا ينسجم والدقة المتوخاة في معجم متخصص، فلماذا تم استدعاء الدلالة مجدداً عندما اقترح المعجم عبارات مثل "نظرية الحقول الدلالية"، و"حقل دلالي"، و"ثنائي الدلالة"، و"نظرية ثنائية الدلالة"، و"أحادية الدلالة"، و"مجال صرفي دلالي"، و"تطور شبه دلالي"، و"تحول دلالي؟ ففي هذه المداخل كان بالإمكان استعمال لفظة "معنى"، مما يبيّن بوضوح أن مقابلة "Sémantique" بالدلالة هي أكثر ألفة وشيوعاً وانسجاماً من حيث صوغ المصطلح اشتقاقاً ونسبة، وهذا هو الأساس في وضع المصطلح العلمي.<sup>(2)</sup>

وكثيراً ما يتفق المترجمون الواضعون للمعنى العام الذي يفيد المصطلح؛ فيلجؤون إلى الجذر الذي يتضمن الدلالة العامة. ولكن المصطلحات تختلف بعد ذلك في البنية التي توضع عليها هذه المصطلحات.<sup>(3)</sup> ومن الأمثلة على ذلك ما اختاره المترجمون في مقابل المصطلح الأجنبي (Signifiante)؛ فيختار له (المسدي)

(1) - ينظر: مصطفى غلفان، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، أي مصطلحات لأي لسانيات، مجلة اللسان العربي، ع46، 1998، ص7.

(2) - المرجع نفسه، ص7-8.

(3) - مصطفى طاهر الحيادة، "من قضايا المصطلح اللغوي العربي" ك2، ط1، اريد الأردن، عالم الكتب الحديث، 2003، ص49-50.

في قاموس اللسانيات (إدلال)،<sup>(1)</sup> ويساويه الخولي بمصطلح (Meaning)؛ فيختار له مقابلين هما (معنى ودلالة)<sup>(2)</sup> ويساويه مكتب تنسيق التعريب في المعجم الموحد بالمصطلح الأجنبي (Signification)؛ فيختار لهما (الدلالة، المعنى، المدلول)،<sup>(3)</sup> ويترجمه آخرون ب(التدلال) الشبيهة بترجمة (سعيد علوش) (التدليل).<sup>(4)</sup> ويخرج بعضهم على هذا الجذر إلى لفظة المعنى، فيختار له بعضهم مصطلح (التمعني)، وغير هذه المقابلات كثير تراوح بين التنوع في صيغة (دلالة)، والخروج عن هذا الجذر إلى متولدات أخرى.

لقد قاد الفضول بالباحث (يوسف وغليسي) إلى معرفة المصير العربي لمصطلح (Sémantique) بعد تجريده من مقابله "علم الدلالة"، وتمحيض هذا المقابل ثانياً للسيميوتيكا، فألفى "علم المعنى" عند (عبد الكريم حي)، و"علم الدلالات" عند (سمير حجازي)، و"الدلالية" عند (المسدي)، و"علم المعاني" في المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، وهو نفس المقابل عند (مبارك مبارك)، وهذا يوحي بعدمية المقدرة على استبداله بالمصطلح المعرب الذي استعمل من طرف البعض دون الأكثر.<sup>(5)</sup>

إنّ نمو علم الدلالة الحديث وتشعب مقارباته المنهجية - كما يقول (عبد السلام المسدي) - جعله قطب الدوران في كل بحث لغوي، مما لا ينفصل عن نظرية الإدراك وفلسفة المعنى، لذلك بات علم الدلالة أوسع مجالاً من أي علم آخر يدرس المفردات أو المعجم أو المصطلح.

(1) - عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، ص 172.

(2) - محمد علي الخولي، معجم علم اللغة النظري، (عربي انجليزي و انجليزي عربي)، مكتبة لبنان، بيروت، 1983، ص 17.

(3) - المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، تونس، مكتب تنسيق التعريب، د ط، 1989، ص 7.

(4) - سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ص 172.

(5) - ينظر: يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص 235.

واستنادا إلى ما تقدم فإنّ ما يمت إلى علم صناعة المعجم (La Lexicographie)، والدراسة المعجمية (La Lexicologie)، وإلى علم المصطلح (La néologie)، والمصطلحية (La terminologie)، ينضوي جميعا تحت مصطلح علم الدلالة الحديث، وأي دراسة للغة لا بد أن تسعى إلى الوقوف على المعنى الذي هو في المآل، والنتيجة القصد من إنتاج المتكلم للسلسلة الكلامية بدءا من الأصوات وانتهاءً بالمعجم، مروراً بالبناء الصرفي وقواعد التركيب، وما يضاف إلى ذلك كله من معطيات "المقام" الاجتماعية والثقافية.<sup>(1)</sup>

إنّ خلاصة الشرح والتفسير لبيان المفارقة والمفاضلة بين المعاني والدلالات التي تتقاسم العلاقة بين الدال والمدلول باعتبارها علاقة تداع مستمرة، وإثارة متبادلة وصلت إلى أنّ العلم الذي يبحث في هذه العلاقة هو السيميولوجيا Sémiologie، سواء أكان الدال لغويا أم غير لغوي، في حين أن العلم الذي يبحث في علاقة الدال اللغوي بمدلوله هو علم الدلالة Sémantique أحدث فروع شجرة اللسانيات الحديثة La Linguistique moderne، وأكثر الفروع مواجهة للصعوبات والمشاكل خلال مساره التاريخي والعلمي إلى أن تبلورت مصطلحاته، وتعددت وتحدد مجاله، وتوضحت نظرياته.<sup>(2)</sup>

#### 5- مصطلح (Arbitraire):

المصطلح	المكافئ العربي
	اعتباطي.

(1) - أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص 337.

(2) - محمد الهادي بوطان وآخرون، المصطلحات اللسانية والبلاغية والأسلوبية والشعرية، ص 6.

تعسفي.	Arbitraire
اختياري.	
تحكمي...	

يعد فردناند دي سوسير مؤسس علم اللغة الحديث أول من أدخل هذا المصطلح في الدراسات اللغوية وجاء مذكرا مفردا، وقد استعمله في الدراسات اللسانية للدلالة على أن «الرابط الذي يجمع بين الدال والمدلول اعتباطي».

« Le lien unissant la signifiant au signifié est arbitraire ».<sup>(1)</sup>

أي أن العلاقة بين الدال والمدلول ليست طبيعية؛ بل هي علاقة تواضعية صرفة.<sup>(2)</sup> فهي تترادف عند "سوسير" العرف، فكما سبق الإشارة هي تميز العلاقة بين الدال والمدلول في العلامة؛ فالاعتباطية تعرف بعرفيتها لأنها تقوم على عرف اجتماعي لا على علاقة طبيعية، مثال: العلامة المثلثة الصفراء بنقطة في أسفلها والتي تعلن عن أسبقية المرور.<sup>(3)</sup>

إن مفهوم كلمة "الاعتباطية" عند دي سوسير يحتاج إلى توضيح، وقد شرح ذلك بقوله: «هذه الكلمة لا تعني أنه أمر اختيار الدال متروك للمتكلم كليا، (حيث سنرى أن الفرد لا يستطيع أن يغير الإشارة بعد أن تستقر هذه الإشارة في المجتمع اللغوي)، بل أعني الاعتباطية أنها لا ترتبط بدافع، أي أنها اعتباطية لأنها ليس لها

(1)- F. de Saussure, Cours de Linguistique général, ibid, p100.

(2)- ماري آن بافو وجورج إليا سرفاتي، المرجع السابق، ص 404.

(3)- سعيد علوش، المرجع السابق، ص 147.

صلة طبيعية بالمدلول».<sup>(1)</sup> فكما جاء في قاموس اللسانيات لـ"جورج موانان" (Georges Mounin): «بالنسبة لسوسير فالعلاقة بين الشكل الصوتي (الدال)، وما يحيل عليه (المدلول) ليست ضرورية أو طبيعية، وتسمى هذه الخاصية العارضة من الدليل اللساني باعتبارية الدليل، فالشكل الصوتي /FEVAL/ يدل على نوع معين من العشبيات الرباعية ليس إلا نتيجة لاصطلاح ضمني وافق عليه المتكلمون».

« Pour Saussure, la relation entre une forme phonique (signifié) n'a rien de nécessaire ou de naturel. Ce caractère contingent du signe linguistique est appelé arbitraire du signe: que la forme phonique /feval/ dénote un certain quadrupède herbivore n'est que le résultat d'une convention tacitement acceptée par les locuteurs ».<sup>(2)</sup>

لقد قوبل مصطلح "Arbitraire" المصطلح الأجنبي الواحد بمجموعة من المقابلات العربية؛ فكما ورد في قاموس "المجيب" وضعت له المقابلات التالية: اَعْتَبَاطِيّ، تَعَسُفِيّ، اسْتَيْدَادِيّ، تَحْكُمِيّ، اِحْتِيَارِيّ...<sup>(3)</sup>

(1) - علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، ط1، 1986، ص181.

(2) - Georges Mounin, Dictionnaire de Linguistique, Quadrige, Dicos Poche, Puf, 2006, p37.

(3) - أحمد العايد وعبد القادر بلعيد وهشام حسان، معجم المجيب (فرنسي، عربي)، دار اليمامة، تونس، 2007، ص60.

ورغم كل هذه المقابلات واستنادا عليها نستخلص أنّ كل من معجم "المجيب"، والترجمات العربية التي وضعها مختلف الباحثين المتخصصين في هذا المجال، مثل: (عبد الرحمن الحاج صالح) و(عبد القادر الفاسي الفهري) و(عبد السلام المسدي) و(رمزي منير البعلبكي) ومعجم الموحد... تفضل مقابلة هذا المصطلح الأجنبي بمصطلح "الاعتباطية" الذي يعتبر مصطلحا غير دقيق في اللسانيات العامة، ومع هذا فقد لعب هذا المفهوم دورا تاريخيا هاما في استقلالية اللغة واعتبارها شكلا.

### 6- مصطلح (Sémiologie):

المصطلح	المكافئ العربي
Sémiologie	- سيميائيات.
	- سيميولوجيا.
	- علم العلامات...

إنّ القول بمصطلح سيميائية ينتقل بنا إلى استعادة المفهوم الإغريقي لمصطلح "Sémeion"، علامة

مميزة (خصوصية)، أثر، قرينة، سمة مؤشرة، دليل، سمة منقوشة أو مكتوبة، بصمة، رسم مجازي.<sup>(1)</sup>

وقد حظي هذا المصطلح باهتمام كبير من لدن الدارسين، وعرف نقله إلى اللغة العربية مرادفات مختلفة ومتعددة، كما شهد استعماله ارتباكا واسعا في الأوساط العلمية العربية لتتداخل فيه السيميائية (Sémiotique) بالسيميولوجيا (Sémiologie) تداخلا مربعا في الكتابات الغربية والعربية، وهو يوحى - في أكثر الأحوال - بأحما حدان لمفهوم واحد، ويتجاهل الفروق الجوهرية اليسيرة التي تفصل هذه عن تلك.

(1) - يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، قسنطينة الجزائر، 2002، ص 131.

فها هو (تودوروف Todorov ) و(ديكرو Decro) يقدمان هذين المفهومين الأخيرين في قاموسهما الموسوعي بصيغة العطف والتخيير: «السيمائية أو (السيمولوجيا) هي علم العلامات»، وهي الصيغة التي يحتفظ بها (القاموس الموسوعي الجديد...) ل(ديكرو Decro) و(شيفر Sheffer) مع إضافة تعريفية بسيطة لا تلامس الفارق في الجوهر: «السيمائية أو(السيمولوجيا) هي دراسة العلامات والسيرورات التأويلية».<sup>(1)</sup>

إلا أنّ قاموس (جورج مونان George Monan) يميز قليلا بين المصطلحين؛ إذ يشير إلى أنّ السيمائية «معادل - بالمصادفة - للسيمولوجيا، ينتمي إلى الولايات المتحدة الأمريكية بصفة خاصة عند (شارل موريس Charles Morris) مثلا، ويستعمل أحيانا - بدقة أكبر- للدلالة على نظام من العلامات غير اللغوية كإشارات المرور».<sup>(2)</sup>

لقد بقي أمر الفصل بين مصطلحي(السيمولوجيا والسيموتيك) غامضا عند علماء الغرب وحتى العرب، مما أوقع بعض المؤلفين في إرباك وتداخل، ففضل «الأوروبيون مفردة "السيمولوجيا" التزاما منهم بالتسمية السوسيرية، أما الأمريكيون فيفضلون كلمة "السيموطيقا"، واستعملت عند الغربيين في البداية عند (جون لوك John Lock)(1632-1704) سنة 1690 حين حددها بأنها معرفة العلامات، وهو المعنى الذي كانت تدل عليه الكلمة في العصر اليوناني تقريبا "ترتيب علامات في الفكر"، أما العرب خاصة أهل المغرب العربي فقد دعوا إلى ترجمتها ب"السيمياء" محاولة منهم في تعريب المصطلح»<sup>(3)</sup>، وها هي

(1) - يوسف و غليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص 227

(2) - المرجع نفسه، ص 228.

(3) - مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، ص 65.

(كريستفا) وجماعة "تيل كيل" تعطي للدرس السيميائي امتداده الأقصى باعتباره منهجية للعلوم الإنسانية وتطبيقات سوسيو – تاريخية وأنظمة دالة.<sup>(1)</sup>

إنّ هذا التداخل والتباين هو ما جعل الدارسين يسعون للتفريق بين مصطلحي: سيميولوجيا (Semiology) ويسمونها علم العلامات، والسيميوتيك (Semiotic) ويسمونها العلامية؛ فيعرفون الأول بأنه العلم الذي يبحث في الإشارات والأنظمة الإشارية عامة ويذهبون إلى أن الثاني يبحث في دلائل نظام إشاري معين. وارتأى (بيرس Pierce) أن المصطلحين "Sémiologie" و" Sémiotique" يعنيان "السيمياء"، والكلمتان تغطيان المضمار نفسه؛ فالأوروبيون يسلمون بالتسمية الأولى بينما يتمسك الأنكلوسكسونيون بالثانية.<sup>(2)</sup>

وعادة ما يستعمل مصطلح السيميائية (sémiotique) بوصفه مصطلحا مستمدا من تقاليد الفكر الأمريكي بدلا عن مصطلح السيميولوجيا (sémiologie)، وفي هذا الصدد كثيرا ما يصر البعض على الفصل بين المصطلحين، إذ ينبغي الانتباه إلى السياق الذي يرد فيه المصطلحين.<sup>(3)</sup>

وهذا ما يؤكد (يوسف وغيلسي) في محاولة منه لتوضيح الفرق بين المصطلحين؛ إذ يقول: «السيميائية معطى ثقافي أمريكي أساسا يحيل على مفاهيم فلسفية شاملة وعلامات غير لغوية، بينما السيميولوجيا معطى ثقافي أوروبي هو أدنى إلى العلامات اللغوية والمجال الألسني عموما منه إلى أي مجال آخر، فكأن الأولى أعتق تاريخا وأوسع موضوعا من الثانية فضلا على تباينهما في مجال جغرافية التداول... على أن علماء العلامات –

(1) – سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ص 118.

(2) – يوسف وغيلسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص 228.

(3) – ماري نوال غاري بريور، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ص 95.

في مجملهم كثيرا ما يرادفون بين المصطلحين، ويتساهلون في استبدال أحدهما بالآخر، ولا يتقيدون بما بينهما من فروق». (1)

### أ- مصطلح السيميولوجيا "La Sémiologie":

إنّ لكل مصطلح خلفيات معرفية حري بالباحث العودة إليها لإكتناه أبعاده الدلالية، والتزود على ضوءها بما يساعد على فك حمولته الفكرية، ومرادوته عبرها ليبوح بأكثر مما تحمله الدلالة الحرفية للمصطلح، وتقديم أي فكرة نظرية وضمنان استمراريتها لا يتم إلا بالارتكاز على هذه الخلفيات والظروف التي انصهرت فيها وأخرجتها للوجود، لتحديد أهدافها في ضوء نموها الجذري وتأصلها فيه «فأشد النظريات علمية لا يمكن أن تسلم من وجود بصمات إيديولوجية تحكم بناءها ومقاصدها وغاياتها». (2)

يرى الكثيرون أنّ الفضل الأول في الانتشار المعاصر لهذه الدراسة في الساحة الأوروبية وغيرها يعود إلى العالم اللغوي السويسري الفرنسي اللسان **فرديناند دي سوسير** (Ferdinand de Saussure) الذي تطلع إلى ضرورة إيجاد علم أطلق عليه اسم السيميولوجيا (La Sémiologie) في كتابه "دروس في الألسنية العامة"، ونبه إلى أنه العلم الذي يدرس حياة العلامات ضمن الحياة الاجتماعية، ويعنى بالبحث في إوالات تشكل العلامة وفي القوانين التي تحكمها داخل الحياة الاجتماعية، حيث يقول: «يمكننا أن نتصور علما يدرس حياة العلامات داخل المجتمع سيشكل جزءا من علم النفس، وبالتالي من علم النفس العام سنسميه السيميولوجيا (من الكلمة اليونانية sémeion أي إشارة)». (3)

(1) - يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص 228.

(2) - سعيد بن كراد، مدخل إلى السيميائيات السردية، ط 2، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2002، ص 06.

(3) - ينظر: مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، ص 62.

وقد اعتبر سوسير «أنّ اللسانيات بوصفها دراسة علمية للغة ليست سوى جزء من السيميولوجيا باعتبارها دراسة العلامات والرموز بصفة عامة، وما اللسانيات إلا فرع من فروع هذا العلم العام، وبالتالي فإن القوانين العلمية التي ستكشف عنها السيميولوجيا ستطلق أيضا على اللسانيات؛ فيكون بذلك لللسانيات مكانها المحدد والواضح في حقل المعرفة البشرية».<sup>(1)</sup> وهو ما جعل اللسانيات تعد طيلة الحقب البنوية (منتصف القرن 20م) الأنموذج الذي انبنت حوله السيميائيات، طالما أنه يسهل التعرف إلى العلامات اللسانية ووصفها خلافا لتلك التي تنتمي إلى أنماط أخرى.<sup>(2)</sup>

لقد جاء اهتمام سوسير بالسيميولوجيا من دراسته اللسانية القائمة على مفاهيم محددة، وهي تلك المفاهيم التي تتعلق بالأنساق الدالة من قبيل: اللسان والكلام والبدال والمدلول والإعتباطية والتوزيع والاستبدال...، وهي المفاهيم ذاتها التي استند عليها في تصوره للسيميولوجيا كعلم يضطلع بدراسة العلامة غير اللسانية التي تخلت عن وظيفتها الأصلية لتكون حاملا ماديا لدلالات هي وليدة الممارسة الإنسانية وثقافة المجتمع، ويرى أن القوانين التي ستكتشفها السيميولوجيا ومن بينها مبدأ المحايثة هي قوانين تنطبق في مجال السيميولوجيا، ذلك لأن المسألة اللسانية هي أولا وإلى أقصى الحدود مسألة سيميولوجية في الأساس.<sup>(3)</sup>

وقد عرّف هذا العلم في تصوره بوصفه يمثل "علما للعلامات" ما يقود إلى اعتبار اللسانيات بوصفها فرع من السيميائيات وأنها جزء منه، حيث تؤلف علامات اللسان جزءا من اهتماماتها، فالسيميولوجيا حركة

(1) - مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، ص 62.

(2) - عبد الحميد مصطفى السيد، دراسات في اللسانيات العربية، ص 95.

(3) - ينظر: مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، ص 62 وينظر: عبد الحميد مصطفى السيد، دراسات في اللسانيات

العربية، ص 95.

أو صوت أو صورة..، وهو أوسع من علم اللغة ولكنه جزء من علم الاجتماع، وهو يهتم بدراسة الإشارات والعلامات من حيث كنهها وطبيعتها، ويسعى إلى الكشف عن القوانين المادية والنفسية التي تحكمها وتتيح إمكانية تفصلها داخل التراكيب. ومن يحاول أن يكتشف الطبيعة الحقيقية للمنظومات اللغوية عليه أن ينظر أولاً في القواسم المشتركة بين المنظومات والمنظومات النسقية التي تنتمي إلى ذات النوع، مما يلقي ذلك الضوء على اللسانيات وغيرها.<sup>(1)</sup>

ومن خلاصة ما قاله **دي سوسير** عن "السيمولوجيا":

- إن هذا العلم سيكون جزءاً من علم النفس الاجتماعي، وسيكون تبعاً لهذا جزءاً من علم النفس العام.

- هذا العلم سيعرفنا بالعناصر التي تتكون منها "العلامات" والقوانين التي تحكمها. ولما كان ذلك العلم لم يوجد بعد فلا نستطيع أن نقول كيف سيكون، ولكنه علم له الحق في الوجود. وما "علم اللغة" إلا جزء من ذلك العلم الأعم وهو (السيمولوجيا)، وإن "القوانين" التي ستكتشف عنها السيمولوجيا ستصدق على علم اللغة، وسيكون علم اللغة في هذا الحال موصولاً بميدان واضح التحديد في مجموع الظواهر الإنسانية. وقال **دي سوسير**: «إن تحديد الوضع الحق للسيمولوجيا يقع على عاتق عالم النفس. أما واجب عالم اللغة بالنسبة إلى هذا العالم فهو أن يحدد ما يجعل من اللغة نظاماً خاصاً في مجموعة الظواهر السيمولوجية».<sup>(2)</sup>

(1) - ينظر: عبد الحميد مصطفى السيد، دراسات في اللسانيات العربية، ص 95.

(2) - محمود السعران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، دار النهضة العربية، بيروت، د ت، ص 66.

وهو الآخر (رولان بارت **R. Barthes**) استعمل "السيمولوجيا" لتشمل تحليل أحداث الدلالات الاجتماعية والإيديولوجية في الميثولوجيا، وهي جزء يتكفل بالوحدات الدلالية الكبرى للخطاب. وقد عكس العلاقة التي أشار إليها "سوسير" بين اللسانيات والسيمولوجيا، معتبرا أن السيمولوجيا جزء من اللسانيات لأن كل نظام تواصل غير لغوي لا يمكنه أن يكون إلا لغة **Langage**. وعلى هذا الأساس فإن المطبخ والأزياء والإشهار والسينما أنظمة لا يمكن التعبير عن طبيعتها السيمولوجية إلا بواسطة اللغة. يقول (رولان بارت): «من المؤكد أن الأشياء والصور والسلوكيات يمكنها أن تدل على (شيء ما) وهذا ما تفعله بكثرة، ولكن ليس ذلك أبدا بشكل مستقل. إن كل نسق سيمولوجي يمتزج باللغة؛ فالعديد من الأنظمة السيمولوجية لا يمكنها أن ترقى إلى مستوى الأنساق مرورا باللسان، ومن الصعب أن نتصور نظاما من الصور أو الأشياء يمكن مدلولاتها أن توجد خارج اللغة. يجب أن نتقبل منذ الآن إمكانية عكس اقتراح **سوسير** يوما ما: إن اللسانيات ليست جزءا ولو كان متميزا لعلم العلامات العام. إن السيمولوجيا هي الجزء من اللسانيات الذي يتكفل بالوحدات الكبرى الدالة في الخطاب».<sup>(1)</sup>

### ب- مصطلح السيميائية "sémiotique":

لقد ظهر مصطلح السيميائية "sémiotique" لأول مرة سنة 1952م في مجال الطب العلاجي أو الطب النفسي، وهو دراسة علامات المرضى وأعراضهم الجسدية ومازال إلى يومنا هذا يدرس في مجال الطب، أما في مجال اللسانيات الحديثة عند الغربيين فقد ظهر مع (**F. De saussure**)، وقد حققت السيميائية استقلاليتها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وذلك بفضل دراسات الفيلسوف الأمريكي (شارل

(1) - مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، ص 62.

ساندرس بيرس (1914-1939) لأنه حاول أن يكون الأول في تكوين علم مستقل خاص بهذا المنهج، ثم تبلورت النظرية السيميائية مع بداية الستينات وذلك من خلال الدرس الذي ألقاه العالم اللساني الفرنسي (غريماس)...<sup>(1)</sup>

وقد أشار (جون دييوا) في قاموس اللسانيات إلى أن أول من استعمل مصطلح السيميائية من خلال إعادة إحيائه هو الفيلسوف والرياضي الأمريكي (تشارلز ساندرز بيرس C.S.Peirce) (1874-1914) الذي أطلق مصطلح سيميائية Semiotic على "علم العلامات"، وعرفها بأنها نظرية للعلامات أو النظرية العامة للتمثيل، وهي في عرّفه «علم العلامات الذي يدرس مختلف خصائص العلامات التي يستعملها وينتجها العقل الإنساني عبر مسيرته العلمية».<sup>(2)</sup>

ويصرح هذا الأخير: «إن المنطق في معناه العام ليس إلا اسماً للسيميائية، وهي التعاليم شبه الضرورية أو الصورية للعلامات، وبالتالي فإن التسمية الإنجليزية Semiotic هي مقابل اللفظ الفرنسي Sémiologie الذي وضعه (سوسير)، وليس المنطق بمفهومه العام عند (بيرس) إلا اسماً آخر للسيميوطيقا، إنها نظرية شبه ضرورية أو نظرية شكلية للعلامات تقوم عنده برصد طبيعة العلامات بكيفية مجردة وعامة».<sup>(3)</sup>

إنّ مصطلح السيميائية يتقاسمه في اللغة الإنجليزية تعبيران أحدهما (Semiology) الذي استخدمه (فرديناند دوسوسور) في كتابه دروس في الألسنية العامة، والآخر هو (Semiotics) الذي جاء به

(1) - نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ص 120.

(2) - ينظر: مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، ص 65 وينظر: نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ص 120.

(3) - مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، ص 65.

الفيلسوف الأميركي (شارل بيرس)، والخطوة الأولى التي قام بها بعض المترجمين تتمثل في التعريب الصوتي للمصطلحين؛ فوجدنا مصطلح: السيميولوجية و"السيميائية" و"السيميوطيقا" والسيميوتيك و"السيمية" ... إلا أن عملية الترجمة اللاحقة أضافت مقابلات جديدة منها: "علم الإشارات"، "الإشارتية"، "علم العلامات" العلاماتية، "علم الأدلة" و"الدلائلية" و"الرمزية" وسواها...<sup>(1)</sup>

وربما لنفس التعدد انحاز أتباع الاتجاه السويسري إلى تسمية هذا العلم بهذه التسمية (السيميولوجيا)، بينما أخذ مريدي (شارل ساندرس بيرس) بتسمية السيميوطيقا لتلتقي سيميائيات (سوسير وبيرس) في مبدأين أساسيين هما:

- ليس هناك فكر بدون علامات، أي بدون مساعدة العلامات اللسانية التي تقوم بنقل هذا الفكر، وبدون العلامات لن يكون بمقدورنا أن نميز بين فكرتين بكيفية واضحة وثابتة.
- القول بأن ليس في اللغة إلا الاختلاف *Différence*؛ فالعلامة القائمة بنفسها أو المستقلة بنفسها غير موجودة، وإنما هي موجودة بالقياس على غيرها مما يوجد معها، وهذا المبدأ يمكن أن

يطلق عليه مبدأ النفعية *Pragmatisme*.<sup>(2)</sup>

أما في الحقل العربي فيعرف نقل مصطلح (*Sémiotique*) إلى اللغة العربية في الأوساط السيميائية العربية اختلافات عديدة بين النقاد، حيث نجد يتأرجح بين: الإشارية والسيميوتيك، والسيميوتيكية،

<sup>(1)</sup> - ينظر: يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص 228 وينظر: إبراهيم صلاح السيد المهدهد، تعريب المصطلحات البلاغية والنقدية، مشكلات التواصل ووآد الانتماء، د ط، د ت، ص 21.

<sup>(2)</sup> - مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، ص 65.

والسيمولوجيا، والسيموطيقا و السيمائية وجمعها السيماتيات والسيمائية والسيمائيات؛ ليتوضح من خلال

هذا التباين الاصطلاحي الذي يعيشه مصطلح "Sémiotique".<sup>(1)</sup>

تعددت المرادفات الدالة على هذا المصطلح من باحث لآخر رغم وجود المصطلح المتفق عليه من قبل الجامع اللغوية ومكتب تنسيق التعريب، فتراوحت غالبا وحسب ما قدمنا بين سيمياء وعلم السيمياء، وقد تم ورودها في القرآن الكريم وبأشكال مختلفة، ومصطلح "علم السيمياء" هو من المصطلحات المتداولة لدى أغلب الباحثين واللغويين في الوطن العربي، ولقد اقترنت "السيمياء" بـ "علم" لتضمنها مصطلح "علم"، وهذا راجع لاصطباغ الدرس السيميائي بالصبغة العلمية التي تقوم على دراسة الأنظمة السيميائية بما فيها الأدبية، ومع ذلك يبقى مصطلح السيمياء والسيمائيات الأنسب لـ "Sémiotique"؛ لأنّ مصطلح السيمياء قريب إلى الشجرة المعجمية، وبزيادة الألف والتاء في نهاية السيماتيات أضفت عليه نوعا من التوسع والاستمرارية.

كما يقول (عمار ساسي): «الألف والتاء يفيدان التوسع والتفتح المستمر في ذات العلوم». <sup>(2)</sup>

كما قدّم هو الآخر (يوسف وغليسي) مبحثا كاملا في كتابه للحديث عن إشكالية مصطلح "سيمائيات"، فعمل على تتبع الخلط الواقع في استعمال المصطلح عند الغرب، ثم الارتباك الاصطلاحي الحاصل في النقد العربي المعاصر، حيث أحصى الباحث أكثر من ستة وثلاثون مصطلحا كمقابلات عربية لمصطلحي "سيمائية و سيمولوجية". هذه رؤية (وغليسي) حول مصطلح "سيمائيات"، فقد جمع بين

<sup>(1)</sup> - ينظر: مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، ص 65. وينظر: عمار ساسي، المصطلح في اللسان العربي من آلية الفهم إلى أداة الصناعة، ص 139.

<sup>(2)</sup> - عمار ساسي، المصطلح في اللسان العربي من آلية الفهم إلى أداة الصناعة، ص 139.

مصطلحي "سيمائية" و"سيمولوجية" ليوضح لنا الارتباك الاصطلاحي العربي وقد اعتمد الباحث مصطلح "السيمائية"<sup>(1)</sup>.

وهما الآخران (عبد السلام المسدي) و(عبد الملك مرتاض) ناقشا هذا الاختلاف، ورأى هذا الأخير أنّ مصطلح (Sémiologie) عانى اضطراباً وإشكالية في المفهوم وأنّ الاختلاف في ترجمته يعود إلى جذوره في اللغة العربية، وإلى أصوله النظرية الغربية قصد تيسير استعماله لدى الباحثين والنقاد في دراساتهم النقدية، ذلك أن مصطلح (السيمائية) عرف اختلافاً في تحديده عند اللغويين العرب المعاصرين، لأن هذا اللفظ (السيمائية) كان طويلاً إلى درجة أنه لا يوجد من أصله إلا ثلاثة أمثلة في اللغة العربية، هي: السيمياء والكيمياء والفيزياء.<sup>(2)</sup>

وفصل (رشيد بن مالك) بين مصطلحي "سيمولوجيا" و"سيمائية" ويعالج كلّ منهما على حدة، فيبدأ في البداية بعرض مبسط لكلمة "سيمائية" في اللغة الإنجليزية والفرنسية والعربية مستعينا بالمعجم السيمائية الأجنبية، منها معجم "روبير" ومعجم "غريماس" و"كورتيس"، ومصطلح "السيمائية" عنده كلمة في اللغة الإنجليزية تكتب بهذا الشكل *Sémantiques* فهي تماثل صورتها في اللغة الفرنسية من حيث الأصل وتخالفها في اللاحقة، ويقابل الكلمة الإنجليزية عربياً في مقدمة ابن خلدون بـ "علم السيمياء"، ويندرج ضمنه

(1) - يوسف وغيلسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص 227-241.

(2) - المجلس الأعلى للغة العربية، أهمية الترجمة وشروط إحيائها، ص 230.

"علم أسرار الحروف" ويغوص "بن مالك" بعد التعريف بالسيمائية في الحديث أكثر عن موضوعها نموذجها ونظريتها من وجهة نظر غريبة محضة.<sup>(1)</sup>

ويحصر لنا (عادل فاخوري) ما يقرب من ستة أصوات دالة للمصطلح في "السيمياء والسيمية والسيمائية والسيميوطيقا والسميولوجيا والرموزية"، ثم يستقر الأمر لديه على الدال "السيمياء" وعلى التعددية ذاتها، ويؤكد (معجب الزهراني) على وجود أكثر من ثمانية دوال لـ "Semiotic" ويورد ترجمة غريبة لأحدهم ب (الأعراضية).<sup>(2)</sup>

ويبلغ عجب المرء مداه حين يرى أن كتابا في السيمياء وهو المصطلح الذي نفضله ترجمة للمصطلح الفرنسي "Semiologie" ترجم عام (1984م) لمؤلفه (بيار جيرو) (Pierre Guiraud) بعنوان: "السيمياء"، لكن مترجما آخرًا— وهو (منذر عياشي)— تصدى لترجمة الكتاب مجددا مع أنه لا يحتاج إلى ترجمة جديدة؛ فالترجمة الأولى جيدة ونشره بعنوان: "علم الإشارة والسيمولوجيا" لـ (بيير جيرو)، وللقارئ أن يلاحظ الفروق في العناوين فقط (فالسيمياء) المصطلح العربي ذو الكلمة الواحدة صار أو عاد (سيمولوجيا وعلم الإشارة).<sup>(3)</sup>

لعل تعدد المصطلحات التي تحيل عليها لفظة "السيمياء" هو ما نتج عنه تعدد مذاهب المدارس والباحثين في هذا العلم، تبعا للمصطلح الذي يتبناه كل واحد منهم ويوظفه في حقل السيمياء، كما يدل هذا

(1) - رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، ص 174 - 185.

(2) - خالد البلتاجي، آليات التشكيل وسميائيات التأويل، نشر المؤلف بمصر، 2010، ص 10.

(3) - أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، ص 55.

على تحبب المصطلح العربي في أحوال الترجمة غير الدقيقة، وما يفرزه تأثير الثقافات الغربية في عقلية الباحث والدارس في مجتمعاتنا النامية فالمغلوب مولع بإتباع الغالب.

لا يخفى على متتبع مسار المصطلح اللساني غنى المشهد اللساني المعاصر سواء من حيث العلوم التي انبثقت عنه تباعاً منذ ظهور كتاب "محاضرات في علم اللغة"، أو التي ظهرت مع تقدم العلم، حيث توالى الدراسات المتخصصة من فونولوجيا *phonologie*، وتركيب *syntaxe*، وصرافة *morphologie*، ودلالة *sémantique*، وتداولية *pragmatique*، وغيرها من التخصصات التي أثرت اللسانيات ومكنت من تحليل وتتبع المادة الألسنية بشكل دقيق.

وما ذكر من نماذج مصطلحية لسانية ما هو إلا عينة من المصطلحات التي عرفت تبايناً كبيراً في وضع مقابلها واستعمالها، فكل باحث إلا واستعمل المصطلح الذي يراه مناسباً من وجهة نظره الخاصة، وهذا التعدد والاختلاف في المصطلحات ما هو إلا دليل على غياب اتفاق عربي حول المصطلحات اللسانية المتداولة.

خاتمة

### خاتمة:

إنّ البحث في موضوع المصطلحات يكتسي أهمية بالغة، فالمصطلحات خدّم العلوم ومفاتيحها التي تعين على فهمها وتعيين مفهوماتها فهي تنشأ مع نشوء العلم، والاهتمام بقضية المصطلح وتحقيقه للغرض العلمي المراد وقدرته على نقل العلم الذي يحملها يَعْقُبُ نشوء البحث في ذلك العلم. لذا كان حظه من الدراسة وافرا منذ القديم سواء عند العرب أو الغرب على حدّ سواء. وأصبح علماً قائماً بذاته له منطلقاته وأصوله التي يتركز عليها كغيره من العلوم، ومن هنا قد حمل لنا في ثناياه علما كونه عاملا من عوامل نشر العلوم. ويظهر لنا هذا من خلال ما حملته لنا الثقافة الغربية من مصطلحات متعددة وهو ما جعل درجة مصطلحاتها في الكفة العليا كونها المتعامل به حاليا في الساحة اللسانية العربية، والكفة السفلى للمصطلحات العربية كونها أصبحت تابعة لا مبدعة وأصبح مجهودها لا يرقى إلا لإيجاد المقابل العربي للمصطلح الأجنبي، وهذا مما جعل عمل الأمة العربية عاملا معيقا وجعلنا نتوقف في العقبة، ومن خلال هذا التوقف وقعنا في - إشكالية المصطلح- حيث أصبح المصطلح الوافد (المترجم) مظطربا على المتلقي إذ عرف نقله في العصر الحديث وخاصة اللساني منه تعثرا كبيرا وأصبح يتصف بالتعددية والفوضى لِيُقَابَلَ المصطلح اللساني الأجنبي الواحد بأكثر من مصطلح عربي، ومما زاد في معاناة المشتغلين بالمصطلح التأخر في وضع المصطلحات العربية المكافئة للمصطلحات الأجنبية، وعدم التغطية الشاملة لهذه المصطلحات الأخيرة وبالتالي مسابرة التطور العلمي ومواكبته فالمصطلحات في تدفق مستمر، والنماذج المُقدّمة من المصطلحات اللسانية تعكس لنا التعدد المصطلحي لمصطلحات اللسانيات. والمصطلح العلمي المتخصص لا يقبل مثل هذا الترادف فشرط المصطلح الصحيح أن يكون متميزا عن غيره، لأنّ اصطدام متلقي العلم بمصطلحات عدة مترادفة يؤدي به في أغلب الأحيان إلى الاعتقاد بإحالتها إلى مفاهيم مختلفة، مع ما في ذلك من انعكاسات سلبية على المستويين التربوي

## الخاتمة

والتواصل كونهما من المشكلات التي يواجهها المصطلح اللساني العربي في المستوى الدلالي بالتحديد في العلاقة القائمة بين اللفظ والمعنى.

ورغم الجهود المبذولة في توحيد المصطلح إلا أننا مازلنا نعاني من هذه الإشكالية في اللغة العربية بالرغم من إمكانياتها وثروتها اللفظية، وهذا الاضطراب راجع إلى الجهود الفردية التي لم ترق إلى التحري العلمي الجماعي وغياب التنسيق بين مختلف الهيئات المختصة والجامع العربية المختلفة، والتي تعد الحل الوحيد لتأسيس حوار علمي تدوب على إثره كل الاختلافات التي من شأنها أن تعمق الهوة بين الباحثين، كما أنّ هذا التعدد والاختلاف في المصطلحات ما هو إلا دليل على غياب اتفاق عربي حول المصطلحات اللسانية المتداولة. ولمحاربة هذا التعدد الذي من دون شك يؤثر سلباً في اللغة العربية، يجب اللجوء إلى توحيد المصطلحات لمواجهة الفوضى المصطلحية والتشتت وبالتالي توحيد بحثنا العربية العلمية.

ولا ندعي في نهاية هذا البحث أننا فصلنا تفصيلاً في القضايا المطروحة وأننا أجبنا عن كل الإشكالات المبسطة خاصة ما ارتبط بالإشكال المحوري المتعلق بالمصطلح اللساني وضعاً واستعمالاً. وهذا العمل ما هو إلا محاولة منا لاستجلاء أهم الملاحظات المنوطة به لإثارة بعض جوانب المعضلة التي شغلت الكثير من الباحثين فهذا الموضوع معقد ومتشعب بسبب ارتباطه بعدة علوم (علم المصطلح، اللسانيات والترجمة) ولكن هذا لا يمنعنا من الخروج بجملة من النتائج توصلنا إليها بعد الدراسة والتحليل، فمن عُرف كل بحث أن يخرج بمجموعة من الاستنتاجات والملاحظات الهامة نسردها بحسب حيثيات البحث، و يمكننا حصرها في الآتي:

- إن وضع مصطلح علمي لا يتم بصفة عشوائية، وإنما وفق معايير وشروط ينبغي احترامها والتقيدها، وآليات ووسائل توليد المصطلحات العلمية ما هي إلا وسائل تساهم في وضع هذه المصطلحات وأن ما

## الخاتمة

يحقق حياة المصطلح فعلا هو الشيعوع والاستعمال وهذا ينطبق مع الشعار القائل: "لا تبحث عن الكلمة بل ابحث على مستعملها"، فالمصطلح لا يكون صناعة إلا إذا اشتركت فيه صنعة وتداول من طرف مبدعيه ومتلقيه. والتداول الفكري والمصطلحي بالأخص يجعل من المصطلح العلمي يتغذى روح مبدعيه بعسل يطيب في فم متلقيه كونه يرمى إلى المتلقين وهم الذين يتحكمون فيه. ويستحسن الإشارة إلى وجود اختيار الألفاظ المناسبة للمفاهيم المناسبة والمقصودة لأن الأمور لا تجري بصفة تعسفية بل لابد من وجود علائق تشابه بين المعاني اللغوية التي وضعت لها الكلمات للدلالة عليها وبين المعاني الاصطلاحية التي يراد تحميلها لهذه الكلمات، وبهذا المعنى يجب استعمال اللفظ المناسب للمفهوم المناسب مع مراعاة عنصر الاتفاق لدى أهل الاختصاص حتى لا يحدث للمفهوم الواحد عدة ألفاظ أو عدة مفاهيم.

- يتوفر كل حقل معرفي على مجموعة من المفاهيم والمصطلحات الخاصة به ولما كان المصطلح اللساني ينتمي إلى المنظومة الفكرية للمحيط الذي ينشأ فيه، فقد وجب أن ينفرد كل نوع معرفي بخصوصيته في مصطلحاته اللسانية ومفاهيمه التي تميزه عن غيره وتبعده من أن يختلط بسواه، ومن هنا فإن تمثل هذه المفاهيم الاصطلاحية من خلال حقولها العلمية يساعد على نمو المعرفة في ذلك الحقل وتطورها واستقرارها.

- كثرة تعدد ترجمات المصطلح الوافد تجعل الباحث يتيه في زحمة الترجمات وهذه المصطلحات الوافدة متهمة حتى تثبت براءتها ولهذا يجب الحفر في خلفياتها والإيديولوجيات التي تمخضت عنها مع ضرورة الاستفادة من التراث العربي وإعادة إرسائه برؤى فكرية حديثة.

## الخاتمة

- إنّ البحث في مجال المصطلحات عموماً والمصطلح اللساني خصوصاً استدعانا للحفر في جذوره التي كانت قد مهدت لولادته، فنجد أنّ أغلب المصطلحات المتناولة لها جذور في الدرس اللغوي العربي القديم وصولاً إلى حدائته ومعاصرتة حالياً واستطاعت أن تجعل نفسها مسافرة تحمل عناء السفر بروح فكرية. ورغم كل الارتجاجات التي صادفتها إلا أنّها بقيت صلبة في مجابهة كل المناهج والترجمات التي حاولت تشويهها.

- لا يزال الواقع العلمي العربي يعيش أزمة المصطلح اللساني العربي جراء الفوضى العارمة التي تسود العالم العربي في الترجمة والنقل إلى العربية، فقد وجد العرب أنفسهم أمام صعوبات كبيرة في تعاملهم مع المتصورات الغربية نظراً لغياب التنسيق بين المترجمين فكان من نتائجها انتشار الفوضى والاختلاف بين الباحثين وكثرة المترادفات العربية للمصطلح الواحد. فتشتت الجهود واضطربت الآراء وضعفت النتائج مقارنة بالكلم الهائل من الذي تفرزه اللسانيات الغربية مما أدى إلى تردد وتذبذب في الترجمات ولن يتم تدارك ذلك الأمر إلا بإتباع جملة من الحلول والمقترحات التي تحد من حدة هذا الوضع. ولتحقيق التقدم العلمي اللساني لابد من مسايرة التطور العالمي وما تفرزه اللسانيات الغربية. والقول بعدم وجود مصطلح علمي عربي هو أكبر عائق يعتمده الممتنعون عن استعمال اللغة العربية، فإذا كانت اللغة العربية متخلفة عن اللغات الحية في عصرنا الحالي فذلك لأنّ أهلها متخلفون فكراً واقتصادياً لذلك فالنهوض بلغة عربية علمية يستدعي استبانة الأهداف الحقة والطرائق التي تؤدي إليها في غير تشعب وضلال وهي في حاجة إلى التخطيط السليم والتنسيق الشامل والمنهج الدقيق والتنفيذ الواعي الذؤوب. وآخر الخطى أن يلتزم بها العلماء والباحثون في أعمالهم لأنّها لن تحيا دون ذلك.

## الخاتمة

---

في الأخير يمكن القول أنه ينبغي لهذا الجهد البحثي أن يكون رهين القراءة والنقد، ونرجو أن نكون قد أسهمنا ولو بقليل في ترك أثر وبصمة ولو عارضة في مجال الدراسة اللسانية، لأنّ مثل هذه الدراسة تقتضي من الباحث أن يتسلح بعمدة منهجية ومعرفية كبيرة ربما ستسعه في تذليل مضامها وصعوباتها ونعتقد أننا لم نمتلك بعد هذه الكفاءة والمراس المطلوب الذي يساعدنا في خوض غمار حقل الدراسات المصطلحية اللسانية، وعليه فإن أصبنا فمن الله وإن أخطأنا فمن النفس والشيطان، والسلام ختام.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

قائمة المصادر

والمراجع

## قائمة المصادر والمراجع

### • قائمة المصادر والمراجع:

• القرآن الكريم رواية ورش عن الإمام نافع.

• المعاجم والموسوعات:

- 1- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة للنشر والتوزيع، ط2، مصر، 1972.
- 2- ابن جني (أبو الفتح عثمان)، الخصائص، ج2، تحقيق محمد علي النجار، ط2، دار الكتب المصرية القاهرة، 1952.
- 3- أبي عبد الله محمد بن أحمد الخوارزمي، مفاتيح العلوم، تحقيق فان فلوتن، لندن، 1895.
- 4- أحمد ابن فارس، الصحابي، تحقيق عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت لبنان، ط1، 1414/1993م.
- 5- أحمد أبو حاقه وجماعة من المختصين، معجم النفاثس الكبير، ج 2، دار النفاثس، ط1، بيروت - لبنان 1428هـ - 2007م.
- 6- أحمد العايد وعبد القادر بلعيد وهشام حسان، معجم الحبيب (فرنسي، عربي)، دار اليمامة، تونس، 2007.
- 7- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج3، عالم الكتب، ط1، القاهرة، 1429هـ - 2008م.
- 8- إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ج4، دار العلم للملايين، ط4، بيروت - لبنان 1990م.
- 9- جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، شرح وضبط: محمد أحمد جاد المولى بك، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية صيدا - بيروت، ج1، 1987.

## قائمة المصادر والمراجع

- 10- سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (عرض وتقديم وترجمة)، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط1، سوشبريس الدار البيضاء، المغرب، 1985.
- 11- الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط4، دار الكتاب العربي، بيروت، 1998.
- 12- غالب المطلبي، الموسوعة الصغيرة في علم اللغة، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق بغداد، د.ت.
- 13- الكندي والفارابي والخورزمي وابن سينا والغزالي، معجم المصطلحات العلمية العربية، تصنيف وتعليق: فايز الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، دار الفكر، دمشق سوريا، ط1، 1990.
- 14- مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط2، بيروت، 1984.
- 15- محمد رشاد الحمزاوي، المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، (حوليات الجامعة التونسية)، تونس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 14، 1977.
- 16- محمد علي الخولي، معجم علم اللغة النظري، (عربي انجليزي وانجليزي عربي)، مكتبة لبنان، بيروت، 1983.
- 17- محمد علي الفاروقي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق الدكتور لطفي عبد البديع، ج1، القاهرة، 1963.
- 18- محمد الهادي بوطان وآخرون، المصطلحات اللسانية والبلاغية والأسلوبية والشعرية، انطلاقاً من التراث العربي ومن الدراسات الحديثة، دار الكتاب الحديث، درارية- الجزائر، 2010.

## قائمة المصادر والمراجع

19- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، "معجم مصطلح الرياضيات"، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1979.

20- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، مكتب تنسيق التعريب، تونس، د ط، 1989.

21- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب تنسيق التعريب: المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات (انجليزي، فرنسي، عربي) مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب، ط2، 2002.

22- الموسوعة الفلسفية، وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفيات، بإشراف، م. روزنتال وي بودين، تر: سمير كرم، مراجعة صادق جلال العظم وجورج طرابيشي، دار الطليعة، ط1-1974، ط2-1980، بيروت، 1980.

### المصادر والمراجع:

23- إبراهيم أسيكار وآخرون، تداولية المعنى في التراث اللغوي العربي، أسئلة التأصيل وآفاق التحديث، سلسلة الترجمة والمعرفة العدد 12، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، 2019.

24- إبراهيم صلاح السيد الهدهد، تغريب المصطلحات البلاغية والنقدية، مشكلات التواصل وواد الانتماء، د ط، د ت.

25- إبراهيم مذكور، بحوث وباحثون، الكتاب الأول (بحوث)، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1993.

26- أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون الجزائر، 1993.

## قائمة المصادر والمراجع

- 27- أحمد عبد الرحمان حماد، العلاقة بين اللغة والفكر، دراسة للعلاقة اللزومية بين الفكر واللغة، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة الإسكندرية، 1985.
- 28- أحمد عبد العزيز دراج، الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، 2003.
- 29- أحمد عزوز، المدارس اللسانية، أعلامها ومبادئها ومناهج تحليلها للأداء التواصلية، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران، 2005.
- 30- أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان، الرباط، ط1، 2010.
- 31- أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر آفاق معرفة متجددة، ط1، 1996 / ط3 دمشق، 2008.
- 32- أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، ط1، 1998.
- 33- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998م.
- 34- أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، دار عالم الكتب، ط8، الفصل الثاني من الباب الأول الباب 2، القاهرة، 2003.
- 35- أحمد مطلوب، بحوث لغوية، دار الفكر للنشر والتوزيع، بغداد، ط1، 1987.
- 36- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، ط2، 2005.
- 37- أحمد يوسف، القراءة النسقية سلطة البنية وهم المخايطة، الدار العربية للعلوم، ط1، 2007.

## قائمة المصادر والمراجع

- 38- الأمير مصطفى الشهابي، المصطلحات العلمية في اللغة العربية، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط2، 1988.
- 39- أنور الجندي، اللغة العربية بين حماتها وخصوصيتها، مطبعة الرسالة، بيروت، د.ت.
- 40- تمام حسان، موقف النقد العربي التراثي من دلالات ما وراء الصياغة اللغوية، ضمن كتاب قراءة جديدة لتراثنا النقدي، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ج2، 1988.
- 41- جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ردمك، ط1، 2016.
- 42- حاتم صالح الضامن، علم اللغة، طبع بمطابع التعليم العالي، بالموصل، جامعة بغداد بيت الحكمة، 1989.
- 43- حافظ اسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت لبنان، 2009.
- 44- حافظ اسماعيلي علوي، التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن، ط2، 2014.
- 45- حافظ إسماعيل علوي وآخرون، اللسان العربي وإشكالية التلقي، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة كتب المستقبل العربي، ط1، بيروت، 2007.
- 46- حافظ إسماعيلي علوي وأحمد الملاح، قضايا ابستمولوجية في اللسانيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2009.

## قائمة المصادر والمراجع

- 47- حافظ اسماعيلي علوي ووليد أحمد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، دار الأمان، ط1، الرباط، 2009.
- 48- حسن خميس الملاخ وآخرون، التداولية ظلال المفهوم وآفاقه، عالم الكتب الحديث، اربد الأردن، 2015.
- 49- حلمي خليل، مقدمة لدراسة علم اللغة، دار المعرفة الجامعية، ط1، الإسكندرية - القاهرة، 2002.
- 50- حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1971، ط2، 1980.
- 51- حنون مبارك، مدخل إلى لسانيات سوسير، دار توبقال للنشر، ط1، فاس - المغرب، 1987.
- 52- خالد الأشهب، المصطلح العربي، البنية والتمثيل، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 2011.
- 53- خالد البلتاجي، آليات التشكيل وسيميائيات التأويل، نشر المؤلف بمصر، 2010.
- 54- الحفاجي، سر الفصاحة، دار الفكر، ط1، عمان، 2006.
- 55- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ردمك، ط1، 2009.
- 56- خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، قضايا لسانية، منشورات ضفاف/ منشورات الاختلاف، دار الأمان، الرباط، ط1، 2013.
- 57- رابح بوحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة - الجزائر، 2006.

## قائمة المصادر والمراجع

- 58- رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، عربي انجليزي فرنسي، دار الحكمة، الجزائر، 2000.
- 59- رضوان الرقي، من البلاغة إلى التداولية دراسة تحليلية في البنية والتصوير، تقديم: إدريس مقبول، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، 2018.
- 60- زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، سلسلة مشكلات فلسفية، دار مصر للطباعة، د.ت.
- 61- الزواوي بغورة، المنهج البنيوي- بحث في الأصول والمبادئ والتطبيقات - دار الهدى، عين مليلة الجزائر، ط1، 2001.
- 62- زوبير دراقي، محاضرات في اللسانيات التاريخية و العامة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990.
- 63- سامية بن يامنة، تداولية سياق الحال في الفعل الكلامي، دراسة تحليلية تطبيقية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ردمك، عمان، ط1، 2019.
- 64- سعد عبد العزيز مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة، دراسات ومثاقفات، عالم الكتب، القاهرة، مصر، د ط، 2004.
- 65- سعيد بن كراد، مدخل إلى السيميائيات السردية، ط2، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2002.
- 66- السعيد بوطاجين، الترجمة والمصطلح - دراسة في إشكالية ترجمة المصطلح النقدي الجديد، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2009.
- 67- السعيد شنوكة، مدخل إلى المدارس اللسانية، المكتبة الأزهرية للتراث، الجزيرة للنشر والتوزيع، ط1، دار السلام الحديثة، القاهرة، 2008.

## قائمة المصادر والمراجع

- 68- سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط ، مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 2005.
- 69- سميح أبو مغلي، تعريب الألفاظ والمصطلحات وأثره في اللغة والأدب، دار البداية، عمان المملكة الأردنية الهاشمية، ط1، 2012.
- 70- سمير شريف استيتية، اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، ط1، اربد عمان، جدار للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، 2005 ، ط2، 2008.
- 71- الشاهد البوشيخي، مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، دار الأفاق الجديدة، ط2 ، بيروت لبنان، 1990.
- 72- الشاهد البوشيخي، نظرات في المصطلح والمنهج، مطبعة أنفوبرينت، ط1، 2002.
- 73- شرف الدين الراجحي، مبادئ علم اللسانيات الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د. ط. د ت.
- 74- شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت لبنان، 2004.
- 75- شوقي ضيف، مجمع اللغة العربية في خمسين عاما، 1934-1984، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، ط1، 1984.
- 76- صافية زفندي، المناهج المصطلحية مشكلاتها التطبيقية ونهج معالجتها، منشورات وزارة الثقافة، الهيئة السورية للكتاب، 2010.
- 77- الصالح صبحي، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط16، 2004.

## قائمة المصادر والمراجع

- 78- صلاح الدين صالح حسنين، دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن، دار العلوم للطباعة والنشر، ط1، 1984.
- 79- صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت لبنان، ط2، 1980.
- 80- عبد الجليل مرتاض، الظاهر والمخفي - طروحات جدلية في الإبداع والتلقي - ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية ، بن عكنون، الجزائر 2005.
- 81- عبد الحميد مصطفى السيد، دراسات في اللسانيات العربية، بنية الجملة العربية- التراكيب النحوية والتداولية- علم النحو وعلم المعاني، دار ومكتبة الحامد، ط1، عمان، 2004.
- 82- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية - ج1- موفم للنشر ، الجزائر، 2007.
- 83- عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، د ط، 2007.
- 84- عبد السلام المسدي، النقد والحداثة، دار الطليعة، ط1، بيروت، 1983.
- 85- عبد السلام المسدي، اللسانيات من خلال النصوص، مقالة محمود فهمي حجازي، الدار التونسية للنشر، 1984.
- 86- عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، تونس/ ليبيا، 1984.
- 87- عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د ط)، أوت 1986.

## قائمة المصادر والمراجع

- 88- عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، ط1، 1981، ط2، 1986.
- 89- عبد السلام المسدي: المصطلح النقدي و آليات صياغته، علامات ( كتاب نقدي يصدر عن نادي جدة الأدبي الثقافي)، المملكة العربية السعودية، المجلد 02، الجزء 08، 1993.
- 90- عبد السلام المسدي، المصطلح النقدي، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع (تونس)، 1994.
- 91- عبد السلام المسدي، مباحث تأسيسية في اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، ردمك، 2010.
- 92- عبد السلام المسدي وآخرون: تأسيس القضية الاصطلاحية، المؤسسة الوطنية للترجمة و التحقيق والدراسات، بيت الحكمة (تونس)، 1989.
- 93- عبد الصبور شاهين، العربية لغة العلوم والتقنية، دار الاعتصام، القاهرة، ط2، 1986.
- 94- عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي (Morpho – Phonology)، المنهج الصوتي للبنية العربية، أزمنة للنشر والتوزيع، شركة الشرق الأوسط للطباعة، د ط، عمان، 1998.
- 95- عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1، 2002.
- 96- عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 1985/ منشورات عويدات، بيروت، ط2، 1986.
- 97- عبد القادر المغربي، الاشتقاق والتعريب، مطبعة الهلال، القاهرة، 1908.

## قائمة المصادر والمراجع

- 98- عبد الله إبراهيم، سعيد الغانمي، عواد علي، معرفة الآخر - مدخل على المناهج النقدية الحديثة - المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت لبنان، ط2، 1992.
- 99- عبد الله أمين، الاشتقاق، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والطبع، ط1، القاهرة، 1956.
- 100- عبد الله جاد الكريم، التداولية في الدراسات النحوية، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، 2014.
- 101- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت لبنان، 2004.
- 102- عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت د ط، 1972.
- 103- عبد الواسع الحميري، الخطاب والنص، المفهوم العلاقة السلطة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 2009.
- 104- عثمان بن طالب، تأسيس القضية الاصطلاحية، بيت الحكمة، تونس، 1989.
- 105- عز الدين البوشيخي ومحمد الوادي، قضايا المصطلح في الآداب والعلوم الإنسانية، ج1، سلسلة الوادي، مكناس المغرب، د ط، 2000.
- 106- عصام نور الدين، علم وظائف الأصوات اللغوية -الفونولوجيا-، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1996.
- 107- علي عبد الواحد وايني، فقه اللغة، ط8، دار نفضة مصر، الفجالة، د ت.
- 108- عمار ساسي، المصطلح في اللسان العربي من آلية الفهم إلى أداة الصناعة، ط1، اربد، الأردن، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، 2009.

## قائمة المصادر والمراجع

- 109- عمر مهيبيل، من النسق إلى الذات، قراءات في الفكر العربي المعاصر، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2000.
- 110- غالب المطلبي، الموسوعة الصغيرة في علم اللغة، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق بغداد.
- 111- غانم قدوري الحمد، أبحاث في العربية الفصحى، دار عمار، ط1، عمان، 2005.
- 112- فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، دراسة في النشاط اللساني العربي، ايتراك للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، مصر، القاهرة، 2004.
- 113- كمال أبو ديب، جدلية الخفاء والتجلي - دراسات بنيوية في الشعر - دار العلم للملايين. بيروت لبنان، 1979.
- 114- محمد الأوراغي، اللسانيات النسبية وتعليم اللغة العربية، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، دار الأمان، ط1، الرباط، 2010.
- 115- محمد جاد الرب، علم اللغة، نشأته وتطوره، ط1، دار المعارف للنشر والتوزيع، 1988.
- 116- محمد طيبي، وضع المصطلحات، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1992.
- 117- محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب، كلية التربية جامعة قناة السويس، القاهرة، 2001.
- 118- محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت - لبنان، 2004.
- 119- محمد مفتاح، التشابه والاختلاف (نحو منهجية شمولية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت - لبنان، 1996.

## قائمة المصادر والمراجع

- 120- محمد مفتاح، المفاهيم نحو تأويل واقعي، الناشر المركز الثقافي العربي، ط1، 1999.
- 121- محمود السعران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، دار النهضة العربية، بيروت، (د ت).
- 122- محمود عكاشة، علم اللغة مدخل نظري في اللغة العربية، ط1، دار النشر للجامعات، مصر  
القاهرة، 2006.
- 123- محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، مكتبة غريب، القاهرة مصر، د ت.
- 124- محمود فهمي حجازي، علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة، دار غريب، القاهرة، د ت.
- 125- مختار لزعر، اللسان اللغة والكلام- من التفريط السياقي إلى الإفراط النسقي، دار الكتاب  
الحديث، ط1، القاهرة، 2010.
- 126- مسعود بوبو، دراسات في اللغة، مطبعة ابن حيان، جامعة دمشق، دمشق، طبع للعام الدراسي  
1984/1983.
- 127- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث  
اللساني العربي، دار التنوير للنشر والتوزيع، ط1، 2008.
- 128- مصطفى طاهر الحيادة، من قضايا المصطلح اللغوي العربي (الكتاب الأول) ط1، اربد الأردن،  
ج1، عالم الكتب الحديث، 2003.
- 129- مصطفى طاهر الحيادة، "من قضايا المصطلح اللغوي العربي" ك2، ط1، اربد الأردن، عالم  
الكتب الحديث، 2003.
- 130- مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، حفريات النشأة والتكوين، شركة النشر  
والتوزيع المدارس، ط1، ردمك، 2006.

## قائمة المصادر والمراجع

- 131- مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت لبنان، 2010.
- 132- ممدوح محمد خسارة، علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربية، دار الفكر، دمشق سوريا، ط1، 2008.
- 133- ميشال زكريا، الألسنية ( علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، 1980، ط2، 1983.
- 134- ميشال عازار مخايل، اهتمامات علم الدلالة في النظرية والتطبيق، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ط1، 2012.
- 135- نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، 2003.
- 136- نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، عالم الكتب الحديث، جدار للكتاب العالمي، ط1، عمان الأردن، 2009.
- 137- نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، إربد، عالم الكتب الحديث، عمان، 2009.
- 138- نعمان عبد الحميد بوقرة، الدراسات اللسانية في المملكة العربية السعودية، دراسة وصفية تأصيلية في ضوء التلقي العربي للمناهج اللسانية الحديثة، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط1، 2011.
- 139- نهاد الموسى، النحت في اللغة العربية، دار العلوم للطباعة والنشر، 1984.
- 140- هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، دار الأمل للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2007.

## قائمة المصادر والمراجع

- 141- هشام خالدي، صناعة المصطلح الصوتي في اللسان العربي الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، لبنان، 2012. هيام كرده، الألسنية الفروع والمبادئ والمصطلحات، ط1، الجامعة اللبنانية، 2008.
- 142- هياجنة محمود سليم محمد، الخطاب الديني في الشعر العباسي (إلى نهاية القرن الرابع هجري)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، 2008.
- 143- هيام كرده، أضواء على الألسنية، ط1، بيروت - لبنان، 2008.
- 144- يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، قسنطينة الجزائر، 2002.
- 145- يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2008.
- الكتب المترجمة:
- 146- آن روبول وجاك موشلار، تر: لحسن بوتكلالي، تداولية الخطاب من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب، نور المعرفة، ط1، 2020.
- 147- أ.مولز - ك زيلتمان - ك أوريكيويني، تر: محمد نظيف، في التداولية المعاصرة والتواصل، افريقيا الشرق، المغرب، 2014.
- 148- بيار أشار، تعريب: عبد الوهاب تزو. سوسيولوجيا اللغة، منشورات عويدات، ط1، بيروت لبنان، 1996.
- 149- جان بيار فرنان، أصول الفكر اليوناني، ترجمة سليم حداد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1987.

## قائمة المصادر والمراجع

- 150- جورج يول George Yule ، التداولية pragmatics، تر: قصي العتّابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، oxford، ط1، 2010.
- 151- جيوفري ليتس، تر: عبد القادر قنيني، مبادئ التداولية، افريقيا الشرق، المغرب، 2013.
- 152- دومنيك مونقانو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يجياتن، منشورات الاختلاف، ط1، 2005.
- 153- دومنيك منغنو باتريك شارودو، معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبد القادر المهيري، حمادي صمود، سلسلة اللسان، دار سيناترا، تونس، 2008.
- 154- رولان بارت، مبادئ في علم الأدلة، ترجمة محمد بكري، دار قرطبة للطباعة والنشر، الدار البيضاء المغرب، 1986.
- 155- رومان ياكوبسون، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، ترجمة: علي حاكم صالح وحسن كاظم، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء المغرب، بيروت لبنان، 2002.
- 156- فرديناند دي سوسير، علم اللغة العام، تر: يوثيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد، ج3، 1985.
- 157- فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، تر: صالح القرمادي، محمد الشاوش، محمد عجيبة، الدار العربية للكتاب، تونس، 1985.
- 158- كلود حجاج، إنسان الكلام - مساهمة لسانية في العلوم الإنسانية، تر: رضوان ظاظا، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط1، 2003.

## قائمة المصادر والمراجع

159- ماريا تيريزا كابرلي، المصطلحية النظرية والمنهجية والتطبيقية، ترجمة: محمد أمطوش، اريد الأردن، عالم الكتب الحديث، ط1، 2012.

160- ماري آن بافو وجورج إليا سرفاتي، النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، ترجمة: محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة، بيت النهضة، ط1، بيروت، 2012.

161- ماري نوال غاري بريور، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، تر: عبد القادر فهم الشيباني، ط1، سيدي بلعباس - الجزائر، 2007.

### • الكتب الأجنبية:

- 1- Ferdinand De Saussure, Cours De Linguistique Générale, Edition Payot & Rivages, 106 bd Saint – Germain, Paris V1, 1985, 1995.
- 2- Jean Dubois, Dictionnaire de la linguistique, Larousse, Paris, 2001.
- 3- Georges Mounin, Dictionnaire de Linguistique, Quadrige, Dicos Poche, Puf, 2006.

### • المجلات:

- 1- أحمد حابس، صناعة المعاجم وعلم المفردات (دراسة في ابستمولوجيا المصطلح)، مجلة اللسانيات واللغة العربية، منشورات مخبر اللسانيات واللغة العربية، عنابة، ع2، 2006.
- 2- أحمد محمد قدور، اللسانيات والمصطلح، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، م8، ج4.
- 3- أحمد مختار عمر، المصطلح الألسني العربي وضبط المنهجية، مجلة عالم الفكر، الكويت، دار وزارة الإعلام، م: 20، ع3، أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1989.

## قائمة المصادر والمراجع

- 4- إسماعيل مغمولي، المصطلحات في التراث العربي الإسلامي وطرائق وضعها، مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
- 5- ج. ساجر، تر: جواد سماعنة، نظرية المفاهيم في علم المصطلحات، مجلة اللسان العربي، ع47، 1999.
- 6- حافظ اسماعيلي علوي، اللسانيات والترجمة وميزان النقد، مجلة فكر ونقد، ع92، 2007.
- 7- رابع بوحوش، البحث الالتيمولوجي وتعريب المصطلحات اللسانية، مجلة اللسانيات واللغة العربية، منشورات مخبر اللسانيات واللغة العربية، عنابة، العدد الثالث، جوان، 2007.
- 8- سعيد بنكراد، السيميائيات (النشأة والموضوع)، عالم الفكر، ع3، مجلد 55، يناير/ مارس، 2007.
- 9- سليمان أحمد الظاهر، مفهوم النسق في الفلسفة (النسق: الإشكالات والخصائص)، مجلة جامعة دمشق - المجلد 30، العدد 3+4 - 2014.
- 10- عبد السلام المسدي، منهج اللسانيات والبدائل المعرفية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ع83 تصدر عن مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، 2003.
- 11- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة، من البنيوية إلى التفكيك، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، العدد 252، الكويت، 1997.
- 12- عبد الله أبو هيف: اللغة والإعلام واعتبارات إنتاج المعرفة، مجلة اللسانيات واللغة العربية، منشورات مخبر اللسانيات واللغة العربية، جوان 2007.
- 13- علي القاسمي، لماذا أهل المصطلح التراثي، المناظرة (مجلة فصلية تعنى بالمفاهيم والمناهج)، الرباط، العدد 6، 1993.

## قائمة المصادر والمراجع

- 14- مصطفى طاهر الحيادة، مصطلحاتنا اللغوية بين التعريب والتغريب، مجلة مجمع اللغة الأردني، العدد 69، 2005.
- 15- مصطفى غلفان، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات- أي مصطلحات لأي لسانيات؟ مجلة اللسان العربي، ع46، 1998.
- 16- مجلة الخطاب الثقافي، تصدر عن جمعية اللهجات والتراث الشعبي في جامعة الملك سعود بالرياض، العدد الثالث خريف 2008، رئيس التحرير فالح بن شبيب العجمي.
- 17- مجلة عالم الفكر "الألسنية"، المجلد العشرون، العدد الثالث، أكتوبر نوفمبر ديسمبر، 1989.
- 18- ممدوح خسارة، إشكالية الدقة في المصطلح العربي، مجلة التعريب، العدد 7، 1994.
- 19- اليامين بن تومي، القراءة وضوابطها المصطلحية، جامعة سطيف. مجلة المخبر - مجلة قراءات - مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، جامعة بسكرة، العدد الأول، 2009.

### • الملتقيات والندوات:

- 1- عز الدين البوشيخي، قضية التعريف في الدراسات المصطلحية الحديثة (يوم دراسي) منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية رقم (24) سلسلة ندوات و مناظرات - 8-(وجدة)، ط 1، 1998.
- 2- المجلس الأعلى للغة العربية، أهمية الترجمة وشروط إحيائها، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
- 3- مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، الملتقى الوطني حول "المصطلح والمصطلحية"، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، جامعة مولود معمري تيزي وزو. 2-3 ديسمبر 2014.

## قائمة المصادر والمراجع

4- منظمة الأمم المتحدة للعلوم والتربية والثقافة "يونسكو"، تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، وقائع ندوة جهوية

أبريل 1987 الرباط، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت لبنان ، 1991.

5- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الخطة القومية للترجمة، ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلحات العلمية

الجديدة، اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب، مج18، ج1، الرباط، 1981.

### • أطروحات الدكتوراه:

1- أحمد يوسف، السيميائيات وفلسفة المعنى، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة، إشراف: عبد

اللاوي محمد، كلية العلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة وهران، 2003-2004.

2- جواد حسين سماعة، المصطلحية العربية بين القديم والحديث (مشروع قراءة)، أطروحة دكتوراه دولة الرباط.

### • مواقع من الانترنت:

1- أعضاء شبكة تعريب العلوم الصحية (المكتب الإقليمي للشرق المتوسط) ومعهد الدراسات المصطلحية (فاس،

المملكة المغربية): علم المصطلح لطلبة العلوم الطبية والصحية. <http://alnokta-arablug.Org/>

terminology

# الفهرس

الصفحة	الموضوع
	الإهداء
أ	المقدمة
02	<u>الفصل الأول: في المفاهيم الأساسية لمصطلحات البحث.</u>
	1- المصطلح
12	2- اللسانيات
26	3- النسق
34	4- الاستعمال اللغوي
	<u>الفصل الثاني: (نسقية اللغة واللسان والكلام واللامحدودية الاستعمال)</u>
49	1- اللغة نسق.
53	2- اللسان نسق من العلامات.
63	3- نسقية اللغة واللسان والكلام.
80	4- بين اللسانيات الداخلية واللسانيات الخارجية.
	<u>الفصل الثالث: المصطلح اللساني وإشكالية المكافئ العربي</u>
88	(مصطلحات حقل الصوتيات وتحليل الخطاب)
	1- مصطلح (phonème):
90	2- مصطلح (Phonétique):
97	3- مصطلح (phonologie):
100	4- مصطلح (Cohérence):
105	5- مصطلح (Cohésion):
107	6- مصطلح (Discours):

115	7- مصطلحا : Lexicologie/Lexicographie
122	8- مصطلح (Structure):
126	9- مصطلح (Structuralisme):
130	10- مصطلح (Phrase):
135	11- مصطلح (synchronie):
137	12- مصطلح (diachronie):
	<b>الفصل الرابع: المصطلح اللساني وإشكالية المكافئ العربي</b> (مصطلحات لسانية ذات حقول مختلفة)
141	1- مصطلح (Linguistique):
148	2- مصطلح (Pragmatique):
162	3- مصطلحا (Symbole / signe)
171	4- مصطلحا (Sémantique / Signification)
179	5- مصطلح (Arbitraire):
182	6- مصطلح (Sémiologie):
196	خاتمة
202	قائمة المصادر والمراجع
	فهرس الموضوعات

## ملخص

إن إشكالية المصطلح هي الجانب البارز من جوانب الدراسات اللسانية العربية المعاصرة، فعلى الرغم من أنها حظيت باهتمام الباحثين اللغويين - قديما وحديثا - إلا أننا نلاحظ وجود فوضى واضطراب مصطلحي، خاصة على مستوى وضع المقابلات العربية للمصطلح الأجنبي الواحد. إذ لا تزال اللغة العربية تواجه مشكلة وضع المكافئ العربي لهذا الوافد اللساني الأجنبي، وهذا بالرغم من جهود الباحثين المبذولة في البلدان العربية لوضع حد لهذا التباين والاضطراب.

**الكلمات المفتاحية:** إشكالية المصطلح - المصطلح اللساني - التباين والاضطراب - المكافئ العربي.

## Abstract

The term problematic is the attractive side of the new arabic linguistic studies , Although it has attracted the attention of linguistic researchers of ancient and recent times , we note the existense of conseptual disorder especially at the level of arabic interviews for the single foreign term.

Despite of researchers efforts in arabic countries to stop this variation, the arabic language still faces the problem of the arab equivalent term for this foreign linguist.

Key words: Term problematic – linguistic term – variation and noise – the arab equivalent term.

## Résumé :

La problématique du terme est l'aspect éminent des aspects des études linguistiques arabes modernes, bien qu'elle ait suscitées l'importance des chercheurs linguistes -avant et récemment-seulement nous remarquons l'existence d'un chaos et différence des termes, surtout pour les interviews en arabe pour traduire en un seul terme étranger. Toujours la langue arabe fait face au problème de l'équivalent arabe pour ces linguistes étrangers et cela bien qu'il y ait des efforts fournis de la part des linguistes dans les pays arabes pour mettre fin à ce contraste.

Mots-**clés** : La problématique du terme –le terme linguiste –la différence et le contraste – l'équivalence arabe.